فيلي سانديرس

نحو نظرية أسلوبية لسانية

ترجمة
الدكتور خالد محمود جمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحو
نظريَّة أُسلوبيَّة لِسَانيَّة

تأليف

فيلي ساندريس

ترجمة

الدكتور خَالد محمُود جمعَة

نحو
نظريَّة أُسلوبيَّة لِسَانيَّة

الرقم الاصطلاحي: ٢٢٥٨,٠١١
الرقم الموضوعي: ٤١٠
الموضوع: اللغة العربية
العنوان: نحو نظرية أسلوبية لسانية
التأليف: فيلي ساندبرس
ترجمة: د. خالد محمود جمعة
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية-دمشق
عدد الصفحات: ٢٣٢ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥ سم
عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م

توزيع دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية
فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢١١١٦٦

المحتوى

إهــداء

إلى

كل من اتخذ الصبر سبيلاً

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق، معلم البشرية، وهادي البرية، محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فالمباحث الأسلوبية في العربية كثيرة في عددها، متشعبة في سبلها، متباينة في نظرتها، تلتقي حيناً وتختلف ثانياً، وتتقاطع ثالثاً، وتأتي مزيجاً بين الدرس النقدي والدرس الأدبي رابعاً، ولو لم يكن الأسلوب مسألة قائمة بذاتها، لما لاحظنا في التحليلات والدراسات الأكاديمية للنصوص الأدبية، وفي النظرات النقدية المتعددة لتلك النصوص على اختلاف أجناسها - ملاحظات جوهرية تعالج حقيقة الظاهرة الأسلوبية بعمق أو تمسها مساً رقيقاً بقصد إجلاء طبيعتها.

وإيماناً مني بما للتواصل الفكري والحضاري والثقافي بين الشعوب والأمم من أهمية علمية من حيث تعزيز التكامل والإفادة المباشرة وغير المباشرة مما توصلت إليه الشعوب الأخرى، أو الاطلاع عليها على الأقل، فقد جاءت ترجمتي لهذا الكتاب من الألمانية إلى العربية.

والكتاب في حقيقته محاولة جادة لعرض الأسلوب بوصفه ظاهرة ومشكلة رغبة في التوصل إلى أسس وقواسم مشتركة قد يستعان بها في قابل الأعمال،

ورغبة في وضع نظرية عامة شاملة تجمع تلك الأسس في إطار واحد، تنضوي تحته الظواهر الأسلوبية كلها؛ وما شجعني على ترجمته تفرده بتناول القضية وطرحها على نحو فيه نوع من التسلسل المنطقي من حيث البدء بالتساؤل عن الأسلوب، وعده مشكلة، ومحاولة الكشف عن طبيعته في العلوم الأخرى ذات الصلة؛ لما له من حضور جلي في معظم العلوم الفنية والعلمية والعامة.

والربط بين الدرس الأسلوبي والدرس اللساني هو من أهم ما اتسم به هذا الكتاب نظراً لتوصل الثاني إلى خطوط واضحة وأسس ثابتة رغبة في الإفادة منها؛ ولهذا جاء السؤال عن الأسلوب وعن حقيقته، وطبيعته وإمكانية اعتباره ظاهرة دراسية يمكن تخصيصها بمباحث مستقلة، وكانت الردود متباينة بين منكر، ومحبذ، ومرجح.

ثم عرض قضية اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، وتساءل عن إمكانية إدخال الثانية في البحث الأسلوبي لاختلاف المنطوق في طبيعته وطريقته وغطية أدائه عن المكتوب، لكونه بعيداً عن المراجعة والتحقق، ورأى أن بعضهم قد وجد أن الأصل في اللغة هو المنطوق، لعراقته في تاريخ الجماعات اللغوية على اختلاف ألسنتها، ولدوره الفاعل في حياتنا اليومية، ولكونه الأداة الأولى التي يستعملها الإنسان في حياته، عندما يبدأ بالتواصل مع الآخرين؛ ولهذه الأسباب مجتمعة حبذ بعضهم دراسة الظاهرة الأسلوبية في اللغة المنطوقة أيضاً، وعدم حصر الدراسات الأسلوبية في نطاق اللغة المكتوبة، كيف لا ووسائل التقانة الحديثة في أيامنا هذه تجعل المنطوق مدوناً تدويناً دقيقاً، وبكل معطياته الصوتية والتنغيمية مما يسهل أمر مراجعته ودراسته وتحليله من جوانب متعددة، قد يكون التحليل الأسلوبي أحدها.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن تحديد مفهوم الأسلوب وتعريفه قد احتل مكانة بارزة عند المؤلف، فرأى جدلاً أن الاتفاق كان قد تم على دراسة

هذه الظاهرة، فلا بد من تحديد معالمها، وتعرف ماهيتها، ورسم مساحتها، والكشف عن غايتها، فجاء مفهوم الأسلوب في أكثر من خمسة وعشرين تعريفاً، كل تعريف منها هو تعبير دقيق عن وجهة نظر المعرِّف، ورسم واضح ودقيق لمنهجه، وكشف عن السبب الذي دفعه إلى التوقف أمام هذه الظاهرة، ولهذا جاء حرص هذا الكتاب على عرض ما أمكن منها؛ لتكون سبيلاً لمن سينتهج طريقاً مماثلاً أو سيختط لنفسها منهجاً آخر مستفيداً موسعاً، وفي سياق حديثه عن مفاهيم الأسلوب عرض لموضوع تحديد ما هو نظري وتطبيقي في الدرس الأسلوبي، راسماً خطوطاً عامة، واضعاً مقترحات مسوغة، مفرقاً بينهما على نحو يكاد يكون دقيقاً تاركاً السبيل أمام الدارس الأسلوبي للأخذ بما يريد.

ثم عرج فيما بعد على البعد التاريخي للأسلوب عاداً البلاغة سلفاً للأسلوبية، مقسماً أسلوب الأثر اللغوي بناء على معطيات محددة إلى أسلوب العصر وأسلوب الفرد وأسلوب الجماعة.. مركزاً على أسلوب الفرد، جاعلاً إياه الدافع الحقيقي وراء عرض قضية التطور في الأسلوب والتغير فيه، سواء أكان عند الفرد بوصفه الأساس المعتمد أم في الجماعة والعصر، ثم توقف أمام النحو بوصفه مستوى لغوياً ذا دور فاعل في الكتابة الأسلوبية، عاداً الجملة أساساً في بناء النص أسلوبياً لكونها اللبنة الأولى الداخلة في تركيبه، وفي أثناء عرضه للأسلوب من منظور نحوي، توقف أمام المعايير النحوية وما لها من دور، وركز على مبدأ الاستحسان الذي أشارت إليه المدرسة النحوية التوليدية والتحويلية بوصفه أساساً للحكم الأسلوبي.

هذا وجعل المؤلف الأسلوب اختياراً بين الإمكانات اللغوية الواسعة وتوقف أمام مبدأي التنسيق والانتقاء، جاعلاً الانتقاء شاملاً غير مقتصر على الألفاظ، لاشتراك مستويات اللغة جميعها في بناء الكيان اللغوي المتخذ وسيلة

للاتصال، ولم يلبث بعد هذا أن رسم بعض المقاييس مستعيناً بالمحورين التبادلي والتركيبي التجاوري لعرض مبدأ الاختيار بطريقة عملية.

هذه القضايا الأولية التي طرحها المؤلف من حيث تعريف الأسلوب وعرض بعده التاريخي والنظرة إليه من منظور النحو التحويلي والتوليدي، والتداخل الحاصل بينه وبين الأدب واللسانيات والتساؤل عن مرجعية أي تحليل أسلوبي - هي التي دفعت الكاتب إلى الانتقال من هذه الجزئيات إلى الهيكل الأساسي والعام في الدرس الأسلوبي، ألا وهو الأسلوب في إطار النص، فتوقف أمام ظاهرة تماسك النص وتناسقه وأمام البدائل الأسلوبية وما لها من دور فاعل في التنويع الداخلي في بناء النص، فضلاً عن محاولته قسم النصوص وفق أساليبها إلى أجناس أدبية.

ثم عرض للأسلوب بوصفه ظاهرة شخصية مهمتها الإعراب عن ذات الكاتب الذي يتأثر بما حوله من ظروف وما في داخله من مؤثرات وانفعالات داخلية تؤثر على نحو مباشر أو غير مباشر في أسلوبه، الأمر الذي جعله يرى أن في الأسلوب طبقات ومستويات تكثر أو تقل على عدد الكتاب، وحجم الظروف الفكرية والثقافية والاجتماعية والنفسية التي يمر بها هؤلاء الكتاب، وختم كتابه كما بدأه بعرض الأسلوب في إطار الدرس اللساني العام محولاً تحديد المكان الحقيقي للدرس الأسلوبي.

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن حرصي على توخي الدقة في عرض أفكار الكاتب كما هي دون أدنى تغيير فيها أو مس بها، هو الذي جعلني أذكر الحواشي والملاحظات في أماكنها وحسب السياق، مع محاولة ترجمتها وترجمة المصادر المعتمدة فيها، وهو الذي دفعني إلى إضافة كشف بأهم المصطلحات والمفاهيم التي تضمنها العمل، تسهيلاً للبحث عنها، وذلك باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية ما أمكن.

هذا ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أني قد أضفت إلى عنوان الكتاب كلمة (نحو) لتكون تعبيراً حياً ودقيقاً عن موضوع الكتاب ومحتواه، نظراً لأن الكتاب في طبيعته ومضمونه يمثل محاولة جادة لرسم نظرية أولية لدراسة الأسلوب في النص اللغوي على اختلاف نوعه وجنسه، كما أني حرصت على ذكر المصطلحات والمفاهيم الأسلوبية الأولية في أماكنها في متن العمل لأهميتها.

هذه الترجمة محاولة مني لنقل أفكار الكاتب إلى العربية، مع إيماني بعدم إمكانية تطابق بعض المسائل المعروضة في الكتاب مع اللغة العربية، لاعتماد الكاتب نفسه على لغته الأم في الحكم على بعض المواقف والآثار اللغوية، إلا أنها تظل أفكاراً تحتفظ بقيمتها كأسس عامة يمكن الاسترشاد بها في تحليل النصوص ودراستها من الناحية الأسلوبية.

هذا جهد متواضع أضعه بين يدي القارئ العربي، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في أداء الأمانة، وإن لم يكن التوفيق قد حالفني، فقد حاولت على الأقل، والله سبحانه وتعالى أسأل التوفيق.

الكويت ١٥/ ٧/ ٢٠٠١م

د. خالد محمود جمعة

كلمة المؤلف

قبل الشروع في الحديث عن هذا الكتاب وما فيه من مضامين، لا بد من الإشارة إلى أنه لا يطمح إلى تقديم عرض كامل وشرح مفصل عن النظرية الأسلوبية، بكل ما فيها من أسس أولية وما تتضمنه من أفكار، إنما سيكتفي بمناقشة بعض أسس الأسلوب اللغوي وما يرتبط بها من اتجاهات ومواقف حديثة، قد تتباين وقد تتطابق بغية رسم خطوط عامة قد تفضي إلى نظرية أسلوبية شاملة.

ومن الطبيعي في كتاب بهذا الحجم ألا يتسع المجال فيه للكلام على كل جزئيات الموضوع والتفصيل فيها من حيث عرض الأفكار وشرح المواقف، وإبراز أوجه الأهمية، والكشف عن قيمة نظرية من هذا القبيل؛ ولهذا فإن قراءة الفصل الأول بإمعان ودقة يبين للباحث أي باحث أن العمل لم يأت إلا بمقولات مؤقتة؛ لأن غايته عرض مشروع نظرية قبل الوصول إلى مقولات أسلوبية ثابتة عن مجالات الأسلوب كلها.

ونظراً لكون هذا العمل صادراً ضمن سلسلة علمية موجهة إلى أكبر عدد ممكن من القراء، فقد جاء الحرص فيه واضحاً على جملة من الأمور، أولها الوضوح والعرض والبعد عن التعمية في الأفكار، وثانيها عرض ما جاء فيه من مفاهيم ومصطلحات على نحو لا يحتاج إلى كبير عناء لفهم المقصود بها،

ولا سيما في السياق الذي تأتي فيه، وثالثها البعد عن الشكليات والإشكاليات التي قد تظهر في أمثال هذا البحث.

وعلى الرغم من صغر حجم هذا العمل، فقد حرصت على ذكر المصادر والمراجع المهمة في باب الأسلوب والأسلوبية وخصصت لها باباً خاصاً في نهاية البحث رغبة في أن يفيد منها من يريد الاستزادة والتوسع في هذا الباب، فضلاً عن ذكر المقتبسات حرفياً في سياقها المناسب في البحث، وبلغتها الأصلية، وكما جاءت في مظانها.

Willy Sanders

المدخل

انطلاقاً من مسلمة الاستفسار عن حقيقة الموضوع وجوهره في أي قضية علمية مطروحة للدراسة والتحليل ثمة سؤال عن جوهر القضية هو: (ما الأسلوب؟ وما معناه؟ وكيف ينظر إليه؟ وما السبل المتبعة في دراسته وتحديد خصائصه؟)؛ إنه سؤال مركب في ظاهره، صعب في مضمونه، تتطلب الإجابة عنه الوقوف أمام مجموعة من القضايا التي اختلف حولها كثير من علماء اللغة والأسلوب وما زالوا يختلفون، إلى درجة صارت فيها موضع نقاش وجدال بينهم، ولهذا لا بد من البحث في جملة من الحقائق في هذا الباب، ومنها:

١ - اهتمام أصحاب تخصصات مختلفة بالأسلوب وما يرتبط به من قضايا اهتماماً علمياً كبيراً، وليس من قبيل المبالغة أن يعد العلماء الأسلوب واحداً من أبرز الظواهر اللغوية والأدبية المدروسة من زوايا متعددة على الرغم من تعادلها في الإشكالية والاختلاف[١].

---

(١) لا تهمنا هنا إمكانيات الاستعمال الأخرى لمفهوم (الأسلوب) بمعنى (الأسلوب الفني) و (التقانة الرياضية..)، ولهذا ينظر مصطلح (الأسلوب اللغوي) الذي ذكر لدى S. Krahl - Kurz في (المعجم الأسلوبي الصغير) تحت مفهوم الأسلوب والأسلوب اللغوي Kleines Worterbuch der Stilkunde, unter "Stil "und "Sprachstil"، وينظر B. Sowinski في «الأسلوبية الألمانية Deutsche Stilistik»، ص ١٢

والمشكلة الأساسية هنا ترجع في قسم كبير منها إلى الوضع العام المفترض للأسلوب من حيث تداخله بين علمي اللغة والأدب (الشعر) «فقد يكون الخلاف حول مرجعية أي عرض في الأسلوبية إلى مدخل في علم اللغة أو في علم الأدب؛ لأن العرض الأسلوبي في حقيقته له مكان في المجالين»[١] ، وهذا التقابل في مفهوم الأسلوب بين العلمين السابقين يعني:

- تحليل الأسلوب بمناهج اللسانيات وأسسها من ناحية.
- وتحليله بمناهج علم الأدب وأسسه من ناحية ثانية.

فموضوع الدراسة اللسانية هو الأسلوب اللغوي، وموضوع الدراسة الأدبية هو الأسلوب الأدبي (الشعري)، ويعرف الأسلوب اللغوي نظرياً بأنه طريقة التعبير اللغوي التي تميز تعبير الشخص، وتلقى اهتماماً كبيراً وخاصاً؛ لأنها تتضمن اللغة المحكية إلى جانب اللغة المكتوبة المفضلة عرفاً، ولدى تعريفه (علمياً/ أمبيرياً) انطلاقاً من أشكال التعبير المميزة، يمكن القول بأنه مجموع كل العناصر اللغوية المستعملة في نص؛ لأن «الوسائل اللغوية جميعها هي وسائل لغوية ووسائل أسلوبية في وقت واحد»[٢] .

(١) ينظر: B. Sowinski في (الأدب الألماني Germanistk) الجزء الأول من (علم اللغة I. Sprachwissenschaft) الصادر في كولونيا وفيينا ١٩٨٠م، ص ٢١٠، وينظر أيضاً وبشكل أساسي ما جاء في مقدمة كتبها J. Spencer لكتاب (اللسانيات والأسلوب Linguistik und Stil)، ص ٣ لمؤلفه Enkivist - Gregory - Spencer. وبالمثل يتكلم G. Hilbig عن وسيلة وسط بين النحو وعلم الأدب وذلك في كتابه (تاريخ علم اللغة الحديث Geschichte der neueren Sprachwissenschaft)، ص ٣١٩.

(٢) ينظر E. Agricola (صيغ لغوية اختيارية، أبحاث في تاريخ اللغة الألمانية وآدابها، Halle)، ص ٧٩، كما ينظر المجلد الخاص لـ: Th. Frings، ١٩٥٧م، ص ٧٦، (هذا يعني أن الوسائل اللغوية كلها هي وسائل أسلوبية في آن واحد)، كما وينظر (الوسائل الأسلوبية وإمكانيات اللغة الألمانية لـ D. Faulseit - Gudrun Kuhn)، ص ١٥

٢ - لعلم الأسلوب جانب نظري وآخر تطبيقي، شأنه في ذلك شأن الفروع العلمية الأخرى كلها، إلا أن السائد عموماً هو استعمال مصطلح الأسلوبية للإشارة إلى الجانبين معاً من غير أي تفريق بينهما، وعلى الرغم من أن هذا الاستعمال عام ولا يغير أي شيء في مضمون الاصطلاح، إلا أن (نظرية الأسلوب) ولأسباب توضيحية تستعمل للإشارة إلى علم الأسلوب اللغوي العام، وتستعمل (الأسلوبية) للإشارة إلى كل من علم القواعد التطبيقية للأسلوب وعلم الوسائل الأسلوبية (الأسلوبية المعيارية والوصفية).

وعليه، فإن نظرية الأسلوب والأسلوبية يشترط كل منهما الآخر؛ لأن الظواهر الأسلوبية الحقيقية هي الأساس الذي يعتمد عليه في اكتمال بناء النظرية في النهاية، ولأن الأسلوبية لا يمكنها أن تصف قدراً من المواد اللغوية المجمعة وغير المتجانسة من غير أساس نظري تعتمد عليه.

واللافت هنا هو التعريف النظري للدراسة الأسلوبية المعاصرة بطرق مختلفة؛ تعكس تصورات متباينة جداً من حيث نظرتها إلى الأسلوب، ويعكس تباين هذه التصورات بدوره غياب نظرية موحدة، يجعل الباحث يدرك أن الاكتفاء بتكرار تناول جانب أسلوبي واحد ليس مرده النقص في البحث الهادف، إنما تعدد الاتجاهات ولا سيما في اللسانيات، وإن جرت مرة دراسة جوانب متعددة معاً، فالإجراء هذا وليد الحاجة والضرورة.

ونظراً لعدم إمكانية تحديد مناهج البحث الأسلوبي التطبيقي، وما ترمي بدقة إلا بالاعتماد على نظرية من هذا القبيل، يجب أن يؤخذ في الحسبان أن النظرية الأسلوبية القائمة على أسس دقيقة، المنضوية تحت لواء اللسانيات تصير مطمحاً بحثياً ملحاً، فتبنى من التراكيب المفترضة المستخلصة من الفهم القديم لهذه التراكيب، ومن الوقائع التجريبية (العملية) حين تأخذ طابع الوسائل

الأسلوبية؛ لأن البنى الأسلوبية الصحية هي السبيل الوحيد إلى الكشف عن نظرية متكاملة نسبياً في الوضع الراهن للبحث الأسلوبي[١] .

وبهذا المعنى لا تحتاج النظرية بشكلها الحالي إلى الحسم فيها واعتبارها نهائية، لا بل إن كل حسم فاصل فيها يعد بحد ذاته أكثر من شرط، ودافع إلى الاستمرار في التفكير الذاتي، ولهذا لا تكمن قيمة أي نظرية في درجة فاعليتها في التحقيق والتعريف وحسب، بل في مهمتها أيضاً في «صياغة المسائل الأساسية التي تشكل قاعدة موجهة وناجعة للبحث الدقيق والسليم»[٢] .

٣ - كل نظرية أسلوبية لغوية يجب أن تكون مؤسسة تأسيساً دقيقاً، وأن تكون متكاملة لسانياً، وهذا يتجلى في التقويم الذاتي للسانيات الحديثة حين «تعد نفسها البحث العلمي الدقيق للغة»[٣] ، ويتجلى في ضرورة الإشارة إلى أن أي نظرية من هذا القبيل لا يمكن أن تكون - بالضرورة - أكثر من نظرية

---

(١) ينظر: H. Steger في (علم اللغة الاجتماعي Soziolinguistik) في مجلة (اللغة والمجتمع Sprache und Gesellschaft) الصادرة في دوسيلدروف ١٩٧١م، ص ١٨.

وينظر: D. Wunderlich في (نحو مصطلح مفهوم البنية Zur Terminologie des Strukturbegriffs) في مجلة (علم الأدب وعلم اللغة Literaturwissenschaft und Linguistik) للناشر J. Ihwe، ص ١٠٥.

وينظر: M. Bierwisch في (مهام القواعد وشكلها Aufgaben und Form der Grammatik) في (مقترحات من أجل وضع نحو بنيوي Vorschlage für eine strukturale Grammatik Deutschen) لناشرها H. Steger في دار مشتادت، ١٩٧٠، ص ٥٠.

(٢) ينظر: D. De Cammp في (اتجاهات اللسانيات الاجتماعية Aspekte der Soziolinguistik) للناشر W. Klein - Wunderlich/ فرانكفورت ١٩٧٢م، ص ٣٤٤.

(٣) ينظر: J. Lyons: (مدخل إلى علم اللغة الحديث Einführung in die moderne Linguistik)، ميونيخ الطبعة ٢/ ١٩٧٢م، ص ١.

فرعية، تدخل ضمن الصياغة العامة للنظرية في اللسانيات، وفي الحالتين تصل نظرية الأسلوب إلى حدودها هناك حيث لا تزال اللسانيات بكاملها تتخذ سبيلاً إلى المناقشة والجدل، ولا تتخذ سبيلاً إلى حل المشاكل التي ما زال فيها تناقض واختلاف في المواقف.

نعم، إن تطبيق الأفكار اللسانية ونتائجها ومناهجها على بحث الأسلوب بحاجة إلى تدبر جديد ونظرة جديدة إلى الأفكار المتداولة فيه، كذلك الأفكار التي تصور العلاقة القائمة بين النحو والأسلوب؛ لأن الاتجاهات النحوية الحديثة تبدو مختلفة عما يعرف اليوم بالنحو التقليدي.

ومن أبرز الاتجاهات الأسلوبية الحديثة التي تتناول الأسلوب درساً وتحليلاً وما زال ينقصها البرهان العملي المنظم - الاتجاه الذي يدعو إلى جعل الأسلوب هو الاختيار بين الإمكانات اللغوية المختلفة، ويدعو إلى شمولية هذا الاختيار وعدم اقتصاره على المستوى اللفظي وحده، وعلى مستوى الجملة الذي صار يحتل اليوم المركز الأول في الملاحظة والدراسة؛ لأن مستوى النص المتجاوز لحدود الجملة، الحائز على إمكانيات حرة للاختيار، قد أدخل (لسانيات النص) و (الأسلوبية) في دائرة التنافس بوصفهما مصطلحين متنافسين.

وأخيراً يأتي المنظور الأحدث الذي يربط بين الأسلوب والحالة الاجتماعية للمنتج اللغوي، ويستبعد بقاء علم الأسلوب بمنأى من التأثر بنتائج اللسانيات الاجتماعية الحديثة التي تدرس العلاقة الوثيقة بين الأثر اللغوي والظروف الاجتماعية التي ولد فيها هذا الأثر، وهذا ما يعيد إلى الأذهان الحكم المشهور لسوفستين بروتاجوراس (Sophisten Protagoras) بأن الإنسان هو مقياس الأشياء كلها، وأن ما يكتبه أو يتحدث به هو من صنعه وسبيل إلى الحكم عليه ودراسته في إطار علم اللغة بشكل عام).

واللافت هنا هو أن الاهتمام الكبير بالأسلوب الفردي، والإعجاب الشديد بالشرح الأدبي لشخصيات شاعرة كبيرة كانا السبيل إلى مسارات جديدة في البحث الأسلوبي، جعلا مستويات نحو الجملة، ولسانيات النص، واللسانيات الاجتماعية قادرة على تصوير المساحة الواسعة لاتجاهات البحث اللساني من منظور أسلوبي.

ومن أهم أهداف هذا العمل تنظيم هذه المجالات والاهتمامات بغية إيجاد حل وسط يوصل إلى نظرية أسلوبية موحدة تدخل في النظام الكلي للسانيات، وتشكل نظرية فرعية في هذا الميدان[١] ، فأي نظرية أسلوبية لغوية لها خصوصية، وتحتفظ بسمات خاصة بها، في الوقت الذي لا يفهم فيه الأسلوب الشعري في جانب منه إلا بالأسلوب اللغوي، واللساني يحتاج فيه إلى تفسير تكميلي، يقدمه علماء الأدب لكي يتمكن من فهم هذا الأسلوب بكامله.

ونظراً لتعلق الموضوع في النهاية بالأسلوب الفني لعصر كامل وعدم اقتصاره على أعمال فنية محددة، يجب على اللسانيين والأدباء وممثلي العلوم الأخرى كالموسيقا والرسم والهندسة والفنون التشكيلية وأنماط اللباس أن يتفقوا على تفسير شامل للأسلوب.

نعم، إن الأسلوب ظاهرة عامة، يستدل عليها من تجاوز الفن؛ أي فن حدوده الوطنية التي ينتشر فيها، ويستشهد على صحة هذا الحكم بتطابق الأدب التشكيلي (Schwulst Literatur) مع ما كان له من نظائر في أوربا كاملة.

(١) ينظر: J. P. Thome (الشعر والأسلوبية والقواعد التصويرية Dichtung, Stilistik und imaginäre Grammatiken) في Ihwe المجلد الثاني، الجزء الثاني، ص ٤٣٢.

ونظراً لالتزام الأسلوب اللغوي كل مرة وإلى حد ما بعناصر اللغة المفردة وأدواتها، ونظراً لكون معظم الأمثلة المعتمدة في هذا العمل مستمدة من اللغة الألمانية، فإن الأحكام الأسلوبية التي سننتهي إليها تدفعنا إلى القول: (من الأولى أن يسمى عنوان هذا الكتاب نحو نظرية أسلوبية في اللغة الألمانية) مع الاحتفاظ بالمهمة الأساسية التي تتجلى في توسيع هذه النظرية الخاصة إلى نظرية أسلوبية عامة.

❋ ❋ ❋

الفصل الأول

إشكالية مفهوم الأسلوب

ردّاً على تعدد الآراء وتباين وجهات النظر المرتبطة بالأسلوب والأسلوبية، واستناداً إلى المرتبطة بهما، فقد أعرب العالم اللغوي الأمريكي (غراي) عن قناعته في هذا الباب حين عرض الوضع الحالي لتاريخ البحث في مجال الأسلوب في كتابه (Style . The problem an its solution 1969) ورأى أن هذه الظاهرة غير موجودة إطلاقاً، وموقفه هذا يدعو الباحث؛ كل باحث في هذا المجال إلى الوقوف أمام جملة من القضايا والإشكاليات المعلقة سعياً وراء حل مناسب ومباشر، ومنها:

أولاً - هل الأسلوب موجود فعلاً؟

سؤال مهم طرحه غراي على نفسه باحثاً عن إجابة مناسبة عبر سؤال آخر هو: (هل مفهوم الأسلوب هدف بذاته وحسب، أم أنه مجرد مفهوم وُضِع لإرضاء رغبات أصحاب النزعة التنظيرية؟).

ورداً على تساؤله المذكور هذا رأى أن مجرّد وجود كلمة تشير إلى هذا المفهوم، واستعمالها المتواتر لدى كثير من الناس ليسا دليلين قويين على أصالة

وجوده، الأمر الذي جعله موضع جدل وخلاف في التيارات الأسلوبية الأخرى التي تناولته بحثاً وتعريفاً، لاختلاف المناحي التي انطلقت منها في النظر إليه، ولخضوع تحديده لاهتمامات المعرِّف وللآراء التي تمثلها مدرسته، وهذا ما يتضح في الأحكام الآتية:

- الأسلوب هو السلوك (عالم النفس).
- الأسلوب هو المتحدث / المتكلم (عالم البلاغة).
- الأسلوب هو الشيء الكامن (الفقيه اللغوي).
- الأسلوب هو الفرد (الأديب).
- الأسلوب هو المتكلم الخفي أو الضمني (الفيلسوف).
- وأخيراً الأسلوب هو اللغة (اللساني).

والجهود العلمية المختلفة التي ظهرت في إطار الدرس الأسلوبي.. ترى أنه «من الأولى علمياً الاستغناء عن تصور مستوى غير ضروري لا يمكن إثبات وجوده عملياً أو استنتاجه منطقياً»[1] .

وعلى الرغم من كل ما أثير من خلاف حول إمكانية البدء بتعريف الأسلوب أو بكيفية تعريفه لم يكن هناك شك بوجود الظاهرة «لأن التطابق الوحيد الذي ينشأ مؤثراً بين كثير من الفئات والأحزاب المهتمة مرّه وجود ظاهرة كظاهرة الأسلوب»[2] ، وغراي نفسه يجب أن يعترف أن هذه الحقيقة التي لا تُعَدُّ سبباً يدعو إلى إدراك كون العيب لا يرتبط بالبحث نفسه إنما

---

(١) ينظر هذا الأمر لدى: B. Gray (الأسلوب Style)، ص ١١٠.

(٢) ينظر المصدر السابق، ص ٧.

بنتائجه التي يجب أن تكون مقنعة، وفي هذه النقطة بالذات يمكن للباحث أن يحيل وبكل بساطة إلى المفاهيم اللسانية المقارنة مثل: الكلمة، الجملة، والنص.. التي لا تعرف إلى يوم الناس هذا تعريفاً فاصلاً، على الرغم من عدم إمكانية أي شخص بالطبع إنكار وجود الكلمات والجمل أو النصوص في لغتنا.

أو ليس الأمر كذلك مع الأسلوب اللغوي؟ فصيغ التعبير المميزة لشخص أو فئة أو زمن يمكن البرهان عليها وإثباتها تجريبياً، والأسس النظرية المعتمدة لإثبات جوهر الأسلوب لا تنحصر في الدائرة اللسانية، بل إنها تستمد من علوم كثيرة قريبة منها مثل علم النفس، علم الأجناس، علم الأدب..

إن عدم التوصل إلى أسس عمل في هذا الباب إلى الآن يرجع وبشكل كبير إلى اختلال التعاون والتنسيق بين تلك العلوم المتجاورة(١) ، ويرى بعضهم أن السبب الأساسي في هذا يكمن في المعنى العام لمفهوم الأسلوب نفسه.

فإن لم تنجح اللسانيات في العقود الأخيرة في تطوير تعريف الأسلوب، وكشف نظرية منظمة تخصه، وكشف مناهج مناسبة لتحليله، فالمؤكد أن هذا يقتض الوضع الراهن (للسانيات الأسلوبية) إذا وجدت(٢) ، إلا أنه لا ينفي

---

(١) وهذا ما يتضح جلياً في الأبحاث والمناقشات التي قدمت ودارت في مؤتمر الأسلوبية لعام ١٩٥٨م في Bloomington/ Indiana، ينظر هنا: في الكتاب الخاص (الأسلوب في اللغة Style in language) الناشر: Th. A. Sebeok 1/ 1960م، ٢/ ١٩٦٨م.

(٢) يستعمل N. E. Enkvist مصطلح اللسانيات الاجتماعية في كتابه (اللسانيات والأسلوب Linguistik und Stil) الذي أصدره مشتركاً مع Grgory - Spencer في ص ٤١ وكذلك ص ٦، وكثيراً ما يتردد عنده مصطلح آخر يختزل بهما العلمين في مصطلح جامع هو (Lingostilistik).

وجود الأسلوب ظاهرة مرافقة للغة (Epiphänomen)، فإن لم يكن المرء قد وجد لهذا مفهوماً ناجعاً منذ ما يزيد على ألفي سنة، فإنه يرى نفسه الآن مضطراً للبحث عن مفهوم آخر أو جديد.

وعليه يمكن فهم هذا العدد الكبير من تصورات معنى الأسلوب فهماً إيجابياً؛ لأنه من الخطأ الكامل ألا يرى في هذا سوى انعدام تخطيط الباحثين، وتعدد اتجاهات البحث الحديثة الذي يظهر في تعاريف الأسلوب الكثيرة والمختلفة يقدم في النهاية الأساس للوصول إلى نظرية أسلوبية شاملة[1] وذلك بعد النظرة الناقدة للآراء المختلفة وما تتضمنه من توجيهات جامعة ومتنوعة.

ثانياً - تعاريف الأسلوب

الموازنة بين الظواهر العلمية هي السبيل الأمثل لتحديدها وتعريفها، والوقوف على خصائصها، واللغوي الفرنسي بوفون هو أول من عرَّف الأسلوب تعريفاً نال قسطاً كبيراً من الشهرة والانتشار، وحظاً أكبر من الفهم الذي تباين حيناً وتطابق حيناً آخر حيث قال:

---

(١) يقدم N. E. Enkvist ملخصاً ذا قيمة في هذا المجال ينصح بقراءته لكونه مبوباً تبويباً موضوعياً لافتاً؛ هو: (محاولات لتحديد الأسلوب اللغوي Versuche zu einer Bestimmung des Sprachstils) (on Defining Style, 1964 تعريف الأسلوب)، في اللسانيات والأسلوب ل: إنكفيست وآخرين من الصفحة ٨ - ٥٤، والاستعمال الحذر لما جاء عند غراي في (الأسلوب)، ص ٢٠، ويقدم نظرات موجزة عن الأسلوب كل من:

- R. A. Sayce : (تعريف مصطلح الأسلوب The Definition of the term, Style)، ص ١٥٦ - ١٦٦، و

- T. Todorov : (دراسات في الأسلوب والشعرية Les études du style, poétique) ١/ ١٩٧٠م، ص ٢٢٤ - ٢٣٢.

١ - «الأسلوب هو الشخص نفسه[١] Le style est L'homme même»:

فانطلق في هذا الموقف من إيمانه بأن الأعمال المتقنة كتابياً هي وحدها التي تخلد وليس الخبرات والاكتشافات؛ لأن الأخيرة لا تقع في دائرة سلطة الإنسان، والأسلوب هو الإنسان نفسه؛ لأنه لا يمكن أن يسرق أو ينقل أو يغير، وسوف يظل كاتبه مستحسناً ومقبولاً في الأزمنة كلها، إذا كان أسلوبه رفيعاً وجميلاً وعالياً.

ولم يأت تعريفه هذا من فراغ، إنما كان استجابة لمتطلبات زمانه، فكان مناسباً على مستويي الفن والأدب الرفيعين، متطابقاً مع مواقف علماء آخرين أمثال (لِسينغ Lessing) الذي رأى أن (لكل فرد أسلوبه الخاص كأنفه الخاص به)، وأمثال (غوتيه) «الذي أدلى دلوه في حديثه مع (إيكيرمان Eckermann) حين قال: «إن الأسلوب عموماً هو التعبير الدقيق عما في داخله»[٢] .

ومفهوم الأسلوب الذي ساد في القرن الثامن عشر، وتأصل في الآراء المتزامنة معه حول اللغة والشعر مهّد السبيل، بل صار أساساً لتطور منهج أدبي عدد للبحث في الأساليب الشخصية والخاصة للشعراء؛ منهج ما زال

---

(١) ينظر: Comte de Buffon: (تجليات حول الأسلوب Discours sur le style) باريس ١٩٥٣م، ص ١٣/ كما وينظر: G. Buchmam (الكلمات السائرة Geflugelte Worte) شتوتغارت - زيوريخ - زالتسبورغ، ص ٣٩٧، ومن الملاحظ هنا أن الأعداد الكبيرة من التأويلات والتفسيرات التي ترد في هذا الباب لا يمكن مناقشتها ومتابعتها جميعاً، إنما يكتفى بأخذ نماذج عليها.

(٢) ينظر هذا القول وأقوال أخرى لدى: E. Engel (فن الأسلوب في الألمانية Deutsche Stilkunst)، ص ٢٩

يؤخذ به إلى يوم الناس هذا، لكونه مؤسساً على الإيمان بأن الأسلوب اللغوي في الشعر هو نوع من الأسلوب المصوغ صياغة متميزة.

وهذا الموقف لا يزال يتواتر في الدراسات الحديثة بوصفه أساساً لأي بحث في الأسلوب حين يُرى فيه مثلاً «أن الأساليب الأدبية (ويقصد بها أي صيغة كتابة فردية لغرض أدبي) أشمل من غيرها، وشموليتها تمكنها من الحيازة على سمات تميزها بكل وضوح»[١]، وعليه، وبناء على هذا المنهج فقد كان (للأسلوب الشخصي) مركز الصدارة في كل مجال أدبي خالص[٢].

وهنا لا بد من ملاحظة أن أي تغيير في فهم الأسلوب - ومهما كان صغيراً - لا يمكن أن يتم إلا حين يحصل نوع من الانتقال أو التحول من الشخصية الكلية للفرد، إلى (طريقة التفكير) أو (طريقة الرؤية) الخاصة.

٢ - وهذا التغيير الطفيف أو التحول من الكل إلى الجزء دفع (شوبنهاور Schopenhauer) إلى تقديم تعريف جديد للأسلوب رأى فيه أن «الأسلوب هو التعبير عن معالم الروح»[٣] إلا أنه لم يجد قبولاً لدى الشاعر الفرنسي المشهور (مارسيل بروست Marcel Proust) الذي قدم بديلاً بقوله:

---

(١) ينظر هنا: M. Rifaterre: (الأسلوبية البنيوية Strukturale Stilistik)، ص ٣٠.

(٢) وهذا ما وجد مشروحاً ومدروساً في كل الأعمال الأسلوبية تقريباً، ويظهر بشكل واضح حين جعل غراي الأسلوب كالشخص (Style as the individual) في النقد الأدبي، ينظر في ذلك: الأسلوب، ص ٦٣.

(٣) ينظر هنا: A. Schopenhauer: (Parerga und Paralipomena) الجزء الثاني، ص ٢٨٢ في (أعماله الممة Samtliche Werke) المجلد الثاني/ الناشر/ Von Hubacher فيسبادن ١٩٤٧م، ص ٥٤٧.

٣ – «الأسلوب بالنسبة إلى الكاتب تماماً كاللون بالنسبة إلى الرسام، إنه مسألة رؤية (خيال) لا مسألة تقانة»(١) ويلتقي في هذا (فلاوبرت Flaubert) الذي جعل الأسلوب «فناً بذاته لرؤية الأشياء»(٢) .

هذه التعابير الفلسفية والأدبية في الحقيقة هي الأساس الذي قام عليه منظور الأسلوبيين الحديثين الذين حوّلوا الأسلوب من مجال الفكر إلى مجال شكل التعبير.

٤ – فلاحظ (إنجل Engel) مثلاً «الأسلوب المكتوب هو الشكل اللغوي للفكر»(٣) .

وهذه الصياغة الحكمية المأثورة لدى (إنجل) التي جاءت على حساب الدقة في المحتوى، والتحوير العام الذي قام به (لورد شيسترفيلد Lord Chesterfield) في تلك الصياغة حين قال: «الأسلوب هو كساء الفكر»(٤) دفعا اللغوي (هوغ G. Hough) إلى تقديم تأويل له طابع تفسيري توضيحي لا تعريفي حين قال: الأسلوب هو كساء الفكر، وهو الجزء المميز والمناسب فيه»(٥) ولا يأتي إلا خاصاً، وهو نموذج لهذا الكساء.

(١) ينظر: M. Proust (نحو بحث الزمن A la Recherche du temps Perdu) الجزء الثالث/ الناشر /P. Clarc- A. Ferre باريس ١٩٥٤م، ص ٨٩٥.

(٢) ينظر: G. Flaubert (Oeuvres completes, Correspodance) الجزء الثاني، باريس ١٩٢٦م، ص ٣٤٦، كما وينظر رأي ستيفن أولمن في الترجمة المعدلة (اللغة والأسلوب) ص ١٣٦، الملاحظتان ١٠٨ و ١١٠.

(٣) ينظر في هذا الباب: E. Engel (فن الأسلوب في الألمانية Deutsche Stilkunst) ص ١٩.

(٤) ينظر: Lord Chesterfield (الأسلوب هو كساء الفكر Style is the dress of thoughts) ١٧٤٩م.

(٥) ينظر: H. Hough (الأسلوب والأسلوبية Style and Stylistics) ص ٣، (اللغة هي كساء الفكر، والأسلوب هو المقطع المميز والملائم في هذا الكساء).

٥ - وعرَّفه (بروتو Ch. Bruneau) بهذا المعنى حين قال: «الأسلوب هو إجمالي المزايا والخصائص التي يصفها الفرد في الأثر المكتوب والمنطوق معتمداً على المادة التي تضعها اللغة (المجتمع) بين يديه»[١] .

ولا يحقق هذا التعريف في الواقع سوى خطوة صغيرة نحو المفهوم العام (للأسلوب) فالأسلوب هو «استعمال لغوي شخصي»[٢] أو (كيفية الكتابة) أو (جودة في الكتابة) لا بل إنه (طريقة الكتابة) عموماً[٣] ، وهذا التحديد يؤدي في النهاية إلى تفسير قول (بوفون) من جديد وبطريقة جديدة حين يقال بأن العمل الأدبي هو الأسلوب وليس الإنسان و «الأسلوب هو العمل نفسه Le Style est L'oeuvre même»[٤] .

ولهذا لا بد من التفريق بين اتجاه يرى أن الأسلوب هو «بصمة للفكر ولشخصية فريدة»[٥] ، واتجاه آخر يعد الأسلوب جودة مميزة بل قل وعلى نحو أدق خصوصية اللغة الأدبية الشعرية - وإن كان مرتبطاً به -.

---

(١) ينظر: Ch. Bruneau (الأسلوبيةوفقه اللغة الروماني La stylistique, Romance Philology) ط٥/ ١٩٥١م - ١٩٥٢م، ص ١٤.

(٢) ينظر: K. Voeeler (الوضعية والمثالية في علم اللغة Positivismus und Idealismus in der Sprachwissenschaft) هايدلبرغ ١٩٠٤م، ص ١٥.

(٣) ينظر: P. Guitaud (اتجاهات الأسلوبية Les Tendances de la stylistique contemporaine) في (الأسلوب والأدب Style et Literature) ص ١١، وينظر St. Ulmann: (الأسلوب في الرواية الفرنسية Style in the French Novel) ص ١/ ويضاف إلى هذا ما جاء في البلاغة الحديثة عند: C. Brooks - R. P. Warren (البلاغة الحديثة Modern Rhetoric) نيويورك ط٣/ ١٩٧٠م، ص ٤٨٩.

(٤) ينظر: R. A. Sayce (تعريف مصطلح الأسلوب The Definition of the term) ص ١٦٦.

(٥) ينظر: E. L. Kerkhoff (الوجيز في أسلوبية الألمانية Kleine deutsche Stilistik) ص ١٩.

وبناء على ما تقدم من آراء ومواقف رأى (Enkvist) أن الأسلوب هو ضرب من الإضافة إلى «الغلاف المحيط بالجوهر الفكري أو التعبير الموجود من قبل»[١] سواء أكانت هذه الإضافة:

- إضافة عناصر وجدانية، أو:
- عرضاً مثيراً، أو:
- وحدة بناء فني...

ومن المهام العامة لهذا العمل وبالتسلسل الزمني عرض بعض التعاريف المأخوذة من مصادر أسلوبية متنوعة ومتعددة، بدءاً من (بالي Charles Bally) مؤسس الأسلوبية الحديثة ف (كاوتش Sir A. Quiller - couch وسايدلَر H. Seidler) (حسب الطبعة الأولى والثانية) وريفاتيرّي M. Riffaterre وكذلك كيركوف Emmyl. Kerkhoff:

٦ - «فالأسلوبية إذن - كما يرى بالي - تدرس الصيغ التعبيرية في لغة الأثر - النص - استناداً إلى مضمونها المؤثر؛ أي إنها تدرسها بالنظر إلى الإعراب عن الإحساس بوساطة اللغة، وبالنظر إلى تأثير اللغة بالإحساس»[٢] ، وبمعنى آخر تدرس الأسلوبية الأفعال والممارسات التعبيرية في اللغة المنظمة إلى حد رؤية أثرها المضموني، وذلك من حيث التعبير عن الأعمال الوجدانية باللغة، ورؤية أثر الأفعال اللغوية في الوجدان الحسي.

(١) ينظر هنا: N. E. Enkvist في (اللسانيات والأسلوبية Linguistik und Stil) لـ: (- Enkvist Gergory - Spencer) ص ١٤.

(٢) ينظر: Ch. Bally: (البحث في الأسلوبية الفرنسية Traite de stylistique francaise) الجزء الأول، جنيف/ باريس ط٣/ ١٩٥١م، ص ١٦، فقرة ١٩.

٧ – ولذلك فإن «الأسلوب هو ما استطاع أن يحرك مستويي الفكر والوجدان البشريين بسهولته ورهافته ودقته»(١) .

٨ – و «الأسلوب عمل لغوي وجداني أداته اللغة وهو الذي ينظمها بدقة في هذا العمل»(٢) .

٩ – «والأسلوب هو الصورة الإنسانية بأبعادها العرضية والطولية الناتجة في اللغة من خلال استعمال كل القوى اللغوية»(٣) .

١٠– «والأسلوب مبالغة ذات طبيعة تعبيرية وتأثيرية أو جمالية تضاف إلى المعلومة المنقولة بالتركيب اللغوي من دون تغيير المعنى»(٤) .

١١– «الأسلوب كما نرى هو هذا التناظر بين جزئيات عمل، إنه وحدة متكاملة على الرغم من التعدد في العناصر، إنه وحدة متشابهة في تفصيلاتها في كل تغيير، إنه استمرارية محققة بأنواع متعددة من الأعمال»(٥) .

وتعريف (كيركوف) الأخير هذا متطابق في جوهره مع موقف (شتايغر E. Staiger) الممثل البارز لمنهج التأويل الداخلي للأشعار(٦) ، الذي نادى

(١) ينظر: Sir A. Quiller - Couch: (نحو فن الكتابة On the art of writing) كامبريدج ١٩٢٠م، ص ٢٤٨، والشاهد وترجمته مثبتان هنا حسب ما ورد في (اللسانيات والأسلوب) لـ (إنكيفيست - غريغوري - سبنسر)، ص ٤٨، الملاحظة ٩.

(٢) ينظر: H. Seidler: (الأسلوبية العامة Allgemeine Stilistik) ط١/ ١٩٥٣م، ص ٦١، ط٢/ ١٩٥٣م، ص ٥٨.

(٣) ينظر المصدر السابق نفسه.

(٤) ينظر: M. Riffaterre: (الأسلوبية البنيوية) ص ٣٠.

(٥) ينظر: E. L. Kerkhoff: (الوجيز في الأسلوبية الألمانية) ص ١٥.

(٦) ينظر: E. Staigre: (فن التأويل Die Kunst der Interpretation) زيوريخ ط٤/ ١٩٦٣م، ص ١٤.

بالتخلي صراحة عَنْ مبدأ الأخذ بالتعاريف الكثيرة للأسلوب، الموزعة في المؤلفات الأدبية أو التخلي على الأقل عن تكرار وصف مفهوم الأسلوب لعدم تمكن المرء من الحديث عن تحديدات فاصلة في معظم الأحوال.

ومفهوم الأسلوب الشخصي هو في الأساس مذهب نفسي (وجهة نظر نفسية)، أثبت وجود عاملين مهمين في أي بحث أسلوبي تطبيقي من هذا القبيل، هما:

أ - إدخال ترجمة الشاعر في شرح العمل وتأويل الأقوال الباطنية في العمل بوصفها تصويراً للأحداث النفسية في المؤلف.

ب - ملاحظة الفاعلية الوجدانية أو الجمالية للأعمال اللغوية الفنية، وملاحظة الحالة النفسية المثارة لدى القارئ أو السامع.

وبما أن علم الأدب لا يعزو الفضل إلى هذا المنهج في الدراسات الأسلوبية الكثيرة الملاحظة للفاعلية الوجدانية، على الرغم من اتسامه بالذاتية في دراسة أسلوب الشعراء أو الأعمال الخاصة، ينبغي عدم الاستمرار في الأخذ هنا باتجاه الأسلوبية النفسية التي تعتبر الأسلوب سلوكاً لغوياً تعبيرياً (سلوكاً تعبيرياً expressive behavoir)[1] .

إن النظرة الضيقة جداً التي كانت تحتفظ بالأسلوب بوصفه أسلوباً أدبياً في

(١) ينظر: B. Gray: فقرة: (الأسلوب كسلوك Style Behavoir) من منظور عالم النفس ص ٢٠/ كما ينظر استيفن أولمان في (اللغة والأسلوب) ص ١٣٦، والأمر هنا متعلق في النهاية بالتمييز بين الخاصية والأسلوب؛ لهذا ينصح بالعودة إلى H. Morier: (المستوى النفسي في الأساليب La psychologie des styles) جنيف ١٩٥٩م/ كما ينظر: A. Busemann: (الأسلوب والخاصية) مايزنهايم ١٩٤٨م.

الأعمال الفنية الشعرية من خلال الاستعمال اللغوي الشاذ في الغالب - هي التي مهدت السبيل أمام ظهور المفهوم العام للأسلوب بوصفه «خروجاً على المعيار وذلك بتأكيد الفرق الذي بين هذه الأعمال الفنية واللغة المعيرة».

وبهذا المعنى اعتبر (برونو Ch. Bruneau) الأسلوبية «علماً خاصاً بالشواذات La science des ecrats)»[1] ، ولم يبالغ في الحكم حين عدَّ الأسلوب خروجاً على المعيار، وجعل خروجه هذا على المعهود والمعروف في القواعد عنواناً أسلوبياً نظرياً لمذهب أسلوبي محدد، ولتقريب فكرته هذه على نحو أفضل إلى الأذهان تولى (أوسغود Ch. E. Osgood) توضيحها مقدماً تعريفاً تقريبياً للأسلوب بقوله:

١٢ - «الأسلوب خروج فردي على المعيار لصالح المواقف التي يصورها النص، مع الإيمان بإمكانية تحديد هذه المخالفات بوساطة خصائص إحصائية تتعلق بالسمات البنيوية التي تعرف قدراً ما من الاختيار بخصوص هذا النظام الإشاري»[2] .

هذه الإيضاحات النظرية ساعدت على صياغة مفهوم الأسلوب؛ صياغة تمكن من شرح الشذوذ في اللغة الشعرية، وشرح الشواذات انطلاقاً من صيغة لغوية معيَّرة ومصنَّفة على هذا النحو، ونظراً للخلاف حول نوع المعيار المعتمد

---

(١) ينظر: Ch. Bruneau: (الأسلوبية وفقه اللغة الرومانسي La Stylistique, Romance Philology) ط٥، ١٩٥١ - ١٩٥٢م، ص ٦.

(٢) ينظر: Ch. Osgood: (بعض آثار الدافع في أسلوب التكرار Some Effects of Motivation Style Enconding) في (الأسلوب في اللغة Style in Language) ص ٢٩٣ والشاهد المقتبس هنا ترجمة كل من انكيفيست وغريغوري وسبنسر وذلك في كتاب اللسانيات والأسلوب ص ٥١ الحاشية ٣٤.

أساساً وقاعدة، اقترح ريفاتيرّي «استبدال مفهوم المعيار العام بمفهوم السياق الأسلوبي»[1] ، ورأى أن الأسلوب الأدبي هو الأساس الذي قامت عليه الأسلوبية البنيوية بما فيها من خروج على المعيار.

ولهذا ليس من الغريب أن يتولى علم الأسلوب المعني بالشواذ عرض حقل العمل الرئيسي للغة الشعرية لا عرض الحقل العملي للسانيات الشعرية، وليس غريباً أن يتضمن هذا العرض عملياً تحولاً جوهرياً في المنظور؛ لعدم تعلق موضوعه صراحة بالسؤال عما يعنيه، بل بالسؤال عما يحوّل اللغة إلى لغة شعرية؟ وهذا ما سيبحث فيه بالتفصيل في الفصل التالي لدى الحديث عن الأسلوب الأدبي.

ونظراً لكون الدقة والموضوعية من (المفاهيم الأولية) التي ترتكز عليها اللسانيات الحديثة فثمة طموح قديم لجعل مفهوم الأسلوب المعتمد على الحدس والانطباع مفيداً للمناهج القياسية، وهذه مهمة يؤمل أن تتولاها الإحصائية الأسلوبية الرامية - بوصفها جزءاً من (اللسانيات الرياضية) - إلى «وصف النصوص على نحو يقبل البرهان عليه عددياً وتطبيقياً وذلك بإجراء تحليل كمي للغة»[2] .

هكذا فبالاعتماد على نظرية الأسلوب الإحصائية والمقارنة بين تعاريف الأسلوب وفق مناهج كمية يتبين أن للأسلوب طابعاً مختلفاً كل الاختلاف، «فالأسلوب هو مفهوم الاحتمال aprobabilistic concept»، فيحدد

(١) ينظر: ريفاتيري: الأسلوبية اللسانية، ص ٦٠.

(٢) ينظر: Els Oskar: (الإحصاء الأسلوبي وتحليل النص Stilstatistik und Textanalyse) في الكتاب التذكاري Festschrift لـ: H. Eggers ص ٦٣٠.

(دوليثيك Dolezek) بهذا المفهوم الأساس الأول الذي ينطلق منه في التحليل الأسلوبي الإحصائي[1] مستنداً إلى افتراض ظهور السمات الأسلوبية في توزيع احتمالي قد يوصف حسب رغبة الباحث على الرغم من تنوع التعابير الحقيقية، وتتضح فكرته هذه في التعاريف الآخذة بمبدأ الأساس الأسلوبي الإحصائي لدى باحثين آخرين مثل ب. بلوخ ون. ي. إينكيفست، وW فوكس وذلك في قولهم:

١٣ - «أسلوب أي نص هو الخبر اللغوي المنقول عبر التوزيعات المتواترة لعناصره بكل خصائصها اللسانية واحتمالات نقلها، ولا سيما حين تكون هذه الخصائص متميزة من تلك الخصائص التي تماثلها في اللغة الكلية»[2] .

١٤ - «أسلوب نص ما هو مجموع ما للمستويات اللغوية الواردة فيه من قيم احتمالية مشروطة بالسياق»[3] .

(١) ينظر: L. Dolezel: (الإطار الاصطلاحي للتحليل الأسلوبي الإحصائي A Framework for the statistical of Style) في (الإحصائية والأسلوب Statistics and Style) ص ١٠، وقد جاء هذا مترجماً إلى اللغة الألمانية تحت عنوان (إطار اصطلاحي للتحليل الأسلوبي الإحصائي Ein Begriffsrahmen für die statistische Stilanalyse) في كتاب (الأدب واللسانيات Literaturwissenschaft und Linguistik) الذي نشره J. Ihwe في الجزء الأول ص ٢٥٣.

(٢) ينظر: B. Bloch: (البنية اللسانية والتحليل اللساني Structure and Linguistic Analysis) الذي أورده A. A. Hill الناشر في (التقرير عن اجتماع المؤتمر السنوي الرابع حول اللسانيات وتعليم اللغة Report on the Fourth Annual Table Meeting on Linguistics and Language Teaching) واشنطن ١٩٥٣م، ص ٤٢.

(٣) ينظر: N. E. Enkvist: (نحو تعريف الأسلوب On Defining Style) في: (اللسانيات والأسلوب Linguistics and Style) Enkvist - Gregory - Spencer، ص ٢٨، والشاهد المقتبس مأخوذ من النص المترجم إلى الألمانية للمؤلف نفسه تحت عنوان (اللسانيات والأسلوب) ص ٢٦.

١٥ - «الأسلوب هو مجموع كل الوقائع اللغوية الملموسة كمياً في الصيغة التي بني فيها النص»[١] .

والمؤكد أن الدراسات التي من هذا القبيل أو التحليلات الأسلوبية الإحصائية التي قام بها ثلة من اللغويين، أو تلك التي برزت في أبحاث وكتابات عديدة قد حققت نتائج على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنها قائمة على أساس عددي، قابلة للمراجعة والبرهان عليها تطبيقياً وعملياً، ولأنها مرتبطة بالناحية الكمية للمستويات اللغوية المدروسة مثل:

- طول الكلمات.
- طول الجمل.
- توزع الكلمات المتكررة.
- تكرر أنواع محددة من الألفاظ وتوزعها.
- تكرر صيغ نحوية وبنى نحوية..

فالموضوع هنا متعلق إذن وبكل وضوح بتكرار الخصائص الأسلوبية وتوزعها في البنية الشكلية، فيستطيع المنهج الأسلوبي بتحديد هذه الخصائص، واعتماداً على التحليل الحسابي الآلي للتكرار كشف شروح أسلوبية عديدة كالأسلوب الاسمي، والأسلوب الفعلي، إلا أنه لا يستطيع كشف الجمال الأسلوبي كما تبدي بعض الانتقادات.

(١) ينظر: W. Fucks: (التحليل الرياضي للأسلوب الأدبي/ الدراسة العامة Mathematische Analyse des literarischen Stils, Studium Generale) ط٦ ١٩٥٣م، ص ٥٠، وينظر للمؤلف نفسه أيضاً (التحليل الرياضي للعناصر اللغوية، الأسلوب اللغوي واللغات Mathematische Analyse von Sprachelementen, Sprachstil und Sprachen) ص ١٧، كما ينظر للمؤلف نفسه مشتركاً مع J. Lauter في (الرياضيات والشعر) ص ١٠٩.

وبالنظر إلى المادة التي يختارها الإحصائي هنا، فإنه يظل بحاجة إلى المساعدة، وبخاصة مساعدة اللغويين، وعلماء الأدب الذين قد يبينون له نوع الخصائص التي يكون إحصاؤها مفيداً بشكل عام[١] ، وعلى الرغم من أن (أولمان St. Ulmann) قد اعتبر استعمال الطرق الإحصائية في الأسلوبية مشكلاً، إلا أنه أكّد «أنها تكسب البحث الأسلوبي دقة قد تتطلب جهداً كبيراً»[٢] ، فالدقة الحسابية قد تكون سهلة استناداً إلى مادة لغوية شاملة كالألفاظ في الأقوال المأثورة، والمجازات والصور.. وأما تأثير السياق فيظل غير مراعى، وتغيب الفروق الدقيقة، ويغيب التأثير على الرغم من الرغبة الكلية في الدقة، وتقل نسبياً الفائدة التي يجنيها الباحث الأسلوبي حتى لو كانت الوقائع اللغوية المنطقية قد أديت أداء رقمياً كإحصاء عدد المرات التي وردت فيها كلمة (كرة قدم) في خبر رياضي.

ومهما توجه هذا الاهتمام إلى دراسة أسس مميزة أسلوبياً، فسوف يظل محصوراً في إطار مقطع ضيق من الأسس التي ينبغي أن تدرس مع ملاحظة عدم ارتباط هذا المقطع بالمقاطع الأخرى ارتباطاً ذا معنى، وحاجة هذا البحث المستمرة إلى وقت كبير، وجهود مكثفة لوضع نظام فاعل للتحليل الأسلوبي الإحصائي، وملاحظة أن «جمع الأعداد لن يكون أكثر من مجرد جمع للأعداد»[٣] ما لم يكن معززاً بنظرية فاصلة.

والمنهج الأسلوبي الإحصائي - بوصفه منهجاً موضوعياً للتحليل - له أهمية كبيرة في دائرة الإمكانات التي يعرضها في الوقت الحاضر، والتي ما زالت

(١) ينظر: إنكيفيست وغريغوري وسبينسر: اللسانيات والأسلوب، ص ٢٤.

(٢) ينظر (استيفن أولمان) اللغة والأسلوب، ص ١٣٣ وما يليها.

(٣) ينظر: Ohmann R. في: Ihwe I، ص ٢١٦.

محدودة بالفعل، ومع ضيق دائرة الإمكانات يعرض ل. دوليشيل رؤية مستقبلية عن الموضوع في قوله: «إن مفهوم الاحتمال في الأسلوبية الإحصائية ينبغي أن يعد آلية خاصة للوصف أو يتخذ نظرية مناسبة للأسلوب، ولا يجوز أن يُعَدَّ مجرد جانب ثانوي في نظرية أسلوبية»(١) .

فالأسلوب الانتقائي شأنه شأن الأسلوب الإحصائي قد يكون سمة لمفهوم الأسلوب الحديث المرتكز على اللسانيات، ونظراً لكون الأسلوب - كما أجمعت معظم التيارات - اختياراً بين إمكانات لغوية يقدمها النظام اللغوي للكاتب، يكتفى هنا بتوثيق هذا الموقف بمجموعة من التعاريف التي تعززه، ومنها:

١٦ - «الأسلوب هو الطريقة الذاتية التي تشير إلى كيفية اختيار الفرد في سياق ما ومقام ما مما بين يديه من وسائل لغوية»(٢) .

١٧ - «بوسع المرء أن يعرف الأسلوب كله على أنه كل الاختيارات للأبعاد اللغوية المناسبة التي تضعها اللغة بين يدي كل مستعمل في موقف لغوي»(٣) .

١٨ - «وصف الأسلوب من منظور لغوي خالص يدخله في دائرة إمكانيات الاختيار الحر بين وسائل متنافسة؛ لأنه صورة عملية لوصف موضوع ما من جوانب تنتقى بموضوعية»(٤) .

---

(١) ينظر: .Dolezel L في Ihwe I، ص ٢٥٥.

(٢) ينظر E. Otto في: (مجلة فقه اللغة الحديث Neuphilologische Zeitschrift) ١٩٥٢م، ص ٩٢.

(٣) ينظر :A. A. Hill (مدخل إلى البنى اللسانية Introduction to Linguistic Structures) نيويورك ١٩٥٨م، ص ٤٠١.

(٤) ينظر :E. Agricola في (الإشارة والنظام اللغويان Zeichen und System der Sprache) الجزء الأول برلين ١٩٦١م، ص ٣. كما ينظر المؤلف نفسه (الصيغ اللغوية الاختيارية Fakultative Sprachlische Formen) مقالات/ هالي ٧٩ المجلد الخاص، ١٩٥٧م، ص ٤٣ - ٧٦.

١٩- و «الأسلوب هو الاختيار من النماذج النحوية الخاصة، ومما حققته تلك النماذج من نتائج، إنه الاختيارُ من وحدات الثروة اللفظية، ومن تناسقات الوحدات اللفظية من جهة، ومن جهة ثانية إنه الاستغناء من عناصر ووحدات أخرى حسب هذا المفهوم»[١] .

٢٠ - «والأسلوب بالمفهوم الحديث معناه إنشاء نص عن طريق اختيار إمكانيات نحوية ومعجمية من الثروة اللغوية على نحو فردي وتكرار حتمي»[٢] .

فـ «القول الرفيع إذن هو الأسلوب الرفيع كما أشار إنجل E. Engel في مقدماته الموجزة بوصفها أعلى شيء في أسسه الأسلوبية»[٣] ، ونظراً لمطالبة Engel باختيار الوسائل اللغوية على نحو يناسب المحتوى الفكري فقد اقتصرت مطالبته الوظيفية على البحث عن بديل لجعل (الأسلوب انتقاء). وهذا الرأي المميز في البحث الأسلوبي الأدبي تتضح أهميته بمقارنته بالتعريف الآتي لـ (ديلبويل P. Delbouille):

٢١ - «العمل الأسلوبي هو العنصر اللغوي الذي يؤخذ في الحسبان لكونه يستعمل في نتاج أدبي ما لغايات أدبية»[٤] .

---

(١) ينظر :A. McIntosh (اللغة والأسلوب Language and Style) في (علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics) للناشر Pride-Holmes، ص ٢٤٨.

(٢) ينظر :H. Friedrich (ثلاثة مؤلفين كلاسيكيين للقصة الفرنسية Drei Klassiker franzosischen Romans) فرانكفورت ط٥/ ١٩٦٦م، ص ١٤.

(٣) ينظر فن الأسلوب الألماني ص ٢٠.

(٤) ينظر :P. Delbouille (بخصوص تعريف الواقع الأسلوبي - دفاتر التحليل النصي A propos de la definition du fait style, Cahiers d'Analyse Textuelle) ط٢/ ١٩٦٠م، ص ١٠٣، كما ينظر استيفن أولمان: (اللغة والأسلوب) ص ١٤٣ حيث الحاشية ١٣٥ مترجمة أيضاً.

ولهذا فقد جعلت (Elise Riesel) الجانب الوظيفي لأي استعمال أسلوبي أساساً في تعريفها للأسلوب غير متناسية الآراء الأسلوبية الخاصة بمدرسة (براغ) قبل غيرها، ويمثل موقفها هذا قولها:

٢٢ - «الأسلوب حركة حتمية مؤكدة تبين كيفية اختيار العناصر المفردة من النظام اللغوي وبنائها في مرحلة محددة من تطوير اللغة لأغراض إخبارية محددة وفي مجالات محددة من التعامل الاجتماعي»[١] .

فالاتجاه الوظيفي في تعريف الأسلوب منطلق عملياً من حاجة مضمون الكلام والهدف منه إلى اختيار خاص للعناصر اللغوية؛ لأن الأسلوب الخاص أو الأسلوب الشخصي، كما في نصوص الوثائق الحكومية أو الطلبات الموجهة من الأفراد إلى جهة رسمية ما له هدف محدد، ولهذا لا يلقى هذا الجزء المشترك من الأسلوب اهتماماً كبيراً في التعاريف الأسلوبية الأخرى.

وبالإضافة إلى ما سبق ثمة تعاريف أخرى حديثة العهد لا يمكنها أن تدخل تحت مفهوم الأسلوب الخاص، والأسلوب الاستثنائي الشاذ، والإحصائي، والانتقائي، والوظيفي، وخير مثال على ذلك تصريح (هارتمان P. Hartmann) المستوحى لغوياً واجتماعياً لما فيه من معانٍ كثيرة:

٢٣ - «الأساليب هي لون من اللغة في لغة»[٢] .

---

(١) ينظر: E. Riesel (أسلوب الكلام اليومي في اللغة الألمانية der Stil deutschen Alltagsrede) موسكو ١٩٦٤م، ص ٣٥. لم يؤخذ هذا الكلام في النسخة المعدلة والمنقحة الصادرة في لايبتسيغ ١٩٧٠م.

(٢) ينظر: P. Hartmann (اللغة بوصفها مشكلة لسانية Die Sprache als Linguistisches Problem) في (اللغة الألمانية في القرن العشرين Die Deutsche Sprache in 20 Jahrhundert) غوتينغين، ط٢/ ١٩٦٦م، ص ٥٨.

وصياغته للأسلوب بهذا الشكل مرتبطة مباشرة بالعنوان المشهور لـ(فينتر W. Winter) (الأساليب كاللهجات) ويمكن أن تشرح مثلها، وفيها إشارة إلى نظريات ما زالت بحاجة إلى دقة في التحضير، كنظرية (المدونات) ونظرية (المستويات) الكثيرة التي يعرفها الأسلوب»[١] .

ويتفق هذا الموقف من حيث الحاجة إلى دقة في الإعداد مع طموحات النحو التحويلي والتوليدي الذي يسعى بدوره إلى شرح الأسلوب على المستوى التركيبي بوصفه استعمالاً/ تطبيقاً متنوعاً لتحويلات محدَّدة توصل في النهاية إلى أوجه تعبيرية: فـ: «الأسلوب المميز لكاتب ما يتميز بالاستعمال المميز لتحويلات معينة»[٢] وهذا الموقف هو الذي دفع (هـ هيلبيغ) إلى عرض تصوره الأساسي عن الأسلوب حين قال:

٢٤ - «وعلى هذا النحو عُدَّ الأسلوب شكلاً من أشكال التحويلات الاختيارية السائدة عند مؤلف ما»[٣] ، فكما يصف النحو التوليدي في الأساس ما في الجملة من نحو، فإنه يقصر مفهوم الأسلوب الذي يرتبط به على حقل الجملة.

---

(١) ينظر مثلاً: D. Delas: (كشوف والمستويات اللغوية للكتاب Registers et niveaux dans la Langue des ecrivains) في (الفرنسية في العالم le Francais dans le monde) العدد ٦٩/ ١٩٦٩م، ص ٤٧ - ٥٠، كما ينظر: إينكفيست وغريغور وسينر في (اللسانيات والأسلوب) ص ٥١، (الحاشية ٣٩) وص ٩٢ (الحاشية ٣١)، وينظر أيضاً T. Todorov: (دراسات الأسلوب والشعر Les études de style, Poetique) ١/ ١٩٧٠م، ص ٢٢٤.

(٢) ينظر J. Guntner-E. Weib في: (تحويلات، الأسلوب والدلالة، Transformationen stil und Bedeutung) J. Jacobs- Rosenbaum، مقدمة ص ٨. كما ينظر في المصدر نفسه الصفحات: ٣٥، ٥٤، وعلاوة على هذا ينظر: (الأسلوبية البنيوية) ص ١٩.

(٣) ينظر: G. Hellbig: (تاريخ علم اللغة الحديث) ص ٣١٩.

ويعد ربط (آ. آ. هيل) الأسلوب منذ سنين بما «بين العناصر اللغوية من صلات على مستوى أوسع من الجملة أو ربطه بما في النص من ترابط وتناسق داخليين»[1] اتضح موقف علم اللغة النصي حديث النشأة من الأسلوب على لسان (ر. هارفيغ) بالآتي:

٢٥ - «الأسلوب هو آلية بناء النصوص»[2] .

إن التعاريف التي أشرنا إليها متميزة بالشمولية، آخذة بالتيارات جميعها، جامعة بين أسسها، عاملة بمعطياتها حسب الهدف المنشود من الدرس الأسلوبي، وهذا أمر لا يحتاج إلى برهان؛ لأنه واضح ومعمول به في معظم الدراسات الأسلوبية الحديثة، ومن هذا مثلاً ما جاء على لسان كل من (ميشيل G. Michel) و (ريزل R. Riesel) و (سوفينسكي B. Sowinski) الذين عبروا عن موقفهم صراحة بقولهم:

٢٦ - الأسلوب هو «مجموع ما في الكلام من بدائل اختيارية، تأتي على شكل احتمالات ترادفية، يرتبط استعمالها بمعايير اجتماعية محددة لعرض واقعة أو حدثٍ لغوياً»[3] .

٢٧- «والأسلوب بهذا المعنى هو الاستعمال اللغوي الحقيقي في مجال محدد من مجالات الفعالية البشرية بطريقة تتغير فيها مع الزمن، فترتبط هذه الطريقة

---

(١) هذا الشاهد مستشهد به بناء على ما ذكره N. Ruwert في Ihwe II/1, S. 202

(٢) ينظر: R. Harwig (الأسلوبية ونحو النص Stilistik und Textgrammatik) في (مجلة اللسانيات وعلم الأدب Zeitschrift für Literaturwissenschaft und Linguistik) الجزء الثاني/ ١٩٧٠م، الدفتر ٥ ص ٧١.

(٣) ينظر: G. Michel, u. a (مدخل إلى منهج البحث الأسلوبي Einführung in die Methodik der Stiluntersuchung)، ص ٣٤.

بظرف وظيفي وتعبيري، بحيث تكون مجموع الوسائل المعجمية والنحوية والصوتية التي تنتقى حسب الغرض وتنظم حسب المعيار هي السبيل إلى تنفيذ هذه الطريقة من الاستعمال»[١] .

٢٨ - «الأسلوب هو شكل من أشكال استعمال بدائل لغوية مناسبة ومحددة استعمالاً متواتراً لأغراض تعبيرية محددة، إنه شكل من الاستعمال الموحد نسبياً المتميز مقارنة بالنصوص الأخرى كل مرة»[٢] .

هذه المختارات التوفيقية المذكورة عن تعريف الأسلوب، قد يكون لها دور توضيحي أكبر من دور كل الشروح المستفيضة في بيان مدى التغير الذي لا يزال يشهده مفهوم الأسلوب، هذا إذا علم بأن محاولات تعريف ماهية الأسلوب، أو ما ينبغي أن يكون عليه كثيرة وتتناسب طرداً مع عدد المساعي التي شهدتها الأسلوبية من أبحاث؛ ولهذا نشير إلى ثلاثة أنواع مميزة من محاولات التعريف التي ذكرت في المقدمة وهي:

- تعاريف تتضمن ملاحظة لافتة، وتجذب لأول وهلة إلا أنها تسقط أمام التفاصيل التطبيقية والتجريبية.

- تعاريف تسعى من منظور منهجي إلى فهم الأسلوب بدقة قدر الإمكان، إلا أنها تتعرض بالضرورة لانتقادات الاتجاهات الأخرى حين يطلب منها أن تكون صالحة صلاحية عامة منذ ظهورها.

- تعاريف تطمح إلى تقديم وصف شامل للظاهرة بكل الأشكال التي تظهر

---

(١) ينظر: E. Riesel (علم الأسلوب في اللغة الألمانية Stilistik der deutschen Sprache) ص ٩.

(٢) ينظر: ب. سوفينسكي: (أسلوبية اللغة الالمانية) ص ٢٧.

فيها، إلا أن الأمر فيها وفي أغلب الأحيان يظل محصوراً في الصياغات العامة غير الملزمة، فتبقى قليلة التأثير.

فإذا كان اختزال التعاريف في الأساس أو جمعها في تعريف شامل يعاني هذا، فإنه من النادر أن تستحسن ظاهرة الأسلوب بشموليتها أيَّ خيار آخر، ولهذا يجب أن يتوجه الهدف من البحث الأسلوبي - والرغبة على ما يبدو آخذة سبيلها نحو هذا الاتجاه - إلى تحويل التعاريف المنضوية تحت النوع الأخير إلى تعريف عام يلقى قبولاً واسعاً لدى معظم التيارات والمذاهب، وذلك بمراعاة اللغة المفردة والدقة فيها وأخذها في الحسبان.

ثالثاً - مشكلة الأسلوب

لقد قيّمت الدراسات الأسلوبية المعاصرة الأحكام والآراء التي تناولت جوهر الأسلوب وماهيته تقييماً لا يدعو إلى التفاؤل؛ لأن «الأسلوب بكل ما تعنيه هذه الكلمة من دلالات معناه الآلية التي يكتب أحدهم وفقها؛ ولأن هذا المعنى هو بالتأكيد كل ما قيل حول موضوع ظل - وعلى نحو عجيب - غامضاً وغير مدروس من زوايا نظرية»[1].

فالطريقة - وبعبارة أصح - الطريقة المميزة لكتابة أحدهم هي تأصيل لكلمة (أسلوب Stilus) اللاتينية التي كانت تعني في البداية (قلم الكتابة)، إلا أن نقل معنى (الكتابة إلى طريقة الكتابة) قد أوصل مفهومها لاحقاً إلى معنى (الطريقة

(١) ينظر: R. Ohmann في Ihwe الجزء الأول ص ٢١٣.

الخاصة للكتابة والتعبير) والألمانية مثلاً لم تعرف هذه الكلمة إلا منذ مطلع القرن الخامس عشر[١] .

إلا أن التدقيق في معاني هذا القول الذي يشير إلى خصوصية الأسلوب وفهمه فهماً عاماً، يبين أنه قول لا يزال محدوداً؛ لأن السؤال في حقيقته ينبغي أن يأخذ شكلاً آخر هو: أليس للأسلوب وجود في اللغة الظاهرة، وهل هو مقتصر على اللغة المكتوبة؟ وهذا السؤال - كما أرى - يضع الباحث وجهاً لوجه أمام قضية أخرى تشكل القضية الأساسية في البحث الأسلوبي الحديث؛ ألا وهي مسألة العلاقة بين الأسلوب اللغوي (الذي يتضمن اللغة المنطوقة أيضاً) والأسلوب الفردي (بوصفه الشكل الأمثل للأسلوب المكتوب).

واللافت هنا أن القضية الأولى التي طرحها (غراي) عن موضوع وجود أسلوب أو عدم وجوده يعيد طرحها باستمرار وعلى نحو آخر ومعدّل (أسلوب أو ليس بأسلوب؟)، وهذا الطرح المتجدد لسؤاله يدعو إلى افتراض وجود مقولات لغوية تناسبها خاصية أسلوبية ما، في الوقت الذي لا تناسب فيه هذه الخاصية مقولة لغوية أخرى.

وهذا التوجه ليس وليد اليوم، بل إنه قديم، فقد قال غوتيه عام ١٧٨٣م:

(١) ينظر E. Castle: (في تاريخ تطور مفهوم كلمة أسلوب Zur Entwicklungsgschichte des Wortbegriffs Stil) في (الدورية الشهرية للغتين الجرمانية والرومانية Germanisch- romanische Monatsschrift) العدد ٦ للعام ١٩١٤م، الصفحة ١٥٣ - ١٦٠. كما ينظر A. Semproux: (ملاحظات حول تاريخ مفهومي الأسلوب والأسلوبية Notes sur l'histoire de mot, style, et, stylistique) في (مباحث بلجيكية في فقه اللغة والتاريخ revue Belge de philologie et d'histoire) العدد ٣٩/ ١٩٦١م، ص ٧٣٦ - ٧٤٦.

«إنه لمن المناسب أن تراعى كلمة أسلوب مراعاة خاصة، ليبقى في حوزتنا تعبير أو مفهوم خاص نميز به الدرجة الرفيعة التي يمكن أن يبلغها الفن»[١].

ومن يجد نفسه متفقاً مع آلية تفكير القرن الثامن عشر، فسيدرك أن ما عرفه ذلك العهد من آراء مثالية تظهر بجلاء في المواقف التي ترى أن الأسلوب فن رفيع، إلا أن ما تبقى من مفهوم ذلك العهد هو أن الأسلوب هو الإطار الذي تتجلى فيه فنية القطعة اللغوية.

وبهذا تحوّلت قضية الأسلوب وبالتأكيد إلى السؤال: وماذا تعني القطعة الفنية؟ والإجابة عنه لا تحتاج إلى مناقشة ما يحوّل العمل اللغوي إلى عمل لغوي فني، ومناقشة كيفية التمييز بين الأعمال ذات الأسلوب والأعمال التي ليس فيها أسلوب؛ لأن لغة الكلام الحديثة فيها عدد كبير من الأساليب المتنوعة التي لها طابع شخصي واجتماعي ووظيفي، ولا تقتصر على المجال الفني، وهذا ما يدعو إلى التحدث عن:

- أسلوب الخبر الإذاعي.
- أسلوب صحيفة/ أو أسلوب الخبر الصحفي.
- أسلوب وصفة خاصة بالطبع.

هذا يعني أنه من الممكن اليوم أن يلاحظ «أن كل تعبير ومهما كان صغيراً له أسلوبه الذي يتميز به»[٢].

(١) ينظر: J. W. von Goethe (أبسط محاكاة للطبيعة، المنهج والأسلوب Einfache Nachamung der Natur, Manier, Stil) في (أعمال غوتيه Goethes Werke) طبعة هامبورغ ١٢/ هامبورغ ١٩٥٣م، ص ٣٤

(٢) ينظر: M. Jelinek في (الأسلوبية وعلم اللغة الاجتماعي Stilistik und Soziolinguistik) للناشرين/ R. Benes-J. Vanek ص ٥٦

وما الحاجة إلى وضع تدريج تقييمي سوى نتيجة عملية لتضمن نقض الثنائية - أسلوب أو لا أسلوب - بياناً بالفروق التي تميز الأسلوب؛ أي إن أزواج الصفات التقديرية (معقد/ بسيط) و (رفيع/ عال) مثلاً ترد في المقتضيات ذات الأحكام الاختيارية (ذو أسلوب ومن غير أسلوب)، وبوجه عام يكون الكلام في مثل هذه الحالات عن (أسلوب قبيح/ أو أسلوب جيد).

«وكما هو الأمر في النحو الذي يستعمل أسساً تقويمية مثل (صحيح وخطأ)، فإن الأسلوبية تستعمل أسساً تقويمية خاصة بها أيضاً مثل (جيد وقبيح)، وهذا التقويم الأسلوبي يأخذ دائماً بالمعيار المنظَّم أسلوبياً، وأما المعيار النظمي الإرشادي والتوجيهي الذي يمكن الإفادة منه هنا فهو الحكم (مناسب»)[(١)] . وبمقدور المرء أن يلاحظ أن مثل هذه التقييمات الأسلوبية ما هي إلا أقطاب متعاكسة في معيار متدرج من الإمكانيات الأسلوبية - على عكس التمييز النحوي الاختياري بين الممكن وغير الممكن -[(٢)] .

ولهذا أرى أنه من المفيد هنا أن يشار إلى وجود نوع آخر من تقويم الخصائص الأسلوبية؛ تقويم يرتكز على التصنيف المعاصر، فيشير إلى تلك الخصائص - وفي أحسن الأحوال - بالأسس (جميل وقبيح)[(٣)] ، أما إذا كان الأسلوب الفني أو الشعري هو المعني بالتحليل والتقييم، فإن الأحكام (قبيح وجميل/ جيد وسيئ) ومثلها (صحيح وخطأ) لا تعطي العمل حقه؛ لأن التعامل في مثل هذا الأسلوب يتم بمفاهيم جمالية وأدبية خاصة.

---

(١) ينظر Chr. Agricola في: (اللغة الألمانية Die deutsche Sprache) المجلد الثاني، ص ١٠٢١/ كما ينظر :B. Sowinski (الأسلوبية الألمانية Deutsche Stilistik) ص ٧٥

(٢) ينظر هنا ما ذكره Riesel من كشوف عن بعض الاستعمالات الأسلوبية وذلك في كتابه (الأسلوبية في اللغة الألمانية Stilistik der deutschen Stilistik) ص ٢٥

(٣) ينظر :H. Rupp (الاستعمال اللغوي والمعيار والأسلوب Sprachgebrauch, Norm und Stil) ص ٣٠ إلى جانب مصطلحي (جيد - قبيح) دون أن يكون فرق بينهما.

ولدى القبول بهذا الجدول التصنيفي الذي أوصلت إليه الأسس العامة المفهومية (صحيح/ خطأ، جميل/ قبيح) يلاحظ نشوء توازٍ لافت مع «النماذج الثلاثة للبناء اللغوي - كما رسمها ف. آ. كوخ • معلومة، أسلوب، جمال»[١].

وهذه النماذج الثلاثة قد يولد المرء منها تقسيماً خاصاً بالعلوم التي تتخصص بدراستها والبحث فيها، وهي على التوالي: علم اللغة - وعلم الأسلوب - والشعر، ومن هنا جاءت الاستقلالية التامة للأسلوبية كما هي ممثلة لدى [St. Ulmann] الذي قال: «الأسلوبية ليست فرعاً في علم اللغة، إنما هي علم موازٍ، يعالج القضايا نفسها التي في علم اللغة ولكن من زوايا مختلفة»[٢].

إلا أن مثل هذه الآراء ليس لها عموماً سوى قيمة نظرية؛ لأن الأسلوبية لم تأخذ في الواقع بعد شكل العلم المستقل، بل ما زالت تدمج في اللسانيات، أو تأتي مشتملة في علم الأدب، ومن هنا يأتي الدافع إلى القول باحتلال الأسلوب مركزاً وسطاً في الميادين التي يتداخل فيها كل من اللسانيات والأدب.

وبعد هذه المواقف كلها يمكن القول: من المسؤول إذن عن الأسلوب والأسلوبية؟ وهل هناك علم خاص، أو فئة خاصة تتخصص فيه أم أن الأمر

(١) ينظر: W. A. Koch: (التحليل اللساني والبنيات الشعرية Lingustische Analyse und Strukturen der Potizitat) سلسلة أوربيس ١٩٦٨م، ص ٥ - ٢٢، وهنا ص ٨ و ١٩

(٢) ينظر: St. Ulmann: (الأسلوب في الرواية الفرنسية Style in the French Novel) ص ١٠

مفتوح؟ ومن يتبع المراحل السابقة واللاحقة للدراسات الأسلوبية المعنية بالجانب الفني في اللغة المؤداة يلاحظ أن الأسلوبية قد أخذت شكلاً بدت فيه مسؤولية الدراسة فيها لا تقتصر على علماء الأدب، إنما يشاطرهم علماء الأدب في ذلك أيضاً.

* * *

الفصل الثاني

أسلوب لغوي أم أسلوب أدبي؟

لو افترضنا جدلاً أن الباحث الأسلوبي اليوم لا يقبل بدعوة غراي (عدم وجود موضوع خاص بالأسلوب) ويرفضها كلياً، إلا أنها دعوة مهمة ولا نقوى على إنكار أهميتها لدى بحثنا في الأسلوب، وهذا ما يمكن إجلاؤه فيما يلي:

فعلى الرغم من الدراسة الواسعة لمسائل الأسلوب في هذه الأيام فإن القضايا والمستويات التي تبحث فيها تتباين، وتتباين معها النتائج التي يتوصل إليها سواء في المستوى الواحد أو في المستويات كلها، وذلك لاختلاف الآراء والمناهج التي يعمل بها في هذه الدراسات، ولا يقتصر الاختلاف هذا على ما كان عاماً منها بل إنه يبرز حتى في المسائل والمواقف التي يعتمد فيها على اللسانيات منطلقاً وأساساً للدراسة، ولهذا كله فقد افترضت التعمية الواسعة في باب التمييز بين الأسلوب اللغوي والأسلوب الأدبي.

ولشرح الآلية التي يتم فيها بناء البحث الأسلوبي وعرض الأخطار التي يتعرض لها، لابد من تقديم شرح موجز عن تاريخ اللسانيات والمراحل التي

خلت من الدرس الأسلوبي لما قد تضمنته تلك المراحل من معطيات قد تفيد البحث الجديد.

أولاً - عدم التطابق بين التطور اللساني العام والتطور الأسلوبي النظري

على الرغم من أن عصر الفيلسوف الألماني المشهور (نيتشه) لم يشهد في الحقيقة انشغال سوى عدد قليل من العلماء باللغة السائدة آنذاك، إلا أنه وفي عام ١٨٦٩م، قد كتب عبارة معهودة جاء فيها «اللغة هي من أكثر الأشياء المتداولة في اليوم، ولا بد لمن يشتغل بها من أن يكون فيلسوفاً»[١] .

فحتى منتصف القرن العشرين كان الاهتمام باللغة موجهاً إلى المكتوب منها بشكل خاص، فكانت المنتجات الفنية (الشعرية) ولا سيما تلك التي ترجع بجذورها إلى الماضي هي التي تدرس في معظم الأحيان، هذا مع العلم أن علم اللغة التاريخي متأسس أصلاً على الأدب (أي على المنتجات الأدبية المدونة وذلك لإغفاله اللغة المنطوقة).

ومن أبرز علماء تلك المرحلة (هارمان باول) الذي تعصب للدراسة التاريخية، وأنكر «احتمال وجود دراسة علمية أخرى للغة غير الدراسة التاريخية»[٢] ، وساد موقفه هذا زمناً طويلاً في ألمانيا إلى أن جاء

(١) ينظر في المجلدات (المنشورة في الموزاريون ٢)، ميونيخ ١٩٢٠م، ص ٢٩

(٢) ينظر: Hermann Paul (أسس تاريخ اللغة Prinzipien der Sprachgeschichte) ماالي ٥/ ١٩٢٠م، توبينغين ١٩٦٨م، ص ٢٠/ كما ينظر: E. F. Koerner (هارمان باول واللسانيات التزامنية Hermann Paul and synchronic Linguistics) في مجلة Lingua، العدد ٢٩ للعام ١٩٧٢م، ص ٢٧٤ - ٣٠٤

سوسيور الذي خالفه حين عدَّ اللغة نظاماً إشارياً تزامنياً، وأعطى اللسانيات الحديثة بهذا دفعاً عملياً للتوجه إلى البنيوية[١]، التي لم تعرفها ألمانيا إلا لاحقاً، والتي حصل فيها تحول جديد على يدي (تشومسكي)[٢] الذي طور نموذج النحو التوليدي والتحويلي منذ منتصف الخمسينيات وتادى بالاستمرار عليه.

لقد كان لـ (سوسيور) و (تشومسكي) الدور الرائد في بناء الصرح الأساسي للمصطلحات اللسانية؛ فالأول أجرى تمييزاً ثلاثياً[٣] بين الكفاءة اللغوية (Langage) واللغة (نظام اللغة) (Langue) والكلام/ الاستعمال اللغوي الفعلي (Parole)، وأما الثاني فقد لاحظ تطابق مفهومي سوسيور الأخيرين

---

(١) ينظر بالتفصيل ما قدمه: M. Bierwisch من ملخص في هذا المجال في كتابه: (البنيوية تاريخها وقضاياها ومناهجها Strukturalismus. Geschichte, Probleme und Methoden) الكتاب الوجيز ٥/١٩٦٦م، ص ٧٧ - ١٥٢/ وأعيد طبعه في الجزء الأول من Ihwe ص ١٧ - ٩٠، وينظر بشكل خاص ص ٨١ و ٢١/ كما ينظر H. Steger في (مقترحات حول نحو بنيوي في الألمانية Vorschläge für eine strukturale Grammatik des Deutschen) مقدمة هذا الكتاب ص٧، وينظر أيضاً: G. C. Lepschy (اللسانيات البنيوية Die Strukturale Sprachwissenschaft) ميونيخ ١٩٦٩م، وينظر أيضاً: G. Helbig (تاريخ علم اللغة الحديث Geschichte fer neuren Sprachwissenschft) ميونيخ ط٢/ ١٩٧٣م.

(٢) وينظر في مثل هذا الموضوع: J. Lyons «توام تشومسكي» ميونيخ ط٢/ ١٩٧٢م، ص ١٣

(٣) ومن الممكن أحياناً أن يثبت أن هذا العالم الاصطلاحي السوسيوري الذي أصبح مشهوراً وورد مثبتاً في الألمانية لدى كل من Fr. Hegel و W. von Humboldt و G. von Gabelenz وغيرهم قد استقي من محاضرات H. Steintals في برلين، ولهذا ينظر: E. Coseriu (مدخل إلى اللسانيات البنيوية Eingführung in die strukturale Linguistik) توبنغن ١٩٧٦م، ص ٣٥، كما ينظر: F. Kainz (التأصيل الفلسفي وعلم الدلالة التاريخي Philosophische Etymologie und historische Semantik) فيَنّا ١٩٦٦م، ص ١٨

لديه تطابقاً جوهرياً مع ثنائيته المعروفة: إتقان اللغة/ الكفاءة اللغوية (Kompetenz) والأداء اللغوي أو استعمال اللغة (Performanz) وذلك حين يحول المنظور السكوني إلى منظور حركي[1] .

لقد اعتمدت النظرية اللسانية في بداية تأسيسها ولأسباب بحثية تاريخية اعتماداً مميزاً على اللغة والنظام اللغوي العام للمتكلم والمستمع المثاليين، واستبعدت بشكل مقصود كل المسائل المرتبطة بالكلام وأدائه العملي، غير أن هذا الاتجاه الذي كان مقتصراً على دراسة اللغة النظام قد طوِّر حديثاً فصار يهتم بالجانب المهم من اللغة؛ وهو اللغة كما ينطق بها[2] ، ولهذا صار يصف بمنهجية واضحة ما يلي:

أ - النظام اللغوي للغتنا المعاصرة.

ب - الاستعمال الحقيقي لهذا النظام في اللغة المنطوقة.

وبالمقابل يلاحظ أن البحث الأسلوبي إجمالاً لا يزال يتمسك بالأسس القديمة، ويسعى إلى مواصلة استعمالها اعتماداً على ما تعرفه الدراسات المعاصرة من مناهج جديدة دون أن تغير كثيراً في المادة.

والسؤال البارز الذي يتواتر بين الباحثين المعاصرين ويشغلهم دائماً هو: وهل هذا الإجراء من حيث الاستمرار على الأخذ بالأسس القديمة يكفي اليوم؟ فإن أراد إنسان متوحش في أيامنا هذه أن يفترس ضحيته مستعملاً الشوكة والسكين وكل ما قدمته له الحضارة المعاصرة من أدوات متطورة

(١) ولمعرفة الفروق ينظر: Noam Chomsky (اتجاهات نظرية علم بناء الجملة -Aspekte Syntax-Theorie) فرانكفورت - برلين ١٩٦٩م، ص ١٤

(٢) يتضح بتأمل الفصل القادم وما عرض فيه من مصادر ومراجع.

للأكل، فإن هذا قد لا يغير بالطبع من وحشيته، إلا أن التفاؤل قد جعل بعضهم يمزجون بين الحديث والقديم، إلى درجة حاولوا فيها أن يوجزوا أسس البحث الأسلوبي الحديثة والقديمة، وبخاصة ما قد تم تحسينُه منهجياً من القديمة بما يلي:

- الاقتصار تقريباً على اللغة المكتوبة دون سواها.

- التفضيل المميز للإنتاج اللغوي الأدبي.

- التفضيل الواضح للأساليب التاريخية من منظور الدراسة التاريخية في حال التأليف المبدئي.

وعلى كل الأحوال يظهر التعقيد في دراسة المسائل الأسلوبية جلياً، ويشبه التيه المنهجي في البحث الأسلوبي المعاصر بالدرب المسدود الذي كان علم اللغة التاريخي قد سلكه مؤخراً؛ ويلاحظ أن التوجه إلى آثار أدبية، ونتاج فني لغوي يستمد من عهود قديمة، ويتخذ مثالاً، لا يعطي في النهاية صورة دقيقة[1]، إذا ما قورن هذا النتاج باللغة الحقيقية؛ ولهذا لن يحقق البحث الأسلوبي نجاحات جلية حتماً، ما دام الأسلوب نفسه يدرس بشكل محدود ومن منظور الأدب والاقتصار عليه.

وهذا ما يتضح في الدراسات الأسلوبية القائمة على قاعدة لسانية، وعلى نحو منظم نسبياً من حيث إمكانية جمع معظم الأعمال الحديثة المتعلقة بالأسلوب تحت عنوان واحد جامع هو (علم الأدب واللسانيات).

(١) ولا بد أن يضاف هنا أن هذه الصورة غير الدقيقة لم تكتسب شرعيتها لاحقاً إلا من خلال ربط علم اللغة بتقعيد ما قد اعتبر باللغة الألمانية الجيدة، وينظر أيضاً ما قد سيأتي تحت عنوان المعيار اللغوي.

ثانياً - الأسلوب خروجاً على المعيار

إن تعريف الأسلوب خروجاً على المعيار «مذهب بحثي أسلوبي، ركيزته الأسلوب الأدبي»[١] ، فتعد اللغة العادية الحالات التي تخرج على المعيار أخطاء، غير مقبولة، وتعدها اللغة الشعرية شواذات يمكن استعمالها، وتذهب أبعد من هذا، فترى أن الجودة الشعرية لأي عمل لغوي معتمدة على هذه الحالات.

إن مشكلة الخروج على المعيار (Deviation) مرتبطة كل الارتباط بما عرفته اللسانيات الحديثة من جهود كبيرة لإجراء تحليلات دقيقة لبنى لغوية شعرية؛ جهود يجد المرء نفسه فيها - بالنظر إلى الفروق المميزة مقارنة بالبنى العادية - أمام خيار إدخال نوع آخر (مصنف على نحو آخر) من عناصر هذه المادة اللغوية في النموذج النحوي المعمول به، وهذا يعني من الناحية العملية:

- توسيع هذا النموذج بعدد غير محدود من القواعد الإضافية إلى درجة يتعذر فيها تطبيقها.

- أو وضع نحو شعري خاص قد تقتصر فائدته على أعمال خاصة وشعراء محددين.

ومن الجدير بالذكر أن الصعوبات التي يقابلها التأويل اللساني لهذه الشواذات أقل بكثير من الصعوبات التي تقف أمام تقويمها نحوياً وشعرياً، إذ يحتمل - وكما يرى باوم غيرتنر - «أن تخضع هذه الشواذات لبناء شكلي

(١) ولمعرفة تفاصيل أكثر عن طبيعة هذا التعريف ينظر: B. Carstensen (الأسلوب والمعيار Der Stil und die Norm) في مجلة (علم اللهجات وعلم اللغة) العدد ٣٧ للعام ١٩٧٠م، ص ٢٥٧ - ٢٧٩

وظاهري»[١] فعلى الرغم من تعريف الشعر مراراً في الماضي بوصفه جملة من المكونات الشكلية مثل: البحر والوزن والقافية والإيقاع... فقد صار اليوم لا يعرَّف إلا بوصفه «النص المقبول اجتماعياً الموصوف شعراً»[٢] .

والملاحظ في نصوص كثير من الكتاب المعاصرين أنهم جميعاً راغبون في التحرر من المعايير الموضوعية والصيغية واللفظية والبنيوية[٣] ؛ ورغبتهم هذه ليست وليدة اليوم، بل إنها ممتدة إلى عهد أرسطو ومعتمدة أساساً مهماً للغة الشعرية، كما يلاحظ أن ردود الفعل التخمينية لدى القراء مبنية أصلاً على توقع صياغة الشعر بلغة غير عادية، خارجة على المعيار.

والشواذات التي تظهر على المستويات اللغوية - الصوتية النظمية والصرفية التركيبية تمتد - عن طريق الوسائل النحوية أو الوسائل غير النحوية المتنامية - من الشواذات البسيطة وصولاً إلى ما هو غامض في (الشعر الحقيقي) و(القصائد التي لا معنى لها).. كما في الأمثلة الآتية[٤] :

أ - (انحسرت) انحبست الدموع مدة وجيزة (Enzensberger).

---

(١) ينظر: الموقف المنهجي للشعرية اللسانية لـ K. Baumgartner في Ihwe II/2 ص ٣٩٩

(٢) ينظر المصدر السابق ص ٣٨٨

(٣) ينظر :B. Carstensen (الأسلوب والمعيار) ص ٢٦٠

(٤) هذه الأمثلة سجلت هنا بناء على رأي كل من:

- W. Abraham في كتابه (الأسلوب والنغمية والنحو الخارج على المعيار) وذلك في: مباحث في النحو التوليدي ص ١ - ١٣

و- K. Baumgärtner في بحثه (الشرح الشكلي للنصوص الشعرية) المنشور في مجلة: الرياضيات والشعر، ص ٦٧ - ٨٤ وقد أعيد نشره وطباعته في Ihwe II/2 ص ٥٣٤ - ٥٥٣

و- M. Bierwisch في بحثه (الشعرية واللسانيات) المنشور في مجلة الرياضيات والشعر ص ٤٩ - ٦٥ وقد أعيد طبعه أيضاً في م٢/ ج٢ Ihwe ص ٥٦٨ - ٥٨٦

ب - لم يشأ سجن المدنيين البوح بهذا على الهاتف (Johnson).

جـ - فصل مرتين (ثنّى الفصل) وقطع ثلاثاً (ثلّثه) (Arp).

د - حركة الرعية تشبه حركة السنجاب في سيرها على الورق (Bern).

هـ - الكلمة هذه (قلها)، لأن الكلمة ممنوعة، وصورتها مورقة (Heibenbuttel).

و - إن تهزأ بواحد يضق بك كل شيء حتى نوافذ حجرتك (Helms).

فالتفسير اللغوي لهذه الصيغ الشعرية أمر طبيعي وإجراء قياسي، ما دامت كل واحدة منها قابلة للاستعمال، ومبنية على أساس المماثلة والتوازي مع ما يطابقها من التراكيب النحوية واللغوية العادية.

فالصيغة الأولى لا تحتاج إلا إلى تعديل طفيف في ترتيب مكونات الجملة لكي تصير متطابقة مع القواعد النحوية، ومقبولة مستحسنة نحوياً، إلا أن استعمال الفعل توقف = انحبس (في نظام اللغة الألمانية) مع الفاعل الدموع غير مقبول دلالياً[1] ، الأمر الذي جعل هذا التركيب متضمناً ضرباً من المجاز الذي لا يُشْرَحُ إلا باللغة العادية، وبما فيها من استعمالات عامة وعادية جداً كما في عبارة (يتوقف الخطباء = تنحبس كلماتهم).

والصياغة اللغوية الجديدة «يثلّث»/ جـ/ تبدو واضحة وسهلة في سياق (Arp)، وتكشف النقاب عن المثال الثاني المركب الذي يمكن أن يتشكل أيضاً إلى حد ما في نماذج متماثلة من العبارات التي ترد في سياقات متماثلة، إلا أن

(١) ينظر باومغيرتنر في المصدر (المعاد طبعه) المذكور في الهامش السابق ص ٥٤٣

إدخال بعض الألفاظ في سياقات خاصة لغرض مجازي يشكل خاصية في الشعر الحديث، كما هو في حركة الرعية كحركة السنجاب[١] .

ولدى رصد هذه النماذج من البناء الجديد للألفاظ، ينبغي أن يبقى ماثلاً في ذهن أي باحث أن التجديد في الألفاظ مزية شعرية في كل الأزمنة، إلا أن هذه النتيجة من الناظر أن يتقبلها وعياً؛ لأن تحديدات الماضي وتعريفاته إما أن تكون قد نسيت اليوم أو صارت ضمن الذخيرة اللغوية العامة.

ولتحديد درجة الشذوذ ونوعيته تحديداً دقيقاً قدر المستطاع يعتمد المنهج اللساني في شرح الشواذات الشعرية على ما هو موجود في اللغة فعلاً؛ كي يقابل التراكيب اللغوية الطبيعية والأساسية بخصائص اللغة الفنية بوصفها بنى، وعناصر تكوينية في اللغة الفنية ولغة الشعر مثل: البيت، القافية، الروي التي يعتبرها بيرفيش بنى دخيلة.

وعلى الرغم من الملاحظة الدقيقة والكاملة لمبدأ الشواذ في الشعر، وعلى الرغم من الحنكة المنهجية المتبعة في تفسيره ثمة مجموعة من الشكوك المهمة التي تبرز هنا، ومنها:

١ - هذه الشواذات مقتصرة دائماً على وسائل أسلوبية مفردة (einzelne) (كي لا يقال وسائل أسلوبية فريدة vereinzelte) وهذا ما دفع (ريفاتيري) إلى

(١) ينظر محاولة الشرح اللساني للبنية لدى كل من:

- K. Baumgärtner في بحثه (الوضع المنهجي للشعرية اللسانية) المنشور في م٢/ ج٢ Ihwe ص ٣٩٨

و-W. Abraham في (الأسلوب والنحو والنحو الشاذ) ص ٧

و-W. Abraham - Braunmuller في بحثهما (الأسلوب والمجاز والنحوية) المنشور في مجلة Lingua العدد ٢٨ للعام ١٩٧١م، ص ١٦

الإشارة إلى أهمية السياق الأسلوبي حين جعله «قالباً تركيبياً خروجه على المألوف ناجم عن عنصر لم يكن متوقعاً».

والبناء الأسلوبي لأي نص هو في الحقيقة نتاج تتابع عناصر مميزة تتقابل فيه مع عناصر غير مميزة، لأن الأسلوب (Stilistikum) هو تقابل (Kontrast) وسياق (Kontext)، جملا (ريفاتيري) يقول: «على التحليل الأسلوبي أن يوجه اهتمامه إلى عناصر التقابل غير المميزة بدلاً من الاقتصار في التركيز على العناصر المتقابلة لكونها سهلة التسجيل (الحصر) والكشف»[١] .

وبهذا المعنى تعد الشواذات (مزايا أسلوبية) خاصة في اللغة الشعرية، إلا أنها لا تمثل الأسلوب الشعري بكامله في حال من الأحوال، كما أن هذا لا يعني أن اللغة التي تستغني عن الانحراف المعياري يفترض أن تكون أقل شعرية.

٢ - مفهوم المعيار لم يحدد بدقة ووضوح، واحتمال خطر شرح متغير بمتغير مسألة قائمة، ولهذا ونظراً لصعوبة - إن لم نقل - استحالة تثبيت الجانب اللغوي المعتمد أساساً للحكم على ما خرج على المعيار ومن ثم تقويم الشواذات، فقد تم استعمال معيار ذاتي[٢] ؛ من حيث تثبيت أساليب محددة في بناء العناصر، وتثبيت اختيارها قياساً على تواترها، ومن ثم توقعها في السياقات والمقامات المتماثلة[٣] .

(١) ينظر هنا ما جاء لدى M. Riffaterre في بحثه (السياق الأسلوبي Stylistic Context) المنشور في مجلة Word العدد ١٦ للعام ١٩٦٠م، ص ٢٠٧ - ٢١٨، وهو مترجم إلى الألمانية في مجلة (اللسانيات البنيوية Strukturale Stilistik) ص ٦٠ - ٨٣، وينظر هنا بشكل خاص ص ٦١

(٢) ينظر: Carstenen في (الأسلوب والمعيار) ص ٢٦٠

(٣) ينظر: Barbara Sandig (مشاكل أسلوبية لسانية Probleme einer linguistischen Stilistik) في مجلة (علم اللغة وأصول التعليم) ط٣/ ١٩٧٠م، ص ١٧٨

ولو سلمنا بإمكانية تحديد مستوى لغوي طبيعي ومعياري بدقة ويسر، لكان من الضروري أن يتخذ هذا التحديد من الناحية الأسلوبية النظرية أساساً لأسلوب معياري، يمكن اتخاذه حينئذ شكلاً أسلوبياً أساسياً.

وأما علم الأسلوب المعني بالشواذات فسبيله مختلف كلياً، ومنطلقه مغاير؛ لأنه يتخذ المعيار من الناحية النحوية اللغوية الخالصة، وليس من الناحية الأسلوبية مستوى مساعداً قد يفيد في شرح شواذات معينة في المستوى الأسلوبي، كما أن تعريف الأسلوب فيه بوصفه (مخالفة للمعيار) تعريف يمكن أن يعمل به لدى الرغبة في الشرح اللساني للغة الشعرية التي تتضمن صياغات خاصة وتوصف بأنها عناصر غريبة وفريدة.

وعلى الرغم من اهتمام البحث الأسلوبي في هذه الأيام بالأسلوب الأدبي بالدرجة الأولى، ومنحه المركز الأول بين اهتماماته وجهوده؛ لأنه الأكثر جاذبية في الأسلوب، فإنه في سعي مستمر إلى فتح السبيل أمام البحث عن فكرة إجمالية عامة فيه، تجد استحساناً لدى كل باحث، وتتخذ معياراً في كل بحث أسلوبي؛ كالتفريق الدقيق مثلاً بين (الأسلوبية اللسانية Linguistische Stilistik) و (الأسلوبية الشعرية Poetische Stilistik)[١] .

ثالثاً - ما العلاقة بين الأسلوب اللغوي والأسلوب الأدبي؟

ثمة سؤال غريب في شكله، غامض في مضمونه، حرّك الباحثين ودفعهم إلى التفكير هو: هل يجوز للساني أيضاً أن يعنى بالأسلوب وبما يرتبط به؟ فترجحت مواقفهم بين من أيّده متحيزاً كرومان جاكبسون الذي جعل الشعرية

(١) ينظر المصدر السابق نفسه ص ١٨٩

واحدة من وظائف اللغة، وبين من وجد أن دور اللسانيات كعلم مساعد في دراسة (الشعر Poetik) و (علم الأدب Literaturwissenschaft) دور متواضع عموماً[١]؛ لأن الأسلوب في اللغة قد سوّي بالأسلوب الأدبي عموماً، ولا يزال يسوّى به.

فإذا كان الأمر هكذا، وكانت اللغة هي المجال الرئيسي لعمل اللساني بالدرجة الأولى، فلابد من توضيح مسألتين مهمتين في هذا الباب، هما:

أ - السؤال عما بين اللغة والأسلوب من علاقات يصعب أن يسوى بينها.

ب - السؤال عن التفريق بين اللغة واللغة الشعرية.

فالأسلوب - كما سبق وأن ثبت - ليس هو اللغة نفسها، بل هو ظاهرة ملازمة للغة (خاتمة حكمية Epiphaenomen)، أو أنه القدرة الإضافية الناتجة عن تأثير استعمال اللغة؛ لهذا لا يجوز الأخذ بما جاء على لسان الفيلسوف الإيطالي Benedetto Croce في هذا المجال إلا بمعنى عام[٢] حين قال: «والقوانين اللغوية الموجودة في نظام لغوي ما هي قوانين لغوية وأسلوبية في آن واحد؟».

وذلك لأن قوله بـ «أن الوسائل اللغوية جميعها هي أدوات أسلوبية، ووحدات لغوية في آن واحد»[٣] ينطبق على الجانب القدراتي لطاقة اللغة، لا

(١) ينظر: N. Ruwert (حدود التحليل اللساني في الشعرية Grenzen der linguistischen Analyse in der Poetik) المنشور في Ihwe المجلد الثاني الجزء الأول ص ٢٦٨، كما ينظر: R. Jakobson: (اللسانيات والشعرية Linguistik und Poetik).

(٢) ينظر: B. Croce: (Estetica come scienze dell, esprecione linguistica generale)، باري ١٩٢٨م، ص ١٦٣

(٣) ينظر: D. Faulseit - G. Kuhn في (الوسائل الأسلوبية وإمكانيات اللغة الألمانية) ص ١٥

على الجانب العملي لاستعمال اللغة: إذ إن كل عنصر لغوي يمكن أن يكون عنصراً أسلوبياً، وصحة هذا الحكم في الأداء (أو في أي نص) مرتبطة بطبيعة الاستعمال الخاص للعنصر في إطار السياق الخاص، ومن هنا تأتي ضرورة تمييز التحليل الأسلوبي بين الوسائل اللغوية المميزة أسلوبياً والأخرى غير المميزة (أو بين المعلمة وغير المعلّمة حسب اصطلاح ريفاتيرّي)[١].

وهذا ما ينطبق بالنتيجة على تمييز اللغة الشعرية التي عبر عنها سابورتا صراحة فقال: «All poetry is language but all language is poetry كل شعر لغة، ولكن ليس كل لغة شعراً»[٢].

ولدى التخلي عن الوظيفة الاتصالية العامة للغة لصالح السمو الشعري هناك فارق مهم يظهر بين اللغة العادية واللغة الشعرية يمكن تمثيله على النحو الآتي:

نستعمل الكلمات في لغتنا اليومية استعمالنا للقطع النقدية التي أسندت إليها قيمة تعاملية محددة حسب الاتفاق والتداول، على حين يتعامل الشاعر بها تعامل شخص (هاو لجمع النقود) يجمعها ويتعرّف كل قطعة مفردة منها بصكّها ويعدها - من غير اعتبار للتقييم اليومي - قطعة نادرة وثمينة.

وهذا ما فهمته المدرسة التشيكية تحت مفهوم (التحقيق Aktualisation) أو

---

(١) ينظر: M. Riffaterre في (الأسلوبية البنيوية) ص ٢٩ و ٦١

(٢) ينظر: S. Saporta في بحثه (أهمية اللسانيات في دراسة اللغة الشعرية The Application of linguistics to the study of poetic Language) المنشور في مجلة (الأسلوب في اللغة) ص ٨٣، والمترجم إلى اللغة الألمانية تحت العنوان نفسه في Ihwe م٢/ ج٢ ص ٣٢٩

الأداء الذي ترجم بـ (foregrounding)[١] - مقابل الاستعمال الآلي العام للوسائل اللغوية في لغة الاتصال وقد سبق لـ (Jean Paul) أن سمى اللغة مجموعة ثابتة/ محنطة من المجازات الذابلة.

وبناء على هذا ليس بين الأسلوب اللغوي بشكل عام وأسلوب اللغة الفنية أي تطابق، ومن الخطأ هنا الانطلاق من ثنائية (لغة شعرية - لغة غير شعرية)؛ لأن اللغة ذاتها مستعملة في الحالة الأولى والثانية، والخلاف بينهما يكمن في اختلاف طريقة استعمال الوسائل اللغوية، ولأن النظام اللغوي بعناصره ومكوناته غير متباين، إنما المتباين فقط هو ما يستعمل في التطبيق الحقيقي لهذا النظام؛ لأن العمل الأسلوبي إجراء انتقائي يستخدم ما تميز من هذا النظام اللغوي؛ وبذلك لا ينطبق على الأسلوب عموماً ما قد صيغ (للقواعد الشعرية)؛ «فالقواعد الشعرية وعلى الرغم من كونها غير لغوية، تعمل على قاعدة من التراكيب اللغوية»[٢] ، والأسلوب كأسلوب لغوي يستند على الأغلب إلى آلية اختيار مميزة، يجب أن توصف نواظمها بوسائل لسانية تجعل الأسلوب بحاجة إلى اهتمام خاص من اللساني نفسه.

---

(١) ينظر: B. Havranek في (التمييز الوظيفي للغة الفصحى The Functional Differentiation of Standard Language). كما ينظر: J. Mukarovsky في (اللغة الفصحى واللغة الشعرية Standard Language and Poetic Language) والمقالان موجودان في: (القارئ للبنية الجمالية والأدبية والأسلوبية في مدرسة براغ A Prague School Reader on Esthetics, literary structure and Style) للناشر (P. Gravin) ص ١ - ١٦ و ١٧ - ٣٠، وقد أجملهما E. Benes- J. Vanek في (الأسلوبية واللسانيات الاجتماعية Stilistik und Soziolinguistik) برلين ١٩٧١م، ص ١٧

(٢) ينظر: G. Helbig (تاريخ علم اللغة الحديث) ص ٣١٩/ هذا ولا بد من الإشارة إلى أنه كان من الصعب عليَّ الحصول على أطروحة الدكتوراه التي قدمتها Antia Steube عن (تدرج النحوية والتوافق الأسلوبي Graduation der Grammatikaltat und stilistische Adaquatheit) في لايبتسيغ ١٩٦٦م.

وعلى الرغم من هذا كله يظل في القطعة اللغوية الفنية شيء ما خارج نطاق مناهج التحليل اللغوي، هو (الوظيفة الشعرية للغة) التي توقف رومان جاكبسون عندها ووسَّع بها الوظائف الأساسية للغة (التعبير والنداء والعرض) التي أشار إليها (كارل بيولر) في نظام أورغانون لـ (The message for its owe sake)[١] ، وإلى جانب جاكبسون بذل (بيترسون) جهوداً واضحة لتحديد هذه الوظيفة الشعرية أو الجمالية على نحو أدق حين عرَّف الجانب المضموني للغة الفنية مقابل اللغة الطبيعية بقوله إنه (لغة اللاشيء Nicht-Sprache)[٢] - أما (بوسيه) فقد تابع الأخذ بمفهوم هيلمسليف عن الإشارة التضمينية Connotative.

«والمقطوعة اللغوية الفنية التي تحمل دلالة خاصة تدخل صياغتها ضمن مهام التأويل»[٣] وتشكل مجالاً يتنازعه كل من اللساني ودارس الأدب، وتفسح المجال أمام قسم اللغة الفنية إلى جزء لغوي وآخر غير لغوي، وتكشف عن أهمية وجوب إجراء التحليل اللساني والتأويل الأدبي الجمالي جنباً إلى جنب في إطار الأسلوب الفني.

---

(١) ينظر: Closing Statement (اللسانيات والشعرية Linguistics and Poetics) المنشورة في مجلة (الأسلوب في اللغة Style in Language) ص ٣٥٦، والجملة بكاملها مترجمة حسب Ihwe م٢/ ج٢ ص ١٥١ «التمسك بالخبر كنوع من التركيز عليه ومن أجله هو الوظيفة الشعرية للغة».

(٢) ينظر: A. Stender - Peterson (نحو إمكانية وجود نظرية لفن الكلمة Zur Moglichkeit einer Wortkunst - Theorie) في Ihwe م٢/ ج٢ ص ٤٥٤ - ٤٧١، وهنا ينظر الصفحة ٤٦٦

(٣) ينظر: W. Busse (الرمز الأدبي، نحو نظرية رياضية للأدب Das literarische Zeichen Zur glossematischen Theorie der Literatur) وذلك في Ihwe م٢/ ج٢ ص ٤٣٧ - ٤٥٤، والشاهد هنا مقتبس من ص ٤٥٤

وعلى الرغم من الوضوح التام لتوزع المسؤولية والمهام بين علم اللغة والأدب يقابل التحديد الدقيق لتلك المهام صعوبات لها صلة بشمولية المادة كصعوبة الفصل الدقيق بين الترجمة الفورية بوصفها (مسألة لسانية) وبين فن الترجمة بوصفها (مسألة علم الأدب أو علم الجمال)[1] .

رابعاً- الأسلوب الأدبي أسلوب فرعي

إن عدم الاكتفاء بتطعيم الدراسة الأسلوبية القديمة بمناهج لسانية حديثة، والسعي إلى البحث في الأسلوبية بوصفها فرعاً لسانياً يتطلبان الأخذ بما توصلت إليه اللسانيات من خبرات ومعارف ونتائج، تضع الباحث لدى دراسة إشكالية الأسلوب اللغوي والأسلوب الأدبي أمام اتجاهين اثنين، وهما:

أ - تفريق سوسيور بين (التزامنية) و (التعاقبية).

ب - المفهوم الجديد (للغة الجماعة **Soziolekt**)

ولهذا فإن السبيل الأنجع لإبراز آلية استعمال وسائل أسلوبية معينة في العلوم الأسلوبية كلها هو الاستعانة بأمثلة من الشعر القديم، لما لها من قيمة تصويرية لطريقة استعمال تلك الوسائل كاستعانتنا بأمثلة من أسلوب **Barock** وأسلوب (غوتيه) الكلاسي وأسلوب (شيلّر) وحتى من أسلوب الثلاثينيات والأربعينيات.

وهذا الإجراء يمنح العمل الأسلوبي صفة التاريخية، مع ملاحظة أنه ليس

---

(١) ينظر: **F. Maurer.** (في ترجمة أناشيد **Walter** من عالم العصافير **Zum Übersetzen der Lieder Walthers von der Vogelweide**) في الكتاب التذكاري لـ **H. Eggers** ص ٤٨٤

بالإمكان الكلام على دراسة تزامنية حقيقية بالمعنى الدقيق للكلمة، وإن تم هذا بشكل عام، فإن الغرض منه حينئذ هو اتخاذ محطة زمانية، تعد مثالاً للانطلاق منها[١] ؛ لأن الدراسة الأسلوبية التزامنية تصلح للاستعمال اللغوي الراهن بشكل خاص لكونه الاستعمال الوحيد الذي في متناول الباحث مباشرة.

نعم إن إدخال الدراسة التطورية للغة ضمن حقلي التطور والتاريخ اللغويين يفسح المجال أمام إدخال دراسة التطور الأسلوبي والتاريخ الأسلوبي في مجال البحث الأسلوبي، وإذا كانت الدراسة التزامنية والدراسة التعاقبية قد ميزتا علوم الأسلوب منهجياً، فإن الاكتفاء بالمجال التزامني في النظرية الأسلوبية يبدو أمراً لا مفر منه؛ لأن ما قد ثبّت كتابياً، واتخذ معياراً لكل أنواع الأساليب في الماضي، قد يفقد معياريته مع الزمن (والقضية هنا نسبية قياساً على الحاضر)، ولأن مفهوم الأسلوب بحاجة إلى توسيع كي يشمل الصيغ اللغوية المنطوقة والمكتوبة جميعاً.

ولهذا لا بد من ملاحظة كون الدراسة الأسلوبية التزامنية تستند إلى ما يتصف به الأسلوب من شمولية، وملاحظة إمكانية الإشارة إلى نموذج (أسلوب الأدب الجميل) الذي عده (ريزل Riesel) مثالاً على الأساليب الوظيفية من غير أي مقدمة عن الأنماط الأسلوبية[٢] .

ومن المفيد أن يشار هنا إلى أن الأسلوب الأدبي جزء من الظاهرة الكلية للأسلوب رغم اعتباره أسلوباً نوعياً بارزاً، وإلى أن أي بحث يكتفي بالأعمال

---

(١) ينظر: P. von Polenz (تاريخ اللغة الألمانية Geschichte der deutschen Sprache)، برلين - نيويورك ١٩٧٢م، ص ٥/ كما ينظر: P. Schroder في: (محاضرة مبثوثة بالإذاعة - عن اللغة Funk - Kolleg, Sprache) العدد الثاني فرانكفورت ١٩٧٣م، ص ١٩٢

(٢) ينظر: E. Riesel في «الأسلوبية في اللغة الألمانية» ص ١٤

الأدبية تكون نتائجه خاصة بدراسة مقطع مميز من الأسلوب، ولا يجوز تعميم هذه النتائج وعدها أحكاماً أسلوبية عامة، ولهذا فاللغة الشعرية من الوجهة اللسانية لغة جماعية Soziolekt، متباينة جداً، وشاملة لأنها متباينة، وتتضمن (لغات فردية متعددة Idiolekt)(١).

وأما المجال الأسلوبي فيمثل ظاهرة عامة، تتضمن ظواهر أسلوبية متعددة، لكل منها مزاياها وخصائصها، وقد تلتقي في جانب وتختلف في جوانب، والتقاء أساليب النوع الأدبي في مزية واحدة جامعة، واختلاف الأنواع فيما بينها في الجنس الواحد أدى إلى ما هو ملحوظ من اضطراب وفوضى في النظرية الأسلوبية الأدبية.

ولهذا فإن السبيل الناجع لشرح ظاهرة لغوية شاملة هو الاستعانة بآثار لغوية متنوعة ومختلفة، تمثل الظاهرة الشاملة مع ملاحظة البدء بالسهل منها، ثم الانتقال إلى الأصعب بالتدريج، وفي هذا دعوة صريحة إلى البدء بالأسلوب اللغوي بشكل عام، هذا وإن عرض مثال على الأسلوب اللغوي العام لا يعني تفضيله على الأسلوب الأدبي، وإنما يعني إعطاءه الأسبقية للضرورة المنهجية، ولهذا وبناء على الموقف الجديد الذي يمثله (ماكنتوش A. Mcintosh) في هذا الباب يأتي مفهوم الأسلوب عنده بمعنى عام يتجلى في قوله: «إنني أميل إلى عد (الأسلوب) كلمة عادية لا نقصر استعمالها على الطريقة - كما في وصف

(١) للمعرفة الطموحة والاستزادة في التحديد ينصح بالرجوع إلى مفاهيم هذا المصطلح لدى: H. Glinz «المفاهيم اللسانية الأولية Linguistische Grundbegriffe» فرانكفورت ٤/ ١٩٧١م، ص ٧٤

(ميلتون Milton) للشعر الملحمي ولوصف (جيبّون Gibbon) للنثر التاريخي - إنما نستعملها كذلك في مواقف مختلفة يتكلم الناس فيها ويكتبون في ظروف عادية جداً»[١] .

وإذا ما أريد تعريف الأسلوب وتحديد معالمه بدقة، كان من الضروري عدم الاقتصار على عده أسلوباً خاصاً مميزاً ومستقلاً بل ينبغي اعتباره فرعاً ضمن أساليب أخرى؛ لأن الموقف الأول قد ارتبطت به فرضية رأت: أن ارتباط الأسلوب بالصيغة المكتوبة لا يكون ممكناً إلا في اللغة المكتوبة، والأيام الأخيرة شهدت نجاح الموقف الذي رأى أن الكلام الشفوي أو اللغة المنطوقة لها أسلوب خاص بها أيضاً.

* * *

(١) ينظر: A. McIntosh (اللغة والأسلوب Language and Style)، ص ٢٤٣

الفصل الثالث

الأسلوب في اللغة المنطوقة

عنيت اللسانيات منذ مراحلها الأولى باللغة بوصفها نموذجاً مجرداً لكشف ظاهرة الكفاءة اللغوية عند البشر، كما عنيت بدراسة نظام الإشارات والرموز اللغوية ومعاييرها بنيوياً؛ فكان لهذا التحديد جانبان؛ أحدهما إيجابي وآخر سلبي، فتضييق دائرة البحث يعني تأكيد وجهات نظر محددة، لتعميق المعرفة بها من جهة أولى، إلا أنه يوقع في مخاطر الجهل، نتيجة الاهتمام بجانب واحد من جهة ثانية، الأمر الذي يترتب عليه إهمال المناهج والمسائل والقضايا التي تقع خارج النطاق المختار[1].

وإذا كان الاهتمام بالنظام اللغوي (Langue) قد قدَّم بوضوح على الاهتمام بالأداء الحقيقي لهذا النظام (الكلام Parole)، فقد احتج تشومسكي على هذا، وأغفل الأداء الحقيقي للغة (Performance) حين قدم نموذجه عن الكفاية اللغوية الباطنة لمتكلم/ مستمع مثالي مؤكداً «أن البحث في الأداء

(١) ينظر: H. Steger في (اللغة والمجتمع)، دورسِّلدروف ١٩٧١م، ص ١٠

اللغوي لا يمكن أن يتقدم إلا بالقدر الذي تسمح به معرفتنا بالكفاءة اللغوية وخبرتنا بها»[١] .

وعلى الرغم من أن هذه الخبرات المحتملة لا تكتسب إلا بوساطة الأداء اللغوي المتحقق، وعلى الرغم من الانطلاق المبدئي من اللغة المنطوقة، وعلى الرغم من انتقاد اللسانيات الاجتماعية والنفعية لنموذج المتكلم/ المستمع المثالي، ونموذج السياق، فإن الاعتماد على هذين النموذجين، قد أدى إلى استبعاد العناصر التي تكون اللغة المنطوقة من الناحية المنهجية.

أولاً - أسبقية اللغة المنطوقة وماهيتها

على خلاف اللسانيات القديمة ترى اللسانيات الحديثة على اختلاف مدارسها أن اللغة المنطوقة تسبق اللغة المكتوبة وتسوغ حكمها هذا بأمرين اثنين هما:

أ - أن اللغة (المحكية) أقدم وأوسع انتشاراً من الكتابة.

ب - أن عودة أنظمة الكتابة كلها إلى وحدات وعناصر من اللغة المنطوقة أمر ثابت[٢] .

فالكتابة ظاهرة شكلية، مشتقة من الكلام الشفهي، أو مستندة إليه، وهي ثانوية؛ لأنها تمثل نقل اللغة من الصورة المنطوقة المسموعة إلى الصورة الرمزية المرئية، والفرق بينهما لا يقف حتماً عند هذا الحد؛ حد التمثيل الظاهري للأصوات اللغوية المنطوقة على شكل تتابع صوتي مسموع يؤدى مرة واحدة

(١) ينظر: N. Chomsky في (اتجاهات نظرية علم بناء الجملة)، ص ٢٨

(٢) ينظر: J. Lyons في (مدخل إلى اللسانيات الحديثة)، ص ٣٩

(بعد زماني)، وحد تمثيل الأصوات المكتوبة على شكل سلسلة متتابعة من الرموز اللغوية التي تلاحظ بصرياً، ويمكن تكرير إنتاجها (بعد مكاني)، بل إن الأمر تعدى ذلك إلى الحد الذي أظهرت فيه الدراسات اللغوية المعاصرة كلها: «أن للغة المنطوقة قوانينها الناظمة ومعاييرها المختلفة عن مثيلاتها التي تعرفها اللغة المكتوبة»[1] .

والملاحظ أنه لا يمكن الأخذ حالياً بنتائج هذا الإثبات من حيث تمييز اللغة في صفة منطوقة وأخرى مكتوبة، على الرغم مما لهذه النتائج من أهمية، غير أن الحاجة المنهجية في أيامنا هذه تدعو إلى التفريق بدقة بين النصوص المكتوبة والأخرى المنطوقة في الدراسات المستقبلية[2] ، لا بل قد تدعو إلى استبدال التفريق الثلاثي الشائع «اللغة الفصحى - ولغة التعامل - واللهجة» بتفريق ثنائي تراتبي شامل هو (اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة).

والواضح أن الاختلافات الشكلية (العامة) بين الظاهرتين السابقتين مشروطة باختلاف نوعية الوسائل، فالصورة المكتوبة مثلاً ليس فيها سوى احتمالات وإمكانات محدودة جداً لعرض الخصائص والسمات الصوتية فوق المقطعية، وتمثيلها كنقل النبر وطريقة التنغيم، وسرعة الكلام والاستراحات

---

(١) ينظر: H. Rupp في (استعمال اللغة، المعيار والأسلوب)، ص ١٩

(٢) ينظر المؤلف السابق نفسه في بحثه (الألمانية المنطوقة والمكتوبة Gesprochenes und geschriebenes Deutsch) المنشور في مجلة (الكلمة الفاعلة Wirkendes Wort) العدد ١٥ للعام ١٩٦٥م، ص ١٩ و ٢٩، وينظر المصدر السابق للمؤلف نفسه (اللغة المتداولة والمعيار والأسلوب Sprachgebrauch, Norm und Stil) ص ٢٢، كما ينظر: S. Grosse في بحثه (الحوار الأدبي واللغة المنطوقة Literarischer Dialog und gesprochene Sprache) المنشور في الكتاب التذكاري لـ H. Steger، ص ٦٥١

الكلامية، وذلك بالإشارة إليها بخط يكتب تحتها أو كتابتها بأحرف متباعدة أو إبراز المهم منها بكتابتها على نحو مميز.. ونظراً لتعلق موضوع مثل هذه المسائل الصوتية المؤثرة في السمع على نحو غير مباشر بأسس لها أهميتها في الاستعمال اللغوي، فلا بد من تطبيق هذه الأسس وترجمتها لغوياً في أي نص مكتوب[1].

فإلى جانب الوسائل أو الرموز اللغوية - التواصلية المصاحبة للغة ثمة وسائل أخرى لا علاقة لها باللغة كالحركات اليدوية المساندة للكلام والإيماء.. التي تتحول بالتدريج ومع مرور الزمن إلى وسائل لغوية مرافقة للأداء الشفهي.

وعلى عكس الكلمة المكتوبة التي تعد وتنظم وفق المعايير المعمول بها في النظام لابد أن يلاحظ من جانب آخر أن الكلمة المنطوقة ليست أكثر من الصورة الصوتية اللحظية أو الآنية التي تحدث مرة واحدة فلا تقبل الإعادة، ولا تقبل التصحيح، ويؤخذ عليها تأثرها بعوامل الأداء مثل محدودية قدرة المتكلم الناطق بها على التفكير، وضعف تركيزه، وتأثره بعوامل خارجية، إلا أن الاتصال المباشر بين المتكلم والمستمع وعفوية التعبير قد يعوضان هذه النواقص.

ومهما تكن طبيعة مخالفة المنطوق للمكتوب، فإن هذه المخالفات تعد خطأ، ومن أمثلة الأخطاء المسجلة في هذا الباب:

- النطق غير الصحيح.

- مخالفة المعايير الصرفية.

(١) ينظر S. Grosse في بحثه السابق، ص ٦٥٩

- البناء الناقص للجمل أو الخروج على قواعد البناء النحوي.

- الانتقاء الدلالي والأسلوبي غير الصحيح للألفاظ..

هذه الأخطاء الناتجة عن الظروف النفسية والاجتماعية والمقامية ما زال المرء قادراً على إثباتها في الكلام العفوي إلى اليوم[1] ، ولها انعكاسها النظري على نموذج الكفاءة اللغوية لدى تشومسكي ولو من منظور سلبي؛ لأنه بسبب مراعاة متكلمه/ سامعه المثالي قد أحجم وبوضوح عن «الشروط والعوامل والظروف غير المميزة نحوياً كـ:

- الذاكرة المحدودة.

- الشرود والحيرة (الارتباك).

- تحوُّل الانتباه والاهتمام.

- الأخطاء (المعهودة أو الناتجة صدفة)»[2] .

فالأخطاء اللغوية البسيطة قليلة التميز، ولا تعيق القدرة الاتصالية للغة المكتوبة، ولا يلجأ حتى المتكلم نفسه إلى تصحيحها؛ لتعلق الأمر هنا بـ (عدم نقاء) الكلام الذي يمكن أن يقارن بالأخطاء المطبعية أو الكتابية أو الخطية التي تلاحظ في النتاج اللغوي المكتوب.

لقد سمى (شتيغر H. Steger) التعبير اللغوي النقي الذي يرمي إليه المتكلم،

---

(١) ينظر: H. Steger في بحثه (الفعل اللغوي والنظام اللغوي والمعيار اللغوي Sprachverhalten - Sprachsystem - Sprachnorm) المنشور في: (الأكاديمية الألمانية للغة والشعر) الكتاب السنوي ١٩٧٠م، ص ١٢

(٢) ينظر: N. Chomsky في (اتجاهات نظرية علم بناء الجملة) ص ١٣ وقد ذكر الأسباب والعوامل نفسها حين عرض (أفكاره الخاصة بنظرية في علم اللغة) ص ٢١

ويصححه المستمع فور سماعه مستعيناً بحسه اللغوي خطاباً[١] ، ووجد فيه بوضوح أسلوب اللغة المنطوقة؛ لأنه يمثل البناء العفوي المتنوع لأسلوب الكلام مقابل الشكل الأسلوبي الذي يظهر في الكتابة.

وبين النموذجين فروق واضحة هي خلاصة دراسات كثيرة؛ فردية وجماعية التقت في النتائج، ومنها:

أ - بالتلقي الصوتي يسهل إثبات فيما لو كان المتكلم يرتجل كلامه ويصوغه بشكل عفوي، أو كان يقرأ نصاً مكتوباً.

ب - تصحيح الكلام العفوي الحر تصحيحاً معيارياً أقل قيمة من تصحيح المكتوب.

جـ - صعوبة تسوية التسجيل الصوتي للغة المحكية باللغة المكتوبة[٢] .

هذه الحقائق والنتائج، وإن كانت تتسم بالحدسية - إلى حد ما - يجب أن توصل إلى حقيقة وجوب حيازة اللغة المنطوقة أسلوباً خاصاً فيها، ولهذا يمكن القول: ليست اللغة المنطوقة في أي حال من الأحوال أقل قيمة، أو أقل قدرة على الإنجاز من اللغة المكتوبة، وهي ليست بسيطة ناقصة، وهذا ما جعل (غروسّي Grosse) يدلي بدلوه في هذا المقام ليرى أنه من الخطأ الشائع «افتراض كون الجملة القصيرة ذات البناء والتنظيم البسيطين سمة مميزة للكلام الشفهي، أو افتراض سيادة الإرداف فيها؛ إرداف الجمل Parataxe دون

---

(١) ينظر: H. Steger (الفعل اللغوي والنظام اللغوي والمعيار اللغوي) ص ١٤

(٢) ينظر: K-D. Bünting في (مدخل إلى اللسانيات Einführung in die Linguistik) فرانكفورت ٢/ ١٩٧١م، ص ٤٩/ كما ينظر: H. Rupp في (الاستعمال اللغوي والمعيار والأسلوب) ص ٢٠/ وينظر: S. Grosse في (الحوار الأدبي واللغة المنطوقة) ص ٦٥٨

وجود أي رابط بينها؛ لأن ترابط الجمل وإلحاقها ببعضها، وتشكيل الجمل المترابطة Hypotaxe بوصفها تركيباً شاملاً للفكرة الطويلة من نتائج التخطيط الكتابي»[١] .

فكثير من مزايا اللغة المنطوقة التي كانت تعد خطأً في الماضي صارت تنوعاً في استعمال الوسائل اللغوية اليوم، ومن هذه الخصائص التي كانت تعد كذلك ما يلي:

- الإسهاب (والحشو) والتكرار في أسلوب الكلام الشفوي (Redundanz/ Rekurrenz).

- الاستعمال المتواتر (المتكرر) frequenter لوسائل الإشارة deiktische أو وسائل الإحالة الأخرى .Referenzmittel

- أسلوب الترابط الفكري .Assoziationsprinzip

وهذه الوسائل وإن كان تطبيقها وتحديد وظيفتها يحتاجان إلى دراسة مفصلة، صارت أسساً للأسلوب الشفوي الذي يتميَّز بعفوية الاحتكاك التواصلي[٢] .

ثانياً - الموقف التواصلي Kommunikative Situation

بما أن الكاتب مسؤول عن نصه الذي دوَّنه، واتخذه كياناً مستقلاً له خصائصه ومزاياه، بعد أن أعده وراجعه وصححه، وبما أن النص في اللغة

(١) ينظر: S. Grosse المصدر الأخير في الحاشية (١٠) ص ٦٦٠

(٢) ينظر: H. Steger في بحثه (اللغة المنطوقة Gesprochene Sprache) المنشور في (الجملة والكلمة في الألمانية المعاصرة) ص ٢٦٢ و ٢٦٤

الحكية هو تعبير لغوي عادي غير مترابط شكلاً، ولم يسبق إعداده ولم يكتب؛ لأن أساسه العفوية، فإن اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة يشكلان قطبين من ناحيتي المسؤولية والعفوية، وذلك «حين تكون العفوية أحد العوامل غير اللغوية التي تسهم في بناء النص، كالسياق اللغوي والربط الموضوعي وبعض السمات والخصائص النحوية، التي تميزه وتعرّفه»[١] .

وبناء على هذا، وبناء على ما تعنيه العفوية، وبناء على موقف H. Steger في هذا المجال، فقد تم تمييز ثلاثة أنماط من النصوص الكلامية العفوية، مع ملاحظة تنامي درجة العفوية فيها، وهي:

- النصوص التي يتحدث بها في المناسبات بين أشخاص من مستوى واحد.

- نصوص الحكايات الحرة.

- نصوص المحاضرات التي ترجع إلى موضوع محدد، ولا تقرأ، ونصوص المقابلة الصحفية ونصوص المناقشات العلمية.

هذه الأنماط الثلاثة ليست (كل أنواع النصوص) إنما (هي بعض منها) وذكرها هنا مستقلة ومفردة، هكذا قد يسهل الدرب أمام منهج جديد للبحث.

---

(١) ينظر: H. Steger في (توثيق اللغة المنطوقة وتحليلها، Über Dokumentation und Analyse Gesprochener Sprache) في مجلة (الألمانية هي اللغة الهدف Zielsprache Deutsch) ١/ ١٩٧٠، ص ١٨، كما أنه لابد من أن يلاحظ أيضاً، بأن Steger يعرض هنا نتائج الأطروحة التي مازالت مكتوبة على الآلة الكاتبة لـ: H. Deutrich والتي تحمل السمات اللغوية الأسس النصية للعفوية في النصوص المنطوقة Sprachliche Merkmale und textliche Kriterien für Spontanität in gesprochenen Texten) كيل ١٩٦٨م.

وبناء على طبيعة الكلام العفوي، بوصفه شكلاً بنائياً خاصاً، يلاحظ أن الجمل الناقصة غير الثابتة فيه، والتغييرات الشكلية التي تتم في بعضها تصحيحاً أو تدقيقاً، والتعديلات الدلالية في محتوى آخر، والتسلسل الترابطي بين عناصر الكلام؛ هذه كلها عوامل تكشف عن أن الواحدة تؤخذ من الأخرى، إلى حد ما؛ ولهذا فإن ما فيها من ثغرات لغوية من الوجهة المعيارية يمكن تغطيتها بالعلاقة المباشرة والمشروطة بين المستمع والمتكلم؛ لأن اللغة المنطوقة بعيدة جداً عن المعيار، ولأن «لها سياقاً موقفياً تصل به إلى هدفها من حيث تحقيق الفهم الصحيح»[1] .

ففي الوقت الذي ينبغي فيه على النص المكتوب أن يصور الأشياء بمعيارية ووضوح حتى يفهم المقصود منه، يستدرك المستمع المعلومات الناقصة في النص الكلامي بكل سهولة معتمداً على كفاءته اللغوية واحتكاكه بالمتكلم في الموقف الذي يتم فيه تلقي هذا الحديث.

ولتوضيح هذه الفكرة يشار هنا إلى المثال الذي ذكره (Jost Trier) حول هذا الموضوع حين استشهد بالنص الآتي: (إلى اليمين - إلى اليسار - والآن بعيداً - انطلق - توقف - جيد - الآن إلى أسفل يساراً - يميناً - اكبح - كل شيء على ما يرام...».

ومن ملاحظة التراكيب السابقة، وملاحظة ما بينها من علاقات، يتبين أن الموضوع متعلق بتعليمات يصدرها المسؤول الفني في أثناء (اختبار قيادة

---

(١) ينظر: Rupp في (الاستعمال اللغوي والمعيار والأسلوب) ص ٢٢

السيارة)، كما يتبين أن الموقف الذي جاءت فيه تلك التراكيب، موقف فاعل وحيوي، أتت فيه الجمل مختزلة جداً إلى درجة تم فيها الاكتفاء بكلمة واحدة[١] .

وبناء على هذا المثال وما يماثله تحمل الظروف التي يتم فيها التفاعل عند تحقق أي فعل تحت مصطلح واحد جامع هو (الظرف الكلامي Redekonstellation)[٢] الذي يشتمل بدوره على عوامل:

- اجتماعية (مثل الوضع الاجتماعي).
- نفسية (دوافع فكرية وعاطفية، مستوى الخبرة - حالة الاهتمام).
- موقفية (مقامية Situative).

وقد يكون (للسياق المقامي Situative Kontext) دور مميز في التواصل اللغوي إلى درجة يؤدي فيها هذا السياق بعض وظائف اللغة، بدليل:

---

(١) ينظر J. Trier في بحثه (اللغة اليومية Alltagssprache) المنشور في (اللغة الألمانية في القرن العشرين)، غوتينغين ٢/ ١٩٦٩م، ص ١١٦/ كما ينظر: G. Storz في بحثه (الموقف واللغة Situation und Sprache) الذي نشر في (الشعر وعلم اللغة في الألمانية) وهذا كتاب تذكاري في ذكرى ميلاد F. Maurer الخامس والستين، صدر في شتوتغارت ١٩٦٣م، ص ١٨١ - ١٩٠

(٢) وينظر هنا أيضاً: H. Steger في بحثه (بعض الجوانب النظرية والتطبيقية لبحث اللغة الألمانية المنطوقة Einige theoretische und empirische Aspekte der Forschung gesprochener deutscher Sprache) المنشور في وريقات جامعة فرايبورغ، العدد ٣٤ لعام ١٩٧١م، ص ٣٧/ كما ينظر: K. H. Deutrich- G. Schank في بحثه (الموقف الكلامي والفعل اللغوي Redekonstellation und Sprachverhalten) وذلك في (محاضرات مبثوثة بالإذاعة Funk-Kolleg) في باب (اللغة Sprache) الجزء الثاني ٢ ص ٢٤٢

- احتمال حيازة المقولات اللغوية الخاصة وظيفة أخرى ودلالة أخرى لدى استعمالها في مقام آخر، كما في جملة (احترق الخط)، التي تشير إلى مفهوم فني وكهربائي في استعمالها العادي، إلا أن نقلها إلى مجال التجارة والتجار يجعلها تفهم بمعنى «أصيب المشروع بالإفلاس إلى درجة تم فيها خسارة آخر فلس فيه»[1] .

- احتمال أداء مقولات لغوية مختلفة ومتعددة وظيفة واحدة ودلالة واحدة في موقف واحد مثل «أغلق النافذة من فضلك - الهواء بارد هنا - ثمة تيار بارد، وذلك كنوع من المطالبة التي تناسب الموقف الذي يكون فيه طرفا الاتصال»[2] .

- احتمال استكمال المقولات اللغوية غير الكاملة بالسياق المقامي، كما هو مبين في مثال (Trier) حول فحص قيادة السيارة.

واللافت هنا أن المواقف المبالغ فيها كما في مقولات الحالة الأخيرة، يظهر فيها ما يسمى بـ (جمل الكلمة الواحدة)[3] التي تأتي على شكل رموز مقامية لها طابع رمزي خاص مثل: النجدة، حريق، لص، وغيرها كثير.

فالنداء (نار) مثلاً قد يكون إعلاماً عن نشوب حريق، وحثاً على تقديم

---

(١) وذلك بناء على ما جاء لدى K. D. Bünting في كتابه (مدخل إلى علم اللغة الحديث) ص ١٨٠

(٢) وينظر هنا تفاصيل ما ورد لدى D. Wunderlich (في الكتاب الذي أصدره كل من المؤلف المذكور) و U. Maas (التفعية والفعل اللغوي Pragmatik und Sprachliche Handeln) فرانكفورت ١٩٧٢م، ص ١٢٣

(٣) ينظر: W. Porzig في (العجيب في اللغة Das Wunder der Sprache) بيرن - ميونيخ ٤/ ١٩٦٧م، ص ١٠٩

العون، أو مطالبة شخص آخر بإخبار رجال الإطفاء، أو تحذيراً من خطر.. هذه جميعاً احتمالات متوقعة حين تؤخذ الأعراف الاجتماعية السائدة وآثارها في الحسبان، ويبحث في الموقف نفسه فقط عن الأسباب التي دعت إلى طلب النجدة.

وفي هذه الحالات كلها بدءاً من الجمل المختزلة (Ellipsen)، والحالات التي لا وجود فيها لصورة الجملة Nicht- Saetze وصولاً إلى جمل الكلمة الواحدة Einwortsaetze يؤدي السياق المقامي وظائف جزئية محددة في التواصل اللغوي؛ لتعلق المسألة فيها وعلى نحو خاص بمعلومات تقع خارج نطاق الملاحظة المباشرة لدى السامع/ المتكلم، وليس هناك حاجة إلى ذكرها لغوياً أو التلفظ بها؛ لأن التلفظ الصريح بها قد يدخلها ضمن الحشو، أو يؤدي إلى الاضطراب في الاتصال.

ولهذا لا يجوز عدُّ ما يرد في الكلام العفوي الارتجالي من (تراكيب مختزلة) خطأ نحوياً والنظر إليها من منظور المعيار اللغوي، إنما ينبغي الانطلاق من (معيار الاقتصاد في اللغة) ثم الحكم عليها من منظور الرغبة في التعبير عن الأفكار بأيسر السبل وأقربها إلى الفهم[1] ؛ ولهذا فقد كان كارل بيولر على حق حين عد تلك الاختزالات أساليب كلامية عملية (Redeweisen

(١) ويضاف إلى هذا ما جاء على لسان H. Miser في بحثه (أنماط الاقتصاد اللغوي في الألمانية المعاصرة Typen Sprachlicher Okonomie im heutigen Deutsch) المنشور في مجلة (اللغة والمجتمع) ص ٨٩ - ١١٧، كما ينظر J. Erben: (الوجيز في قواعد اللغة الألمانية Deutsche Grammatik Ein Abrib)، ميونيخ ط١١/ ١٩٧٢ م، ص ٣٠٩

Empraktische)، ووجد أن السبيل إلى فهمها الكامل هو الموقف الذي تستعمل فيه[١].

ورأى بيولر أن ألفاظ الإشارة هي السبيل إلى تمييز المقام التواصلي في أحسن أحواله؛ لأن هذا المقام يتضمن إشارات متعددة لها وظائف إشارية محددة كإشارة (أنا) إلى المتكلم، وإشارة (أنت) إلى المخاطب، مع احتمال تبادل الأدوار، وكالإشارة إلى الغائبين في الموقف الكلامي بـ (هو، هي،..)، فضلاً عن استعمال (هنا) للإشارة إلى مكان الحدث، أو إلى العلاقات المكانية مع غيرها من الرموز مثل (هناك، مقابل، إلى هناك، من هناك،..) واستعمال (الآن) للدلالة على زمان الحدث، أو للإشارة إلى العلاقات الزمانية التي بين هذه الكلمة وغيرها من ألفاظ الدلالة على الزمان مثل (سابقاً، قديماً، قريباً، غداً..).

فالإشارات (Deixis)[٢] سواء أكانت شخصية أم مكانية أم زمانية -

(١) ينظر: Karl Bühler (نظرية اللغة Sprachtheorie، 1934 Jean/م/ شتوتغارت ٢/ ١٩٦٥م، ص ١٥٤، وفيما يخص الفكرة المعنية هنا ينظر بدقة ص ٧٩

(٢) وفي باب وسائل الإشارة والمرجعية ينظر: D. Wundreich في (النفعية والموقف الكلامي، والإشارة Pragmatik, Sprechsituation, Deixis) وذلك في (مجلة علم الأدب واللسانيات Literaturwissenschaft und Linguistik) المجلد ١ للعام ١٩٧١م، الدفتر ١/ ٢ ص ١٥٣ - ١٩٠/ وينظر للمؤلف نفسه دور النفعية في اللسانيات Die Rolle der Pragmatik in der Linguistik) وذلك في مجلة (تعليم اللغة الألمانية Deutschunterricht) ٢٢/ ١٩٧٠م، الدفتر ٤ ص ٥ - ٤١، وبخاصة ص ٢٥/ وينظر المؤلف نفسه في Mass - Wunderlich (النفعية والفعل اللغوي Pragmatik und sprachliches Handeln) ص ٢٩، وبوجه عام ينظر: J. Kurytowicz في (دور العناصر الإشارية في التطور اللغوي The role of Deictic Elements in Linguistic Evolution) في مجلة (علم العلامات Semiotica) ٥/ ١٩٧٢م، ص ١٧٤ - ١٨٣

مرتبطة بالمقام كحركات الإشارة، والإيماءات، أو مفصولة عنه كالأعداد وأسماء العلم - هي بعض مما يسمى بالأدوات المرجعية (Referenzmittel) التي تعود إلى موضوعات مرجعية في (الواقع الحقيقي reale) أو في واقع (وهمي fikive) أو في نصوص.

فالأدوات المرجعية التي تتعلق بالمقام، وتناسب اللغة المنطوقة بشكل كبير - على خلاف تلك التي ترتبط بالنصوص، وتأتي مفصولة عن المقام - تؤكد ما قد عرف في الحياة اليومية بأن السياق المقامي يشتمل على القرينة الكلامية Redezusammenhang التي يستعان بها مع غيرها من الأدوات المرجعية بوصفها إضافات Additamente الأسلوب الشفهي.

ثالثاً- ملاحظات حول الأسلوب الشفهي

إذا كان البحث في المعايير المميزة للغة المنطوقة لا يزال الآن في وضعه القديم، فإن هذا الحكم ينطبق وما زال ينطبق بشكل كبير على دراسة أسلوب هذه اللغة؛ لأن الدراسات التي أجريت وتجري في هذا الباب تتوجه على قلتها إلى موضوع الأسلوب، وتكتفي في بحثها بشرح أمثلة وحالات قليلة من الصيغ والتراكيب التي تجدها مميزة للكلام الشفهي ومناسبة له، ومنها مثلاً الظواهر الآتية:

أ – تكرار Rekurrenz الألفاظ والمقولات الجاهزة Wendungen وما فيها من حشو Redundanz مثل: بالنظر إلى - بالنسبة إلى - من ناحيتي - من ناحية

أولي - من ناحية ثانية..."[١]، وظاهرة التكرار تعكس الاختيار الموفق للتعابير إلى حد ما؛ لأن تكرار الألفاظ لا يأتي عبثاً، إنما لأسباب كثيرة، فقد يكون للتصحيح، أو التعديل، أو لإيراد مترادفات مناسبة، كما في مثال Grass، وهذا كله يعني ارتباط المسألة هنا بتحسين الانتقاء الأولي والعفوي للألفاظ، أو ارتباطها بالتوضيحات التي يأتي بها المتكلم، ويبدو فيها هذا المتكلم وقد بذل جهداً واضحاً لاختيار ما هو أنسب اتصالياً، أو أنسب أسلوبياً في الوقت الذي يشكل فيه النص المكتوب خلاصة هذا الانتقاء.

ومن خصائص أسلوب الكلام الشفهي أيضاً تكرار مقولات محددة، تتواتر في الكلام العفوي إلى حد لا يلاحظ فيه أي فاصل زمني كبير بينها، فيؤدي بها (للربط المفرداتي Lexematische Verknuepfung) وتكرارُها أساسٌ جوهريٌ لحقيقة النص الشفهي.

ويؤخذ على اللغة المنطوقة بأن تلك المقولات المكررة تقلل من قيمتها ومستواها، وذلك بما تشكله من إسهابات Redundanzen، تُعدُّ حشواً، في الوقت الذي لا تلاحظ فيه هذه الظاهرة في النص المكتوب؛ لأن معيار الكتابة يستلزم استبدال التكرار بضمائر أو إجراء التعديل أو التغيير Variation في

---

(١) ومما جاء في (حوار غونتر غراس مع الفصول المدرسية Schulklassengespräch mit Gunter Grass) مطبوعاً في (نصوص من اللغة الألمانية الفصحى المحكية Texte gesprochener deutscher Standardsprache) ١، ميونيخ - دوسيلدورف ١٩٧١م، ص ١٣٩ - ١٦٥، ومن المفيد جداً إجراء مقارنة مع صيغة اللغة المكتوبة (كيف تصلون إلى هذا؟ سؤال يطرحه الشباب على المختصين العريقين Wie stehen Sie? Jugend fragen Prominente)، الذي نشره كل من M و Barbara Grunert في ميونيخ - بيرن ١٩٧٦م، ص ٧٤ - ٨٦

التركيب الذي قد يتكرر باستعمال البدائل الأسلوبية؛ ولهذا يرى بعضهم أنه ينبغي عدم النظر إلى هذه الظاهرة نظرة سلبية لكون هذه الألفاظ والمقولات متكررة في كلام شفهي عفوي غير معد بغرض تيسير الاتصال لكل من المتكلم والمستمع على حد سواء[١] .

ب – فقدان التابع التركيبي :Syntakische Anakoluthe ومن الأمثلة التي يستشهد بها هنا التراكيب الآتية التي تتواتر في الكلام الشفهي : «بوسعي القول استناداً إلى معرفتي - حسب معرفتي - بوسعي القول - وبالنسبة إليَّ هذه الصفحة من الورق - عندما يجب أن أكتب الجملة الأولى أو أطبعها - إنه عذاب - وهنا يجري المرء - ومع الزمن تسير الأمور تلقائياً»[٢] .

وتصدى (كلايست Kleist) لهذه الظاهرة، فرأى أن خروج المتكلم عن التابع المعهود في بناء تراكيبه وانتقاله من جملة إلى ثانية أو ثالثة يرجع إلى مجموعة من العوامل المسوغة ومنها»:

– اعتقاد المتكلم أنه بهذا التابع يتخطى ضرباً من الإنجاز الفكري في أثناء تكلمه.

– افتراض وجود مجموعة كبيرة من الأفكار غير المنظمة في ذهنه، والتي تقتضي صياغة لغوية تكون مختلفة شكلياً في بداياتها.

(١) ينظر: Barbara Wackernagel - Jolles في (دراسات في اللغة المنطوقة Untersuchungen zur gesprochenen Sprache) ص ٢٣٧

(٢) استقي هذا من إرسال إذاعي بناء على قول H. Rupp في (الاستعمال اللغوي والمعيار والأسلوب Sprachgebrauch, und Norm) ص ١٩

- خروج المتكلم في الغالب عن مخططه اللغوي الأصلي لصياغة فكرته، وإحساسه بأنه ملزم بتعديل جمله (Umdisponieren) في أثناء كلامه.

- الشرود كعامل فكري يكون في معظم الأحيان هو السبب الرئيس في إجراء التعديل في الجمل الكبيرة والجمل التابعة[١] .

ومقابل هذه التوضيحات والتسويغات التي ينظر إليها من منظور سلبي وتمثل سمة سلبية، هناك ما يمكن أن يعد إيجابياً في ظاهرة عدم التسلسل الترابطي بين تراكيب الكلام، فالمقام الذي يتم فيه التواصل لا يؤثر فقط؛ لأن الغرض منه هو التسلية الخارجية، بل لأنه يسمح للمتكلم بتطبيق استراتيجية مخططه اللغوي تطبيقاً مرناً يستند إلى مراقبة ردود فعل المستمع ومراجعتها، لأن ردود الفعل هذه تقتضي تغييراً في بناء المعلومات، وفي طريقة بناء الجمل. أو تقتضي إضافات مهمة.

وبالمقابل ونظراً لتوفر إمكانيات القراءة والمراجعة والتصحيح اللاحق في العمل اللغوي المكتوب، لا يقع الكاتب في مثل هذا النوع من تداخلات البناء والتركيب وأخطائه.

جـ - قلب ترتيب المسند والمسند إليه Thema/ Rhema مثل: «أستغرب الآن، ولا أدري إن كنت تستغرب معي، كيف يمضي الوقت سريعاً (الجملة بالألمانية ص ٤٥ في المتن»)[٢] .

---

(١) لابد من الإشارة هنا إلى ما جاء به تشومسكي من نموذج للاستعمال اللغوي وذلك في كتاب (اتجاهات نظرية علم بناء الجملة) ص ٢٤

(٢) هذا بناء على رأي H. Zimmermann في (نحو تنميط الحديث العفوي Zueiner Typologie des spontanen Gesprachs) ص ٢٦، والترجمة العملية لهذا مستخلصة من الألمانية المتحدث بها في مدينة بازل أخذاً بموقف P. von Polenz في (الكلمة الفاعلة) العدد ١٨ للعام ١٩٦٨م، ص ١٣٨

لغتنا المكتوبة معبرة، جعلها مرتبة ترتيباً نسقياً خاصاً، يصدّر فيها المعروف (Thema موضوع الحديث)، ويليه الجديد «المسند/ الخبر Rhema» الذي هو لب الخبر مع ذكر ما بينهما من روابط إن وجدت.

هذه النتيجة ليست وليدة الخيال، وليست مجرد افتراض، أو حكماً اعتباطياً، بل إنها خلاصة اهتمام كبير حظيت به الجملة ومكوناتها من حيث تنظيمها وتتابع مكوناتها في المدرسة اللسانية التشيكية - وبخاصة على يدي V. Mathesius - حين درست (المستوى الوظيفي في الجملة) الذي توقفت الدراسات الحديثة عنده تحت مسمى جديد هو (الموضوع والمحمول)[1] .

وفي الوقت الذي يأتي فيه المهم والمفاجئ والجديد بالنسبة إلى المستمع في صدر الجملة، ثم يتبعه شرح تفسيري يقدمه المتكلم، وفي الوقت الذي يكون فيه الانتظام الشكلي والمنطقي هو المفضل عموماً في العرض الكتابي - وهذا من مسؤولياته -، تخالف اللغة المنطوقة العفوية هذا التنسيق، وتستند إلى تناسق شفهي متصرف فيه ..Mundlische Spannungsfolge وتعطي الجانب الدلالي الأفضلية فيه[2] .

---

(١) ينظر: K. Boost في (دراسات حديثة في جوهر الجملة وتركيبها في الألمانية Neue Unterschungen zum Wesen des deutschen Satzes) برلين ٢/ ١٩٦٤م، وجاءت هذه الدراسات ملخصة لدى E. Benes - J. Vachek في: (الأسلوبية واللسانيات الاجتماعية Stilistik und Soziolinguistik) ص XIV وص XXV الملاحظة رقم ١١، كما يتظر: O. Dahl في: (الموضوع والمحمول Topic Comment) غوتيبورغ - استوكهولم ١٩٦٩م، وعلاوة على هذا فقد ثبتت أهمية البحث في الموضوع والمحمول في الدراسة اللسانية النصية؛ ولهذا ينظر: U. Fries في: (لسانيات النص واللسانيات وتعليم اللغة) ٢/ ١٩٧١م، ص ٢٢٥، وينظر أيضاً: W. Dressler في: (مدخل إلى اللسانيات النصية Einführung in die Textlinguistik) توبينغين ١٩٧٢م، ص ٥٢

(٢) ينظر: H. Zimmermann في: (نحو تنميط الحادثة المقوية) ص ٢٨

نعم إن حيازة (وضع المسند) في صدر الجملة وظيفة أسلوبية واضحة يدلل عليها في الحقيقة مصادفة هذا الوضع في بعض الجمل المكتوبة على النحو نفسه أحياناً، والشائع جداً في هذا المجال نمط (جمل المديح والتعظيم Emphassaetze) من مثل (كم كانت شجاعته التي أذهلت الجميع عظيمة .(Es war sein mut, der allen imponierte

وبمقارنة مثل هذه الجمل بأخرى وفق صياغات مقبولة من هذا النموذج مثل (الكلاب هي كذلك ترجع إلى صنف الحيوانات اللبونة) أثبت W. Motsch أن أمثال هذه الجمل التفخيمية يمكن أن «تعد مثالاً على أبنية تركيبية بتضمين أسلوبي»[1] ، فهي لا تقدم في الأساس أكثر من الصياغة الفصيحة والمعبرة لإمكانية أسلوبية واسعة الانتشار في الكلام العفوي.

إن خصائص الأسلوب الشفوي مرتبطة بخاصية اللغة المنطوقة، فكما يتم التوصل إلى هذه الخاصية في أحسن الأحوال عن طريق مقابلة اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة، كذلك يمكن مقابلة الأسلوب الشفوي بالأسلوب المكتوب.

ف (الظرف الكلامي) عد مهماً جداً بالنسبة إلى اللغة المنطوقة وبالنسبة إلى أسلوبها أيضاً، وعدت المواقف الكلامية في هذا الظرف حالة مألوفة من التواصل الحواري الذي يتم وجهاً لوجه (face - to - face communication) مع إغفال مقصود للاحتمالات الأخرى كالحوار الذاتي (Monolog) والمكالمة الهاتفية والاتصال الفئوي والجمهوري.

---

(١) ينظر: W. Motsch في (نموذج من الجمل التفخيمية في الألمانية Ein Typ von Emphasesätzen im Deutschen) وذلك في: (مقترحات لنحو بنيوي في الألمانية Vorschläge für eine strukurelle Grammatik des Deutschens) ص ٨٨ – ١٠٨

وكما سبق فإن توزيع الأدوار بين المتكلم والسامع متغير حتماً، فحين يغض النظر عن أساليب كلامية خاصة بأدوار ثابتة - كالمحاضرة والخطاب والحكاية.. يميز الموقف الكلام العادي بالتغير الكبير لأدوار الكلام، وبخاصة في تراكيب السؤال والجواب الذي يكون فيه تغير الأدوار إجبارياً؛ فمن لحظة إلى أخرى يتولى السامع دور المتكلم، والمتكلم الحالي يصير سامعاً، وقد يحدث أحياناً أن يجري الاتصال في وقت واحد Simultan وذلك بحصول نوع من التداخل في الكلام والمقاطعة في الحديث.

ويتشكل رد الفعل (reedback/ Ruekkopplung) بانتظام بطريقة يُخْتَبَر فيها المتكلم الذي يتبع غرضاً كلامياً معيناً - يختبر تأثير كلماته من خلال رد فعل السامع ليتمكن من تغيير استراتيجيته في الكلام الذي ما زال جارياً حين تتاح له الفرصة.

وبالإضافة إلى عَدِّ الاحتكاك المباشر بين السامع/ المتكلم شرطاً لعفوية الكلام ثمة شيء أساسي هو اشتمال الموقف Situation نفسه الذي يصنع اللغة المنطوقة بطريقة خاصة، فبدلاً من العبارات الواضحة كثيراً ما تأتي أدوات مرجعية إشارية أخرى ترتبط بالسياق إلى جانب وسائل مرجعية غير لغوية، فمسار الاتصال اللغوي مثلاً يمكن أن يتأثر جوهرياً بحركات من مثل: حركة الرأس الرافضة أو المؤيدة، حركات اليد الشارحة، النظرات الخاصة، وغيرها من الإشارات الإيمائية وحركات التأشير.. واللغة المنطوقة بطبيعتها تستند في قسم أساسي منها إلى هذه الإمكانيات التي لا تعرفها اللغة المكتوبة من ناحية، وتصوغ الكلام الشفوي على نحو مميز من ناحية ثانية.

صحيح أن Z. Steger قد حذّر من تبويب خصائص أسلوب الكلام جميعاً على نحو متساو مع الأسلوب في الوضع الراهن لمعرفتنا[١] إلا أنَّ الظروف الموقفية (للموقف الكلامي) تخلق تراكيب لغوية معروفة على نحو يمكن للمرء أن يرى فيها سمات أسلوبية عامة للغة الشفوية، وهذا ما يمكن أن يوجز تحت مفهوم أسلوب المقام (Situationsstil).

وبوجه عام يمكن الأخذ بالحكم النهائي الذي جاء فيه «أن الجزء الأكبر من الفعل اللغوي يتكون على نحو مطلق من اللغة المنطوقة التي تخرج جزئياً أو كلياً على معايير اللغة الفصحى، فاللغة المنطوقة تسير من دون أي نظام، ومن دون أي قاعدة، لأنها قد تصير غامضة وتصير فارغة لا معنى لها، إلا أن نظامها وقواعدها لا تتساوى مع قواعد لغتنا المكتوبة إلا نسبياً»[٢] وما قد قيل هنا عن نظام اللغة المنطوقة وقواعدها ينطبق تماماً على أسلوبها.

نعم إن هذا الإدخال - غير المسلم به - للأسلوب الشفوي في الأسلوب اللغوي له عواقب كثيرة، فالأسلوب الأدبي المقيد بالصيغة المكتوبة يعد وبشكل قطعي أسلوباً فرعياً Teilstil، بالإضافة إلى ما ذكر يمكن التساؤل عموماً إلى أي مدى تنطبق الأحكام المذكورة الخاصة بالأسلوب على أسلوب اللغة المكتوبة، ولا تنطبق على أسلوب اللغة المنطوقة أيضاً، فإدخال الأسلوب الأخير على كل الأحوال في مجال الأسلوب قد يكون ذا أهمية كبيرة أو قد يؤدي إلى تغيير التصورات السائدة عنه إلى الآن على الأقل.

ففي الوقت الذي تأخذ فيه اللغة المكتوبة عموماً معيار اللغة الفصحى في

(١) ينظر: (اللغة المنطوقة) ص ٢٦٩ - ٢٧٣

(٢) ينظر: H. Rupp في: (الاستعمال اللغوي والمعيار والأسلوب) ص ٢٣

جميع أشكال تحققها، تمثّل اللغة المنطوقة إلى حد كبير بما يسمى بلغتنا اليومية أو لغة التداول اليومية، وهي الطبقة اللغوية الوسطى التي تقع بين اللغة الفصحى واللهجات.

وفي هذا الحكم إطناب واضح، فالمعيار اللغوي الحالي في اللغة الألمانية هو معيار الكتابة؛ لأن اللغة الفصحى ولغة الكتابة واحدة، وما يظهر من عناصر في اللغة الفصحى يعد في قسم كبير منه من آثار اللغة المنطوقة.

ويصعب من الوجهة التاريخية أن يكون للثنائية (لغة مكتوبة - لغة مكتوبة) أي دور أسلوبي؛ والصعوبة هذه ليست وليدة كون المكتوبة محفوظة ومتوارثة كتابة؛ ولكون الفروق الملحوظة اليوم بين اللغتين لم يكن لها أي أثر في الماضي، بل لأن الدور الأساسي في ذلك هو (عدم الاستحسان أو الازدراء) الذي قوبلت به اللغة المنطوقة في الماضي أو بقاؤها مهملة كلياً ولزمن طويل.

* * *

الفصل الرابع

التطور الأسلوبي / تاريخية الأسلوب

Diachronie des Stils

على الرغم من أن كلمة (أسلوب) بمعنى (طريقة العرض) قد عرفتها الثقافة الألمانية منذ القرن الخامس عشر، وصارت جزءاً منها منذ هذا التاريخ، وعلى الرغم من معايشة هذه الكلمة نوعاً من المنافسة العملية مع مصطلح (طريقة الكتابة) التي جاء بها المتعصبون للغة في القرن الثامن عشر، فإن العلم المعني بالأسلوب والأسلوبية لا يزال حديثاً نسبياً، وإن الأسلوبية بمفهومها الجديد وبوصفها مصطلحاً مستقلاً - لم تر النور في اللغات الأوربية إلا منذ القرن التاسع عشر.

فحتى هذا التاريخ كانت معايير البلاغة (Rhetorik) هي المهيمنة، وكانت تؤدي الوظيفة نفسها التي تقوم بها الأسلوبية، إلى درجة جاز فيها عدُّ البلاغة السلف الشرعي للأسلوبية المعيارية، على الرغم مما بينهما من خلاف في المادة المعتمدة، ومن الاستقراء اللغوي لكلمة الأسلوبية، يتبين اعتماد هذا العلم على اللغة المكتوبة (فـ Stilus في اللاتينية تعني فن الكتابة) واستناد البلاغة - بوصفها فن الكلام - إلى اللغة المنطوقة باعتبارها فن الفصاحة.

أولاً - البلاغة سلف الأسلوبية

إذا كان بعض العلماء لا يقرون بكون البلاغة فرعاً علمياً مميزاً عرفته المدارس اليونانية، ودرسته منذ القرن الخامس قبل الميلاد، فإنه يمكن الجزم بأن جذورها متأصلة في الطموحات القديمة للإنسان الذي كان يرغب في جعل كلامه هادفاً ومؤثراً، وذلك بصياغة لغته جيلة (dekorativ) أو مؤثرة (effektiv).

فقن الكلام الذي نما وازدهر عند اليونان - وبخاصة لدى السفسطائيين وأهل الفصاحة الساحرة منهم (attische Beredsamkeit).. - بوصفه (فن البلاغة) الذي كان يشكل العنصر الثاني في الثلاثية العلمية لنظام (الفنون السبعة الحرة) قد عمَّقه بلاغيو العصور القديمة في روما ونقلوه إلى العصر الوسيط، وصارت المعايير البلاغية - بوصفها تعليمات تطبيقية في آلية الكلام لأهداف سياسية، قانونية وفخرية - تولي استعمال الوسائل اللغوية المؤثرة جلّ اهتمامها.

وبالنظر إلى الآمال الكبيرة التي ارتبطت بالأثر المترتب على تحسين الصياغة اللغوية، فقد أدى الاهتمام بزخرفة الصياغة إلى ازدهار:

- علم اختص بالصيغ الأسلوبية للتعبير اللغوي.
- وعلم اهتم بالصور البلاغية ورسم سبل الإفادة من هذه الصور.

فكانت هذه الفصاحة الكلامية هي الوسط المناسب لظهور البدايات اللسانية الأولى تحت لواء الإشارة البلاغية.

ومن المفيد هنا الإشارة إلى البذور الأولى لما بين البلاغة والشعر من علاقة؛ نجمت وبشكل منطقي من التداخل الجوهري الذي بين البلاغة وعلم الجدل والنحو؛ فارتبطت البلاغة من ناحية أولى ارتباطاً وثيقاً بعلم الجدل الذي قدم

له أسساً فكرية منطقية، وارتبطت من ناحية ثانية بعلم النحو الذي لا يزال يحرص على الصحة اللغوية، بدليل أن سلطات النحو في الماضي كانت بيد المؤلفين المرموقين من شعراء وخطباء، وبدليل أن الكتب اللغوية البلاغية القديمة - مميزة في البداية بصيغتها النثرية فقط - كانت تسوى الكتب الشعرية من حيث قيمتها، وهذا ما أدى إلى وجود تداخل مشروع بين فن الشعر وفن الكلام.

هذه هي البدايات الأولى لتطور الاهتمام بالأسلوب الذي صار يركز رويداً رويداً على الفصاحة الأمر الذي ترتب عليه:

- اعتبار الشعراء الكبار في أوربا كافة قدوة تقليديين، وعدّهم أساساً فاصلاً للأسلوب والمعيار اللغويين.

- اندماج البلاغة بأدواتها الأسلوبية في الشعرية إلى درجة صارت فيها نسبة الأسلوب مقتصرة على الأعمال الشعرية فقط؛ وهذه هي ساعة ميلاد مفهوم الأسلوب الأدبي المميز.

وأما ما قد تبقى من البلاغة القديمة والذي كان تعليم اللغة اللاتينية وتعليم البلاغة هما السبيل إليه، فهو مجموعة من المعايير المتبعة لعرض الأفكار بصيغة جميلة، ومجموعة من الصيغ الساحرة المزخرفة؛ فأفاد شعر المرحلة التالية أحياناً إفادة كبيرة من هذه المعايير والصيغ، إلى درجة صارت الآثار القديمة فيها تميز ثلاثة فنون أسلوبية عامة (genera dicendia) هي:

١ - **الأسلوب السهل البسيط** (genus tenue/ humile, subtile):

وهو أسلوب يتميز بالبساطة في الاستعمال والبعد عن الزخرفة، سبيله الاعتماد على اللغة العادية، وهدفه تعليمي أو إخباري، فكل أسلوب عادي ينقلك إلى مواقف جديدة وهدفه نقل معلومة (Information)، وكل فرد في الجماعة اللغوية يتكلم أو يكتب أسلوبه عادي، وهو شخصٌ فاعلٌ.

٢ - الأسلوب الوسط (genus mediocre):

أسلوب تميز باستخدام الزخارف في التراكيب البلاغية الجميلة، ولجوئه إلى الحوار سبيلاً إلى التعبير الواضح والجميل، وغلبة عذوبة [delektation] التركيب عليه كما هو الأمر في أسلوب كُتّاب (التسليات).

٣ - الأسلوب العالي أو الرفيع:

أسلوب يرمي إلى تحريك السامع وإثارة خلجاته العاطفية بالصياغة الدقيقة وبكل وسائل الزخرف الفني للكلام الذي انجلى فيما بعد بالزركشة والجمال، وبعبارة أحدث إن الأمر في الشعر الرفيع مرتبط بالعاطفة (Emotion)[١] والفاعل (Akteur) فيه هو الشاعر.

وعلم الفنون الأسلوبية الثلاثية الذي كان واسعاً في الماضي لم يبق في الأيام اللاحقة على حالة نتيجة المطالبة الشديدة بمزجها، فحوّلها العصر الوسيط إلى أسلوبين أو طريقتي عرض هما:

- الصياغة الزخرفية الصعبة (Orantus difficilis) التي انبثق منها الأسلوب المزدهر في العصر الوسيط.

- التدبيج السهل (Orantus facilis).

(١) من الملاحظ هنا أن المضمون غير اللغوي للغة الفنية قد عرف في نظرية الأدب الحديثة بوصفه (وجداناً)، ولهذا ينظر في هذا المجال ما جاء لدى: A. Stender - Petersen وذلك في (نحو إمكانية وضع نظرية عن فن الكلمة Zur Möglichkeit einer Wortkunst - Theorie) في (علم الأدب وعلم اللغة Literaturwissenschaft und Linguistik) للناشر Ihwe م٢/ ج٢ ص ٤٦٧.

وكلتا الصياغتين تتميزان بتوزيع منظم ودقيق للوسائل الأسلوبية المميزة[١].

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر التقى النحو القديم والبلاغة في الشعر (ينظر الفنون الشعرية القديمة التي استمرت في الأشعار التالية لـ Scaliger و Boileau و Opitz و... فدخلت البلاغة بهذا مرحلة ازدهار جديدة بمعناها الواسع في عصر النهضة وعهد إحياء الآداب القديمة، وبخاصة في الشعر اللاتيني وصولاً إلى عهد باروك وعصر الاكتشاف، وظهرت كتب بلاغية تعليمية جديدة حتى في أواخر القرن الثامن عشر.

ويبدأ الاهتمام بفن الكلام القديم ينتعش في العصر الحديث من جديد، ولم تأت المطالبة بنظرية بلاغية وبنظرية تعليم الكلام في عصرنا الغاص بالتواصل من غير تسويغ أو تعليل، لاحتمال انضوائهما تحت لواء علم البلاغة الذي يشهد الآن تعريفاً دقيقاً باستناده إلى علم الاتصال[٢].

ظلّت المصطلحات البلاغية وأحياناً النحوية مثل: الاستعارة Allegorie وجناس الاستهلال Alliteration والطباق أو المقابلة العكسية Chiasmus والحذف Ellipse والتوكيد Emphase والمبالغة Hyperbel والمجاز Metapher والكناية Metonymie والإرداف الخلفي Oxymoron والترادف Synonymie

---

(١) ينظر: L. Arbusow (الأشكال البلاغية Colores rhetorici) ص ١٥.

(٢) ينظر: H. Steger (اللسانيات والتكوين اللغوي Linguistik und sprachliche Bildung) في كتاب الذكريات لـ H. Eggers تيوبينغن ١٩٧٢م ص ٧، كما ينظر: H. Geibner (الجمل الخمس، فصل في نظرية الكلام والأصول التربوية للكلام D er Funfsatz, Ein Kapitel Redetheorie und Redepadagogik) وذلك في مجلة (الكلمة الفاعلة) العدد ١٨/ ١٩٦٨م، ص ٢٥٨ - ٢٧٨، ومن المفيد ملاحظة هنا أن التيار الأمريكي للبلاغة الحديثة لم يجد سبيله إلى ألمانيا بعد.

والدعاية ...Zeugma مترجحة في الاستعمال حيناً متداخلة تداخلاً واضحاً مع وسائلنا الأسلوبية إلى يوم الناس هذا حيناً آخر؛ ولهذا يتوجه الاهتمام هنا إلى تجديد هذا العالم الاصطلاحي الذي يزيد عمره على ألفي سنة لا بمعنى إلغائه كلياً، بل بمعنى تعريف تلك الصور البلاغية وتصنيفها من جديد من منظور لساني

وعلى كل الأحوال لو كان السؤال (ماذا يعني الأسلوب)؟ قد سبق طرحه في القرون السابقة حين كانت البلاغة ما زالت قائمة، لما كانت الإجابة عنه صعبة؛ لأن «الأسلوب الجيد موجود حيثما تستعمل قواعد البلاغة بشكل صحيح، وفي مكانها المناسب»(١) .

ثانياً - آثار المنظور القديم في مفهوم الأسلوب

ما دامت الأسلوبية وهي في إطار البلاغة متضمنة قيوداً معيارية محددة من حيث نوع الوسائل الأسلوبية المحسنة وطريقة استعمالها، فإنها لم تكن مشكلة، ولم تصبح كذلك إلا بعد انهيار البلاغة وارتقائها هي إلى مرتبة علم مستقل.

وللأسلوبية بوصفها أبرز وريث للنحو القديم والبلاغة بعامة وللشعرية المتأخرة بخاصة علاقة عقدية وطيدة وثابتة مع اللغة الشعرية لدى كبار الشعراء والكتّاب الذين يعدون قدوة يحتذى بهم في المسائل الأسلوبية والمعايير اللغوية النحوية أمثال:

- لوثر بالنسبة إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر.

(١) وذلك بناء على ما جاء على لسان H. Rupp في (الاستعمال اللغوي والمعيار والأسلوب) ص ٣١.

- والكلاسيون وخلفاؤهم بعده.

- والكتّاب المغمورون مثل: هِرمان - هِسّه - توماس مان - أرنست فيشوت.. في العصر الحديث.

لقد كان هؤلاء القدوة، وكانت لغتهم وأساليبهم ما زالت إلى أيامنا هذه تعرض بوصفها معياراً يؤخذ به في القواعد الحديثة[١] ؛ لأن وحدة الأسلوب اللغوي والأسلوب الأدبي الملاحظة في اختيار آثارهم الأدبية واللغوية تبدو أكثر فاعلية وأكثر برهاناً على التماسك الفني في الأسلوب المعياري المحافظ.

ومن يرى أن الأسلوب في ذاته خروج على المعيار ويتمسك بهذا الموقف، يصنف منظوره ضمن الآثار البلاغية ما دام يعد الشواذات الحديثة في الاستعمال صيغاً قديمة، هذا «وتقدم البلاغة كشفاً كاملاً بالشواذات اللغوية Anomalien»[٢] .

ويرى تودوروف (T. Todorov) أن هذا التطور في الأسلوبية إثر هذا الموروث البلاغي والشعري مسؤول عما تشهده الأسلوبية اليوم من حالة تداخل بين اللسانيات والشعرية، وهي حالة لا تحسد عليها؛ «لأنها تقع في منتصف الطريق بين الأدب واللسانيات وتخدم سيدين لكل منهما هدف خاص به ويختلف عن الآخر»[٣] .

(١) إن هذا المستوى من المعيار اللغوي التاريخي والتكويني لم يظهر إلا حديثاً، ولهذا تناقش الأنماط الأخرى التي يعمل بها في تعبير اللغة. وللتوسع في هذا ينظر الفصل القادم.

(٢) ينظر: T. Todorov (التضادات الدلالية Die semantischen) وذلك في Ihwe م١ ص ٣٨٢، كما ينظر: G. N. Leech في (اللسانيات وأشكال البلاغة Linguistics and the Figures of Rhetoric) المنشور في (مباحث في الأسلوب واللغة Essays on Style and Language) للناشر R. Fowler، ص ١٣٥ - ١٥٦.

(٣) ينظر: في Ihwe م١، ص ٣٧٨.

وبناء على ما جاء في الفصل الأول يفترض أن يكون المقصود بالأسلوب بالدرجة الأولى هو (الأسلوب اللغوي) الذي يجد موقعه في اللسانيات من الناحية النظرية، ويختلف (الأسلوب الأدبي) عنه بعناصر إضافية غير لغوية ترجع إلى مجال آخر في نظرية السيميائية؛ أي إن المناهج اللسانية ينبغي أن تطبق بشكل أولي وعام في البحث الأسلوبي أيضاً.

ومنذ أن جاء سوسيور وأجرى التفريق الانقلابي نظرياً وعملياً بين الدراسة اللغوية التزامنية والدراسة التطورية، والسعي مستمر في ميادين اللسانيات كلها للتمييز وبدقة بين دراسة الأنظمة اللغوية المسؤولة، ودراسة التطور اللغوي المقترن بزمن، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن مذهب التحليل اللغوي التزامني ومذهب الشرح اللغوي التطوري متكاملان إجمالاً؛ لأن كلاً منهما يتمم الآخر على الرغم من تفرد كل واحد منهما بوظائف محددة وخاصة به: «فالدراسة التزامنية مثلاً لا تسأل إلا عن (ماذا وكيف) في بنية اللغة؛ فتركز على سؤالين مهمين هما: (مم تتكون؟ وكيف تتكون؟)، في الوقت الذي يلاحظ فيه أن السؤال عن (لماذا؟ ومن أين؟)، من مسؤولية الدراسة التطورية»[١] . وعلى الرغم من وضوح هذين المنهجين ووضوح هدفهما فقد استبعدتهما اللسانيات الحديثة في أثناء دراستها للأسلوب بعامة، وفي معالجة مسائل الأساليب التاريخية بخاصة.

---

(١) ينظر P. von Polenz: (بناء الكلمة كنوع من علم اجتماع الكلمة Wortbildung als Wortsoziologie) وذلك في (جغرافية الكلمة والمجتمع Wortgeographie und Gesellschaft) كتاب تذكاري لـ: L. E. Schmidt الذي نشره W. Mitzka في برلين ١٩٦٨م، ص ٢٦، كما ينظر بشكل عام ما جاء عن المشكلة العامة المتعلقة بالتزامنية والتعاقبية التي وردت في المباحث المجموعة تحت عنوان (اللغة والوقت الراهن والتاريخ Sprache - Gegenwart und Geschicgte) كتاب سنوي لمعهد اللغة الألمانية لعام ١٩٦٨م، وقد نشر في دوسيلدورف عام ١٩٦٩م.

ثالثاً - أسلوب العصر أو أسلوب المرحلة

الملاحظ في الدراسات الأسلوبية (Stilistiken) كلها قسم الأسلوب إلى أنواع متعددة يتصدرها (أسلوب العصر) أو (أسلوب المرحلة Epochenstil)، الذي يتضمن إشارة مباشرة إلى فكرة التطور في الأسلوب لاختصاصه بمرحلة أسلوبية محددة وإيمانه بوجود مراحل أخرى.

والتقسيم هذا ليس وليد الخيال، أو نتاج افتراض ذهني، أو وليد الرغبة في التشعيب والميل إلى التفريع، إنما هو نتيجة طبيعية لاعتماد الباحث الأسلوبي على سمات وخصائص أسلوبية (Stilmerkmale) لها قيمتها العملية، ودورها المميز في انتقاء الكلمة بوصفها الوحدة اللغوية الصغرى، وانتقاء صيغة الجملة بوصفها وحدة أكبر، وانتقاء الصور التعبيرية.. فضلاً عن أهميتها في تميز الآلية المتبعة في بناء نوع أدبي ما وتشكيله وذلك من حيث اعتبار هذه الخصائص سمات تتخذ علامات فارقة لتميز جنس أدبي محدد من غيره إلى درجة يتحول فيها الكلام هنا إلى الحديث عما يسمى بـ (الأسلوب الجماعي gruppenstil)[١] .

ومن الجدير بالذكر أن الاكتفاء بالعامل الزمني وحيداً في تحديد أسلوب العصر أو أسلوب المرحلة يثير الانتباه إلى الخطأ الاصطلاحي الذي قد يقع فيه البحث الأسلوبي في هذا المجال؛ لأن القرن الثامن عشر مثلاً قد عرف قدراً لا

(١) ويرى B. Sowinski أن أشعار رومانسيي جين تتميز من الناحية الأسلوبية تميزاً واضحاً من الأعمال المعاصرة للكلاسيين القايمين. ينظر ما جاء في كتابه عن (الأسلوبية الألمانية Deutsche Stilistik) ص ١٩.

بأس به من التيارات الأدبية التي لم تقتصر على عصر دون سواه، إنما كانت متداخلة زمانياً[١]، ومزيجاً من عهود متعددة ومختلفة.

وإذا تركنا جانباً كلاًّ من الأسلوب الشخصي للمؤلف، والأسلوب الجماعي، والأسلوب الوظيفي لأي عمل يتباين تأثيره كل مرة طبقاً لطبيعة القراءة جانباً، وجدنا أن أسلوب العصر يعرَّفُ عندئذ بوصفه مجموعة من الأساليب الفردية المترابطة تاريخياً وتراتبياً، المتسمة بجملة من الخصائص الأسلوبية المشتركة المرتبطة بمرحلة محددة كاشتراكها مثلاً في استعمال الكلمات المستحدثة المتعلقة بحقل دلالي محدد دون سواه، وبذلك فإن أسلوب العصر، وعلى الرغم من اتساع المجال اللغوي الذي يتوصل به إليه وعدم انحصاره في نطاق ضيق – يظهر بوصفه أساساً تنظيمياً تاريخياً لا يمكن إنكار دوره التمييزي، فالقضايا التي تلاحظ في الأسلوب السهل كأسلوب Brock أو غيره من الأساليب لا تقف عند حدود شكل فني واحد، ولا يمكن شرحها إلا في نطاق النظرية الإشاراتية التي يحتمل أن تتضمن الفن الذي يشكِّل الموسيقا والرسم المتزامنة معها في شروحها[٢].

ولقد سبقت الإشارة إلى أن أسلوب باروك والأسلوب الكلاسي لغوتيه وشيلّر والاستعمال اللغوي الوطني الاجتماعي.. بوصفها مراحل تاريخية في

---

(١) ينظر Chr. Agricola: في (اللغة الألمانية) الجزء الثاني، ص ١٠١٥.

(٢) ينظر رومان جاكبسون في (اللسانيات والشعرية Linguistik und Poetik) الذي نشر في Ihwe م٢/ ج٢ ص ١٤٣، في الكلمة الختامية التي جاءت في (اللسانيات والشعرية) وذلك في (الأسلوب واللغة) ص ٣٥١.

التطور الأسلوبي، هي وحدها التي يمكن أن تشكل موضوعات دراسة التطور الأسلوبي (Stildiachronic) والإشارة هذه مرتبطة نظرياً بتزامنية الأسلوب في لغتنا المعاصرة بطريقتين، هما:

أ - تقابلياً عندما لا يبقى لبعض الأساليب التي كانت مستعملة في الماضي أي استعمال اليوم، وتظهر بدلاً منها وسائل أسلوبية جديدة (تطور الأسلوب).

ب - تاريخياً حيث ترصد أساليب محددة في لغتنا على نحو إرجاعي في صورتها الثابتة والمتغيرة عبر الزمن «لدى اعتبار بعض الأساليب ثابتة لا تتغير عبر الزمن وتحافظ على صورتها وصيغتها بحيث يتم استعادتها واستعمالها في عصرنا».

والمصادر الأسلوبية تستفيد بشكل كبير ومتميز من إمكانية ثبات بعض الأساليب، فتوثق العناصر الأسلوبية المستعملة فيها بوثائق متنوعة من قرون كثيرة، والملاحظ هنا أن الأمر في مثل هذه الحالات مرتبط بالصور والأشكال البلاغية القديمة الثابتة، وتقوّمها على قِدمها بأنها ما زالت وسائل أسلوبية حيّة ومعاصرة، ويمكن دراستها من الناحية المنهجية بوصفها كذلك، ويقدم (M. Rifaterre) لدى دراسة الأعمال الأدبية أسلوبياً أحكاماً لافتة عن الربط بين التزامنية والتعاقبية عاداً هذا الربط نوعاً من التزامن بين الاستمرار (Dauer) والتبدل (Wechsel)[١].

إن التخطيط النظري للبحث في أساليب العصر ولا سيما على المستوى اللغوي يحتاج إلى مراجعة دقيقة (Revision)، فلا يكتفى بقاعدة ضيقة من

(١) ينظر: (الأسلوبية البنيوية) ص ٣٦.

المتنوجات الأدبية التي يكون فيها للدور الفردي أهمية أكبر من دور العصر، إنما ينبغي السعي ما أمكن إلى دراسة الاستعمال اللغوي الإجمالي في عصر ما في مقطع تزامني، وتحقيق هذا يحتاج إلى مادة مجهَّزة وبخاصة نصوص الاستعمال التي تقترب من اللغة المنطوقة التي كان يتحدث بها، فإن تحقق النجاح في إبعاد الخصائص اللهجية الفردية والجماعية، وإثبات أثر أساليب الوظيفة وأساليب الأجناس الأدبية، عنها يمكن للباحث أن يكتشف، ومن نظرة مقارنة إلى مادة غير متجانسة - معطيات أسلوبية تناسب العصر؛ لأن كل أسلوب زمني/ مرحلي مفرد هو في حقيقته مقطع تاريخي ثابت في تاريخ الأسلوب، وإذا ما انتهجت الطريقة نفسها في المراحل الأسلوبية المختلفة والمتعاقبة، ووصفت المقاطع التزامنية الناتجة بهذه الطريقة في ترتيب تاريخي، فإن هذا العمل سيوصل في النهاية - كترتيب فوق مقطعي - إلى التاريخ الأسلوبي للغة (Stilgeschichte)[١] .

رابعاً - التطور الأسلوبي بوصفه عاملاً حركياً

من الخطأ اعتبار الدراسة الأسلوبية التزامنية ثابتة؛ لأن كل مرحلة لغوية تشهد تعايش عناصر، ونشأة عناصر وتقلص أخرى؛ هذا يعني أنه يجب تمييز الصيغ الأكثر محافظة والصيغ الأكثر تجدداً كل مرة[٢] ، وهذا ما يكسب

---

(١) هذه المطالبة المنهجية جاءت قياساً على مطالبة رومان جاكبسون بضرورة وجود شعرية تاريخية أساسية شاملة ومطالبته بوجود تاريخ لغوي.

(٢) ويرجع هذا إلى نظرة عامة عرفتها البنيوية في مدرسة براغ، ينظر رومان جاكبسون في (رموز اللغة ونظامها Zeichen und System der Sprache) الجزء الثاني برلين ١٩٦٤م، ص ٥٣، وينظر هنا أيضاً: رومان جاكبسون في (اللسانيات والشعرية) ص ١٤٥ (في الكلمة الختامية ص ٣٥٢).

المنظور الحركي أهمية كبيرة؛ لأن التبدل الأسلوبي بعامة، والتبدل اللغوي التاريخي بخاصة متزامنان في الأصل، بناء على التبدلات الجارية في المعايير الاجتماعية والتاريخية.

هذا وإن ما يؤخذ به اليوم، ويعمل به بوصفه ملزماً أسلوبياً، ربما كان فيه تجديد نسبي أو جزئي قبل سنوات، أو كان فيه ما قد خالف القواعد التي عرفت في أثناء حدوث التجديد، وعلى هذا فإن شواذات فيكتور هيغو أو بودلير في الفرنسية المعاصرة تعد «أمثلة على الأسلوب الصحيح والجميل الساحر»[١] ، كما أن الشعراء الألمان الكبار المعروفين باهتمامهم بالأسلوب والمعيار اللغوي أمثال غوتيه وكلايست وشتيفتر... قد خالفوا المعيار اللغوي في زمانهم في كثير من التفاصيل اللغوية، وذلك لإيمانهم «بعدم وجود قوانين أسلوبية ثابتة لم يخالفها هذا الكتاب أو ذاك مخالفة ذكية»[٢] .

وبناء على هذا يمكن تمييز شكلين من الأسس الكثيرة للكتابة الأسلوبية:

أ - كتابة أسلوبية في صياغة منظمة مطابقة للمعيار.

ب - كتابة أسلوبية مخالفة للمعيار (عن وعي ومعرفة).

فينتج الأساس الأول الأسلوب اللغوي العادي، في الوقت الذي يترادف فيه الثاني مع فكرة الخروج (Abweichung) على المعيار، فينتج الأسلوب الشعري الذي سمّاه J. Levy بمصطلح (الأسلوب المضاد Anti - stil)[٣] .

---

(١) ينظر ت تودوروف في «المتضادات الدلالية: في Ihwe م١ ص ٣٨٢.

(٢) ينظر L. Wiesmann في: (القانون والحرية في لغتنا Gesetz und Freiheit in unserer Sprache) ص ٥٦ وينظر: H. Rupp أيضاً ص ١٦.

(٣) ينظر J. Levy في (نظرية البيت الشعري وجوانبها الرياضية Die Theorie des Verses - ihre mathematischen Aspekte) وذلك في (الرياضيات والشعر Mathematik und Dichtung) التي نشرها Kreuzer - Gunzenhauser ص ٢٣١.

وبوسع المرء أن يرى في هذا عاملاً تطورياً له أهمية كبيرة جداً بالنسبة إلى الأدب والفن وحسب، بل وبالنظر إلى التطور اللغوي والأسلوبي بشكل عام؛ لأن المتلقي اللغوي كثيراً ما يتعلق بالمخالفات الواعية ضد المعايير السائدة، ويدخلها ضمن مفهوم (الحريات الشعرية).

فالأسلوب إذن في تطور دائم، ويميز فيه لويس هيلمسليف أسلوباً عادياً، وآخر إبداعياً، وثالثاً مغرقاً في التراث[1]، ولدى السعي إلى تفسير هذا الثلاثي - على الرغم من تداخله في الواقع اللغوي - تفسيراً منظماً بوصفه تسلسلاً لغوياً تاريخياً تدريجياً (بطيئاً)، يمكن عد الأسلوب العادي مرحلة يتساوى فيها التطوران الأسلوبيان المتعاكسان في حركتهما، فيرى هيلمسليف أن الأسلوب العادي هو بعد مقطعي يتكون من الأسلوبين الإبداعي والتاريخ القديم، وعلى هذا النحو وفي كل العهود ينشأ كل مرة أسلوبان لغويان جنباً إلى جنب وبشكل تعايشي Koexistenz أو تنافسي Konkurenz، هما:

- أسلوب موروث (تقليدي) يرتبط بالتراث ويوصف بالأسلوب المحافظ.

- وأسلوب جديد صاعد Progressiv يوصف بالأسلوب الحديث Modern Stil.

وهذا المنظور التاريخي التطوري هو الذي يقدم التفسير الدقيق للعوامل التي أدت إلى وجود مفاهيم أسلوبية خاصة مثل (أسلوب الجيل Generationsstil) و (أسلوب الشباب Jugendstil) و (أسلوب الشيوخ Altenstil) بالنسبة إلى شعراء محددين.

(١) ينظر: W. Busse (العلامة الأدبية Das literarische Zeichen) في Ihwe م٢/ ج٢، ص ٤٤٩.

وعليه يتم التبدل الأسلوبي بوصفه نوعاً من التطور الأسلوبي في المساحة الواسعة لتعاقب أساليب العصر أو المرحلة، ويكون بالمقابل في عملية دائمة من التجديد في مراحل مفردة، وفي كثير من الحالات لا يعترف بالتجديدات الأسلوبية لشخصيات لغوية مبدعة، تخرج عمداً على القياسات اللغوية الموجودة، إلا أن ما يحدث في الغالب هو تبني الاستعمال اللغوي العام لها «وما يوضع في البداية أسلوباً مبتكراً من أفراد - غير ملزم - يصير فيما بعد معياراً ملزماً، ويصير نحواً وذلك حين تأخذه الجماعة وتتبناه»(١).

وفي إطار التداخل بين الأسلوب والنحو يتبادر إلى الذهن سؤال مهم يحتاج إلى إجابة دقيقة هو: (ما درجة العلاقة بين العلمين)؟ وذلك لما بينهما عموماً من علاقة متبادلة ولأن التطور اللغوي يلاحظ فيه أن الأنواع الأسلوبية الشخصية في الأصل ترقى إلى معايير عامة للاستعمال، وإلى قواعد نحوية، وهذه حقيقة أشار إليها الباحث الأسلوبي الروماني Leo Spitzer في ملاحظته التي ذكرها مراراً حين قال: «ليس النحو أكثر من الأسلوبية المجمَّدة»(٢).

❋ ❋ ❋

(١) ينظر هنا: H. Steger (المعيار اللغوي والنحو والعالم التقني S prachnorm, Grammatik und technische Welt) في: (هل الألمانية لغة مجمدة في بلد مجمد Deutsch- gefrorene Srache in einem gefrorenem Land؟) الذي نشره F. Handt في برلين ١٩٦٤م ص ٧٣.

(٢) ينظر: L. Spitzer في (الدراسات الأسلوبية Stilstudien) الجزء الثاني ميونيخ ط٣/ ١٩٦٤م، ص ٥١٧.

الفصل الخامس

الأسلوب والنحو

العلاقات الوثيقة التي بين الأسلوب والنحو موضوع بارز في الدرس اللساني منذ زمن طويل، وبخاصة حين يصل فيها الأمر إلى درجة يعتقد فيها أن الأسلوب لا يمكن أن يعرّف بوضوح ما لم يرجع الباحث إلى النحو[1] ، ولهذا يقال عموماً في هذا السياق إن إمكانية التحديد الدقيق في النحو لكل من الصيغة والوظيفة تعني في النهاية إمكانية تقديم أحكام ملائمة عن الأسلوب تمهد السبيل إلى الكشف عن ماهية التراكيب والمقولات اللغوية في النص.

فكتب النحو القديمة، وكثير من كتب اللغة الأخرى تقدم صراحة أو ضمناً تشخيصات نموذجية/ قواعدية (praespektive) عن المعيار اللغوي، وحتى في

(١) ينظر: S. Saporta (أهمية اللسانيات في دراسة اللغة الشعرية Die Bedeutung der Linguistik beim Studium dichterischer Sprache) في (اللسانيات وعلم الأدب) للناشر Ihwe م٢/ ج٢ ص ٣٤١ وما جاء في هذا المصدر يوازي ما جاء في (تطبيق اللسانيات في دراسة اللغة الشعرية The Application of Linguistics to the Study of poetic Language) الذي نشر في (الأسلوب في اللغة) ص ٩٣.

المواضع التي يكون فيها الوصف هو الهدف، يكون الاعتماد في الغالب على الثنائية التقويمية (صح/ خطأ)؛ لأنها موضوعية، إلا أن هذا الإجراء في القواعد القديمة يشكك فيه اليوم وبخاصة حين يجعل المعيار اللغوي نفسه موضع تساؤل.

أولاً - النحو والمعيار اللغوي

استطاع لغويو مدرسة براغ التمييز في شرح موفق وواضح بين معيار اللغة وتنظيمها[١]، فأدخلوا تحت التنظيم القواعد التي يمكن - وبناء على اختلاف الموقف اللغوي للباحث والأساس المادي المعتمد في البحث والمنهج - أن تعد وفي أحسن الأحوال تشخيصاً لما يراه مؤلفها معياراً لغوياً.

والنحو بوصفه تنظيماً للقوانين أو تحقيقاً لها ضمن شروط محددة يحمل دائماً طابعاً شخصياً ما دام «هو الصورة المجردة والمنظمة المستخلصة من النموذج اللغوي للبنية الوظيفية التي تربط الإشارات اللغوية الحاملة للدلالة، وتصف العلاقات اللغوية الوظيفية وصفاً كاملاً وصحيحاً إلى حد ما وذلك في صيغة قواعد الاستعمال»[٢]، ففي الألمانية مثلاً كان هناك تصور ثابت عن المعيار اللغوي ارتبط ارتباطاً مبدئياً بلوائح نحويي القرنين السابع عشر والثامن عشر وقوانينهم، فقد ارتبط الموضوع هنا بوضوح تام بمعيار مثالي محكَّم (Idealnorm) كنتيجة عملية للاعتماد على كل مما يلي:

---

(١) ينظر مثلاً: B. M. Dokulil: Zur Frage der Norm der في (مسألة معيار لغة الكتابة وبنائها Schriftsprache und ihrer Kodifizierung) في (الأسلوبية واللسانيات الاجتماعية) ص ٩٤ - ١٠١.

(٢) ينظر: H. Steger: (المعيار اللغوي والنحو وعالم التقانة Sprachnorm, Grammatik und technische Welt) ص ٦٤.

- الرصد التاريخي للغتنا.

- والمثالية التقليدية من حيث اتخاذ الشعراء والمفكرين الكبار قدوة ومثالاً.

- الآثار الثقافية واللغوية اللاتينية.

- احتمالات التعبير المتنوعة (أوجه التعبير).

وعليه يغدو من المسلم به:

- اعتماد المعيار اللغوي على نظام القواعد اللغوية بالذات اعتماداً ذاتياً.

- وارتباطه بالأعراف والاتفاقات الاجتماعية يجعله في تغير دائم ما دامت الجماعة اللغوية التي تضمه خاضعة لهذا التغير[١] ..

وبهذا يسقط الموقف الذي كان يجد في المعيار اللغوي مجالاً ثابتاً غير قابل للتبديل، لتغير القواعد بوصفها إسقاطات عصرية، وإسقاطات كتّاب اتخذوا المعيار أساساً، بالقدر الذي يتغير فيه المعيار اللغوي نفسه، وهذا ما يفسر سبب ظهور صيغ متغيرة جداً في قواعد اللغة الألمانية في القرون الأخيرة.

والنتيجة الأولى التي تنبني على هذه الحقيقة تكمن في السؤال عن المعايير اللغوية المأخوذ بها في كل مرحلة لغوية قديمة ومعاصرة، وأما النتيجة الثانية فتعني السؤال عن كيفية صيرورة المعيار المتغير زمانياً ذا أبعاد كثيرة في ذاته

(١) وفي هذا السياق ينصح بالعودة إلى: P. Schroder في (المعيار اللغوي والحواجز اللغوية والسياسية اللغوية Sprachnorm, Sprachbarrieren, Sprachpolitik) في (محاضرة بالإذاعة عن اللغة) الجزء الثاني ص ٢٦٣.

ولهذا يرى (برودبرسن) من الناحية العملية ألا يكون الحديث عن المعيار بل المعايير[1]، أي عن:

- مستويات معيارية مختلفة ذات طبيعة اجتماعية ونحوية وأسلوبية.
- معايير الاستعمال.
- معايير متوقعة.

فبعد الدراسة الأولية للتقسيم التاريخي واللهجي لأي لغة في الماضي لابد لتصنيفها الطبقي Diastratische في فئات اجتماعية من قدر كبير من الاهتمام في المستقبل؛ لأن كل لغة تستند إلى فئة بشرية تصوغ مواصفاتها اللغوية الخاصة بها والمختلفة اختلافاً نسبياً فيمد بينها فيطلق عليها اسم (معايير لغوية خاصة بالفئة)؛ هذا يعني أنه لم يعد بالإمكان الانطلاق عموماً من معيار لغوي قواعدي موحد وملزم، بل إنه يجب افتراض معايير استعمال أكثر تنوع وتشعب وتتغير مع اللغة، وبهذا لم يعد المعيار هنا يسوّى بـ (التعبير) بمعنى الحكم على طرق التعبير اللغوية من حيث كونها صحيحة أو خاطئة؛ لأنه صار يعني بشرح الاستعمال اللغوي الحي ووصفه كما في قول م. دوكوليل: «هذه الصيغ تظل سائدة على الرغم من وجود صيغ أخرى منظمة تزاحمها بالتدريج،

---

(١) ينظر: C. Brodersen في (الأسلوب والمعيار Stil und Norm) وبخاصة الصفحة ٢٥٩/ كما ينظر الحديث الذي جرى حول مفهوم المعيار لدى B. Sandig في كتابها (مسائل الأسلوبية اللسانية Probleme einer linguistischen Stilistik) في مجلة (اللسانيات وأصول التعليم) ١/ ١٩٧٠م، ص ١٨٦ إبان كلامها عن كل من (Coseriu و Heger و Baumgärtner)/ كما ينظر ما جاء لدى P. von Polenz في (المعيار والتعبير اللغويين ونقد المعيار اللغوي Sprachnorm, Sprachnormung. Sprachnormenkritik) في (تقارير لسانية) ١٧/ ١٩٧٢م، ص ٧٦ - ٨٤.

وتستعمل على نحو عفوي، فنقول هذه صيغة مولَّدة، وتلك غير مولَّدة، وهذا التركيب قديم، وذاك حديث»[١] .

ومن غير أي كلام عن التخلي عن المعايير اللغوية والتعبير، ويصنِّف المنهج الآخذ بالمعيار اللغوي في دائرة التعصب الفني للقواعد اللغوية المرتبطة بالتراث غير الملبية لحاجات التواصل في العصر التكنولوجي الحديث؛ ولهذا يمكن القول بأن المعيار اللغوي القديم كان نموذجاً مثالياً ما كان للواقع في الماضي ليتطابق معه بالضرورة أيضاً - كما هو الأمر في الشواذات التي تعرفها القواعد - وأما معايير الاستعمال الراهنة فتسعى مقابل ما في اللغة من مظاهر التطور إلى إنصاف ما يظهر فيها من ظواهر جديدة.

وعليه يميز اليوم بين صيغ لغوية صحيحة وأخرى غير صحيحة على الرغم مما بين هذين القطبين/ الصحيح وعكسه/ من حقل واسع من حالات الشك ليس من السهل - الفصل فيها - وإذا ما فصل فيها فسيبدو الفصل مختلفاً لتعدد التفرعات.

ثانياً - درجات النحوية /Degrees of Grammaticalness Grammatikalitaet

يرى تشومسكي أن القواعد التوليدية في أي لغة هي في الحقيقة وصف لنظام قواعدها المستمد من اللغة المسموعة (Internasaliert)، إنها وصف لما لدى المتكلم/ السامع المثالي من كفاءة لغوية يستند إليها في توليد جمل هذه اللغة كلها، وبخاصة الصحيحة منها، والقواعد النحوية بوصفها أساساً معتمداً تفيد

(١) ينظر M. Dokulil في (الأسلوبية واللسانيات الاجتماعية) ص ١٠٠.

في تطبيق هذا المفهوم التخميني (للصياغة الصحيحة) للجمل[١] من حيث الحكم على صحة الجمل المولدة نحوياً؛ ولهذا يأخذ تشومسكي منذ البداية الثنائية التمييزية (نحوي وغير نحوي) في الحسبان.

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن اللسانيات قد عرفت في السنين الأخيرة موقفاً جديداً، اعترفت بموجبه بوجود شواذات نحوية بأشكال مختلفة وبأنواع متباينة (مستويات النحوية ودرجاتها) وهذا ما جعل تشومسكي يعرض تعليلاً مفصلاً عن موقفه بخصوص (درجات النحوية) راسماً منذ البداية (ترتيباً هرمياً Hierarchie) للشواذات النحوية يراعي فيه تنظيم درجة الشذوذ حسب نوعية خرق القاعدة[٢] .

---

(١) لمعرفة ما جاء عند بعض الباحثين حول مفهوم (القواعدية/ النحوية grammaticality) ينظر A. A. Hill: (القواعد/ النحوية) في مجلة (الكلمة Word) ١٧/ ١٩٦١م، ص ١ - ١٠ L كما ينظر تشومسكي نفسه الذي استعمل هذا المفهوم في كتابه (التركيب النحوي Syntactic Structure) ٢/ ١٩٦١م)، واللغة الألمانية تعرف مصطلحين يقابلان هذا المصطلح هما (النحوية والصحة النحوية) وللاستزادة في هذا الباب ينظر: الحديث عن هذا المفهوم لدى E. Agricola في كتابه: (تعدد المفاهيم المقصودة بالنحوية لدى تحليل المفهومين في الإنجليزية والألمانية Syntaktische Mehrdeutigkeit bei der Analyse des Deutschen und Englischen) برلين ١٩٦٨م، ص ٦٠.

(٢) ينظر: نوام تشومسكي (درجات النحوية Degrees of grammaticalness) في (بنية اللغة The Structure of Language) للناشرين: J.J. Katz - J. A. Fodor في Englewood Cliffs 1964م، ص ٣٨٤ - ٣٨٩، كما ينظر (اتجاهات النظرية النحوية Aspekte der Syntax - Theorie) وبخاصة الصفحة ١٨٨، فضلاً عن مواقف أخرى مختلفة جاءت عند كثيرين في هذا الباب، ومنها مثلاً:

- ما ورد عند D. Bolinger في (أحكام النحوية Judgements of grammaticality) في Lingua العدد ٢١/ ١٩٦٨م، ص ٣٤ - ٤٠ =

ويأخذ الترتيب الهرمي لدى (W. Abraham) شكلاً تصنيفياً سهلاً وبسيطاً كما يلي[١] :

- نحوي ويعني عدم الشذوذ من الناحية التركيبية والدلالية كالجملة «قلما تزحف الأفكار الخضراء الجديدة».

- نصف نحوي ويعني بالمقابل تغيير صياغة الجملة السابقة «نادراً ما تنام الأفكار الخضراء» وخضراء هنا بمعنى غير ناضجة، وتنام بمعنى كامنة، تظل غير مستعملة، ولهذا تعد ألفاظاً مجازية بغية تحقيق معنى مقبول نسبياً.

- غير نحوي agrammatikal ويقصد بهذا الجمل التي لا يؤخذ بها لما يحصل في بنائها من ترتيب يخرج على النحو، ولا يعطي دلالة مقبولة كما هو الأمر في تغيير مواضع ألفاظ الجملة على نحو غير معهود مثل:

- صباحاً، البيت، أحمد، في، اليوم، بقي.

- نادراً أفكار تنام خضر.

وقد يفترض تعلق الأمر هنا بأمثلة بُنيت خصيصاً لإثبات هذه الدرجات

= - وما ورد عند: Anita Steube (درجة النحوية Gradation der Grammatikalitat) في (قضايا القواعد البنيوية وعلم الدلالة Probleme der strukturellen Grammatik und Semantik) الذي نشره Ruzicka في لايبزيغ ١٩٦٨م، ص ٨٧ - ١١٣.

- كما ينظر: W. Abraham - K. Braumuller: (الأسلوب والمجاز والنفعية Stil, Metapher Pragmatik) في Lingua العدد ٣٨/ ١٩٧١م، ص ١٣.

(١) ينظر: (الأسلوب والنفعية والنحو الشاذ Stil, Pragmatik und Abweichungs grammatik) ص ٤، ومن هنا أخذت الأمثلة التي جاءت في هذا السياق، كما ينظر: W. Abraham - K. Braunmuller في Lingua العدد ٢٨/ ١٩٧١م، ص ١٨ - ٣٧.

من النحوية، وهذا افتراض صحيح يسوّغه تعلق الموضوع هنا بمسألة النحو التوليدي والتحويلي، وتعلقه بالسؤال عن درجة إمكان توليد جمل شاذة في نظام النحو الحالي.

ومن المفيد في هذا السياق أن يشار إلى أن الجانب النظري هنا ليس بذي أهمية كبيرة؛ لأن المهم هو الناحية النفعية التي تميز نوع المقولات غير النحوية المحتمل ظهورها في لغتنا بشكل عملي، وثمة مجموعة من الأمثلة الشعرية التي عرضت في أثناء شرح مفهوم (الخروج على المعيار)؛ لأنها تعكس مستوى أقل من النحوية في جملها، فضلاً عن إمكانية اتخاذ سمة/ خاصية تصف نحوية علامة للغة الشعرية.

وقياساً على هذا إليك أمثلة من اللغة العادية أو اللغة العامية في اللغة الألمانية:

أ - أفكار خضراء تنام نادراً (Gruene Ideen schlafen selten).

ب - بيت لي كبير (Haus meines gross).

جـ - دعنا نذهب إلى العذوبة / النضارة (Lasst uns frischwaerts gehn).

د - الكلب حدّق بهم (Der Hund puppillte ihnen an).

هـ - البستاني ماء الورود (Der Gaertner wasser die Blumen).

و - تيت تيت تيت.

فالمثال الأول يصنّف ضمن التراكيب غير النحوية، وعدم نحويته راجع إلى إسناد صفة خضراء إلى كلمة (الأفكار) وهذا ما يصعب شرحه بلغة عادية على الرغم من بنائه التركيبي الصحيح ويجعل المجاز Metaphorik حبيس الحقل الشعري الخاص.

- وأما الجملة الثانية التي تبدو شاذة فبوسع المرء حين يرصدها بموضوعية أن يدخلها في دائرة (ألمانية الأجانب) ويعدها ممكنة لغوياً من هذا المنظور.

- وأما الصياغة الشاذة Frischwaerts في المثال فمألوفة لغوياً ولا سيما في الدعاية، وتعد بدلالتها المثيرة للوجدان قياسية إذا ما قيست بألفاظ من مثل: (إلى المنزل heimwaerts) و (إلى الأمام aufwaerts) و (إلى داخل البلاد iandeinwaerts)، تكشف هذه الصياغة التوازي في الصيغ الصرفية الخاصة بين لغة الشعراء ولغة الدعاية بتراكيب شعرية في الغالب لخدمة أهدافها.

- وأما الصياغة (د) فهي ممكنة الصياغة في النكت على الأقل، والفعل غير المألوف يفهم من القياس على صياغات في العامية كما الآتي: (Auge عين - aeugen نظر) و (Linsen عدسة - linsen أمعن النظر) و (Pupile حدقة - anpupillen حدّق).

- المثال (هـ) فيه تجميع لأسماء متتابعة يفهم منها معنى ما، إلا أن صياغته تنسب إلى (ألمانية الأجانب).

- أما في المثال الأخير فالأصوات لا تفيد أي دلالة إذا ما قيست بالنظام اللغوي، إلا أن فكرتها أو ما تشير إليه قد يؤخذ مما قد اتفق عليه في المجتمع، وهذا النوع من التركيب هو في حقيقته شكل من أشكال المحاكمة الصوتية (Onomatopoeie) وأسلوب متبع في الشعر (إلا أنه نادر الاستعمال في اللغة العادية).

من كل ما تقدم يتبين أن الوسائل اللغوية نصف النحوية تنحصر في اللغة الشعرية، وفي صيغ خاصة في اللغة العادية (لغة الدعاية، لغة الأجانب المتحدثين بغير لغتهم)، وتشرح من منظورين اثنين أولهما الشاعر أو واضع النص الإعلاني بوصفه العنصر الفاعل في الاتصال، وثانيهما المتلقون من قراء

ومستمعين، والشرح اللغوي للتراكيب اللغوية نصف النحوية وغير النحوية (الشواذات) في الشعر أثناء تحليلها جاء مشروطاً بـ:

- «إمكانية تأويل التراكيب غير النحوية لدى كونها مشتملة على تركيب مقبول بغية ربطها بعناصر متميزة من مجموعة الجمل النحوية» (وذلك مقابلة بمطابقات صحيحة نحوياً في اللغة العادية).

- وجوب إلحاق التراكيب غير النحوية بالفصائل النحوية التي تعكس طبيعة علاقتها بالجمل النحوية المولّدة»[1] (إثبات نوع الشذوذ ودرجته)؛ هذا ومن الجدير بالذكر أن الإنسان العادي غير المثقف لغوياً هو الذي يقوم بذلك، فيقابل العبارات والجمل التي يشك في صحتها مع الصحيح المعروف ليكشف عن حقيقتها، وأما الشواذات التي ترد في اللغة الفنية أو العادية فهي بمنزلة واحدة عنده؛ لأنها بنظره شواذات (غير نظامية) في النهاية، وسبيله إلى فهمها قياسياً يوازن بالفعل اللغوي، وهذا ما يتضح في المثال الآتي:

أجنبي غير متمكن من اللغة الألمانية قد يسأل عن سعر لوحة مستعيناً بمعجم فيقول: (الصورة ماذا نقود؟ Bild was Geld?) وصياغته هذه غير نحوية، إذا ما قيست بقواعد اللغة الألمانية وليس لها أي معنى؛ لأنها لم تراع البناء الدلالي، وشروط بناء الجملة التي يجب الأخذ بها في اللغة المعنية، وعلى الرغم من هذه المآخذ يفهم المقصود من السؤال بكل سهولة من خلال إجراء تعديلات آلية في السياق الذي جاء فيه وذلك على النحو الآتي:

- Bild was Geld? ---> Was (Geld) Kostet (das) Bild?

---

(١) ينظر: R. Fowler (تأويل التراكيب الفارغة Zur Interpretation von Nonsentense Ketten) التي تأتي حشواً وذلك في Ihwe م٢/ ج٢، ص ٣٥٨.

وحين يتحول مستعمل اللغة إلى دور المتلقي يتصرف وفق البيان المذكور:

- في التعابير اللغوية اليومية التي يسمعها.
- وفي التعابير الناقصة غير المكملة (defektive).
- وفي الكلام المختزل (Redeverkuerzung).
- وفي التراكيب غير الصحيحة نحوياً (الأخطاء النحوية).

وأما في الشواذات الشعرية فإنه يقوم بـ:

أ - تكملتها.

ب - وتصحيحها.

جـ - وتأويلها على نحو مناسب.

حسب المعيار اللغوي المنظم المتوقع ظهوره عنده استناداً إلى حسه اللغوي الخاص ودرجة معرفته بمعايير لغوية محددة.

ولدى عكس الموضوع ومحاولة سؤال المتحدث الأجنبي في غير لغته الأم عن أهدافه، يلاحظ أن لغته فيها أخطاء، وتتميز بتراكيب غير قياسية ناجمة عن عدم إتقانه التام لهذه اللغة، كما أن الشواذات الشعرية التي ترد لدى الشاعر (وفي الدعايات الهادفة إلى الإثارة) يستعملها الشاعر وهو عارف بأنها مخالفة للمعايير اللغوية المعمول بها، وإذا ما قيست بالفروق اللغوية التي تظهر في شواذات اللغة الفنية بالمقياس النحوي المأخوذ به في اللغة العادية، وسُعِيَ إلى تصنيفها حسب درجة مخالفتها؛ من حيث كونها نحوية أو نصف نحوية أو

غير نحوية، فسيكون الحكم عليها جميعها انطلاقاً من الهدف الذي وضعت من أجله بأنها غير نحوية في الأصل[١] .

وبهذا تتأكد ضرورة البحث عن السبب الأساسي للفصل المنهجي بين اللغة العادية واللغة الفنية من منظور الدراسة الأسلوبية؛ لأن ما يشار إليه من حرية شعرية في اللغة الفنية، وافتراض وظيفة أسلوبية خاصة بها، يظل غير قياسي في اللغة العادية، هذا مع العلم أن صفة غير قياسي تلتقي فيها الشواذات وأدوات أسلوبية أخرى لها طابع شعري واسع مثل المجازات في اللغة اليومية، والجناسات الاستهلالية في رسالة شخصية (Illiterationen)، والألفاظ المقفاة التي تظهر في النثر العلمي وتترك أثراً سلبياً.

ويبقى أن نثبت بشكل أساسي أن الأسلوب بوجه عام غير مطلوب منه الانتقاء بين إمكانات اللغة النحوية وغير النحوية، وهذا ما يصح أيضاً حين لا يراد وضع «نحو بالمعنى المعروف بل وضع نحو أسلوبي»[٢] يكون موضوعاً للملاحظة العرضية؛ لكون المواد اللغوية (أو المادة النحوية في إطار النظام اللغوي) - ومنها كل المواد الأسلوبية - تكتسب قيمتها الحقيقية بوصفها مواد أسلوبية في الأداء اللغوي، استناداً إلى عملية اختيار غير مستوعبة نحوياً، ومن هنا لا تدخل (النحوية) و (النحو) في بناء نظرية أسلوبية بوصفهما أساسين.

---

(١) هذا المصطلح كما أرى جاء لاحقاً لدى رومان جاكبسون ولهذا ينظر (تاريخ اللسانيات الحديثة Geschichte der neueren Sprachwissenschaft) ل: G. Helbig ص ٣١٩.

(٢) ينصح هنا بالعودة إلى ما ورد لدى (M. Riffaterre) في (الأسلوبية البنيوية Strukturelle Stilistik) ص ٩١، كما ينظر (نحو الأسلوب Grammar of Style) ل: (A. B. Darbyshire) لندن ١٩٧١م.

ثالثاً - الاستحسان مبدأ أسلوبي

لم يبق تشومسكي مفهوم الاستحسان ضمن نطاق النحوية فقط، إنما أدخله في دائرة الكفاءة اللغوية أيضاً، وسعى إلى التمييز الدقيق في استعماله في الإطارين المذكورين؛ لأنه وجد أن سبب هذا التفريق الاصطلاحي في الاستعمال، هو وجود جمل مصوغة صياغة حسنة مقبولة نحوياً إلا أنها غير مستحسنة لأسباب، لا شأن لها بالنحو كـ (علاقتها بضيق الذاكرة وبعوامل أسلوبية وتأكيدية وعناصر أيقونية في النصوص)(١) .

والاستحسان بوصفه أحد أبعاد الاستعمال اللغوي قد يحتاج إلى تمييز أسلوبي منذ البداية، فجملة:

أ - «يحصل على جائزة ذلك الذي يكشف الرجل الذي أسقط العمود الذي على الجسر الذي على الطريق الذي يؤدي إلى مدينة Worm الجملة بالألمانية ص ٦٦» ليست في بنيتها العليا أقل صحة من الجملة البسيطة التالية:

ب - «من يكشف الرجل يحصل على جائزة (ذلك الذي يكشف الرجل يحصل على جائزة)(٢) .

---

(١) للاستزادة في هذا الباب بالكامل ينظر تشومسكي (اتجاهات نظرية علم بناء الجملة) ص ٢٢، كما ينظر R. Quirk - J. Svartvik في (البحث في الاستحسان اللساني Investigating Linguistic Acceptability) The Hague 1966م، وينظر: L. Lipka في (النحوية والاستحسان والإنتاج في اللغة Grammatikalität, Akzeptabilität und Produktivität in der Sprache) المنشور في (مباحث في النحو التوليدي Beiträge zur generativen Grammatik) لـ A. von Stechow/ براونشفايغ ١٩٧١م، ص ١٤٢ - ١٥١.

(٢) وذلك بناء على ما جاء لدى K. Baumgärtner الذي يعد هذه الظاهرة شكلاً ثانياً من أشكال الشواذ في النحو في (الشرح الشكلي للنصوص الشعرية Formale Erklärung politischer Texte) في Ihwe م٢/ ج٢ ص ٥٤٦.

فالجملة الأولى بصيغتها المكتوبة المعقدة هذه لا تصعّد قدرات التصور لدى المتحدث، أو تصعّد تعقيد إمكانيات التلقي لدى المستمع فقط، بل إنها تخرج على الأسلوب الجيد أيضاً.

ولهذا وقياساً على النحوية حسب مفهوم المعيار اللغوي يظهر الاستحسان واحداً من مصطلحات نظرية الأسلوب ليشكل مرتكزاً نسبياً للحكم التقويمي Evaluative على المقولات اللغوية وفق الثنائية التقليدية جيد/ سيئ.

فالمقولات اللغوية غير المستحسنة (غير المقبولة) بالمعنى الأسلوبي غير مصوغة صياغة صحيحة، «وبوسع المرء ما أمكن الاستغناء عنها في النص الحقيقي واستبدالها ببدائل مستحسنة Vrianten»[١]، وأما الأسلوب الجيد فيتميز باستعمال صيغ مستحسنة على نطاق واسع، هذا مع الإشارة إلى أن الاستحسان هنا مشتمل على النحوية باستثناء تراكيب ومقولات شعرية ونفعية، وهذا التفريق بين ما هو جيد أسلوبياً وغير جيد دفع كلاً من (W. Abraham) و (K. Braun Mueller) إلى شرح مفهوم الاستحسان أسلوبياً في أثناء تصورهما للكفاءة الأسلوبية قائلين: «الاستحسان عامل مهم وفاصل في توضيح تلك الكفاءة اللغوية الحركية المسؤولة عن استراتيجيات التصنيف الأسلوبي»[٢].

من كل ما تقدم يتبين عدم إمكانية عد الأسلوب فصلاً من فصائل النحو[٣] وصنفاً ينضوي تحت لوائه؛ لأن النظام اللغوي في حقيقته مبني بطريقة يسمح

---

(١) ينظر تشومسكي ص ٢٣

(٢) ينظر: Lingua 28/1971م، ١

(٣) ينظر (اللسانيات النصية أو (نحو النص» التي ترفض من جانبها وجود أسلوبية مستقلة، ص ٨١

فيها بإمكانيات اختيارية لاستعمال اللغة (الأسلوب) إلى جانب القواعد الإجبارية للمعيار اللغوي (النحو)؛ والإمكانيات الاختيارية في واقع الأمر تعني الانتقاء من بناء متكوّن من بدائل متنوعة نسبياً في نموذج التعبير اللغوي، والاستحسان هو الأساس المعتمد في الحكم على مثل هذا الانتقاء؛ أي إن منطلق العملية المشكلة للأسلوب هو الاختيار بين الإمكانات اللغوية المستحسنة، أو غير المستحسنة، أو المستحسنة نسبياً.

❋ ❋ ❋

الفصل السادس

الأسلوب اختيار بين الإمكانات اللغوية

إذا كان العمل الأسلوبي الحقيقي هو الانتقاء من عدة إمكانات لغوية متطابقة، فبالإمكان أن يشار هنا إلى ما ذكره (W. Winter) من تعريف عام للأسلوب حين وجد «أن كل نوع من أنواع الأسلوب يتميز بنموذج خاص من الانتقاءات المتواترة التي تنضوي تحت الأجزاء غير الإجبارية في اللغة»[1] ،

---

(١) إن الإعادة الصحية والفاعلة لهذه الصياغة ذات الأصل الإنجليزي نجدها لدى: W. Winter في (الأسلوب مسألة لسانية Stil als linguistisches Problem) الذي نشره في (الجملة والكلمة في الألمانية المعاصرة Satz und Wort im heutigen Deutsch) ص ٢٢٣.

والترجمة جاءت على يدي W. Winter في (Styles as Dialectsالأساليب كاللهجات) في:

– (خصائص المباحث المقدمة للمؤتمر الدولي التاسع للسانيات Preprints of Papers for the Ninth international Congress of linguistics) كامبريدج/ مايس ١٩٦٢م، ص ٢١٤ – ٢١٩

– و (أوليات المؤتمر اللساني الدولي التاسع Proceeding of the Ninth international Congress of linguistics) الذي نشره H. G. Lunt في The Hague 1964م، ص ٣٢٤ – ٣٣٠.

– كما ينظر ما جاء في (الإحصائيات والأسلوب Statistics and Style) الذي نشره Dolezel Bailey، ص ٣ – ٩ (والشاهد الأصلي وبخاصة في الصفحة الأولى المشار إليها هو: (A style may said to be characterized by a pattern of recurrent selections from the inventory of optional features of a language).

والمتفق عليه هنا هو أن التصنيف ضمن النموذج المنتقى (Pattern Gruppierung) لا يعني مجرد جمع للعناصر المنتقاة، إنما يعني تنظيمها، فضلاً عن كون الانتقاء (Selekion) والتنسيق (Kombination) هما العمليتين الأساسيتين اللتين تجسّدان العلاقة التجاورية والتبادلية في النظام اللغوي الإشاري حسب النظرية البنيوية[١] .

أولاً - الانتقاء والتنسيق

في المؤلفات اللسانية الحديثة كتباً ومقالات إشارة واضحة إلى كون النظرية الاتصالية هي الأساس المعتمد في وصف (عملية الانتقاء)، فـ (بيولر) و (موريس) و (جاكبسون) وغيرهم لاحظوا أن أي اتصال لغوي فيه تآزر بين عوامل متعددة هي بمثابة شروط أساسية للاختيار الأسلوبي، ومنها:

- متّصِل (Kommunikator) (مُرْسِلٌ: كاتِبٌ/ متكلِّمٌ).
- يرسِل إلى المتلقّي (Rezipienten) (مستقبِلٌ: قارئٌ/ مستمعٌ).

مع كل المعطيات النفسية والاجتماعية لشخصيتهما.

- عبر قناة (Kanal) (وسيلة مادية: رموز كتابية/ أمواج صوتية).
- إشارة بوصفها حاملة معلومة (Informationstraeger) (خبراً /message رسالة: المكتوب/ المنطوق).

---

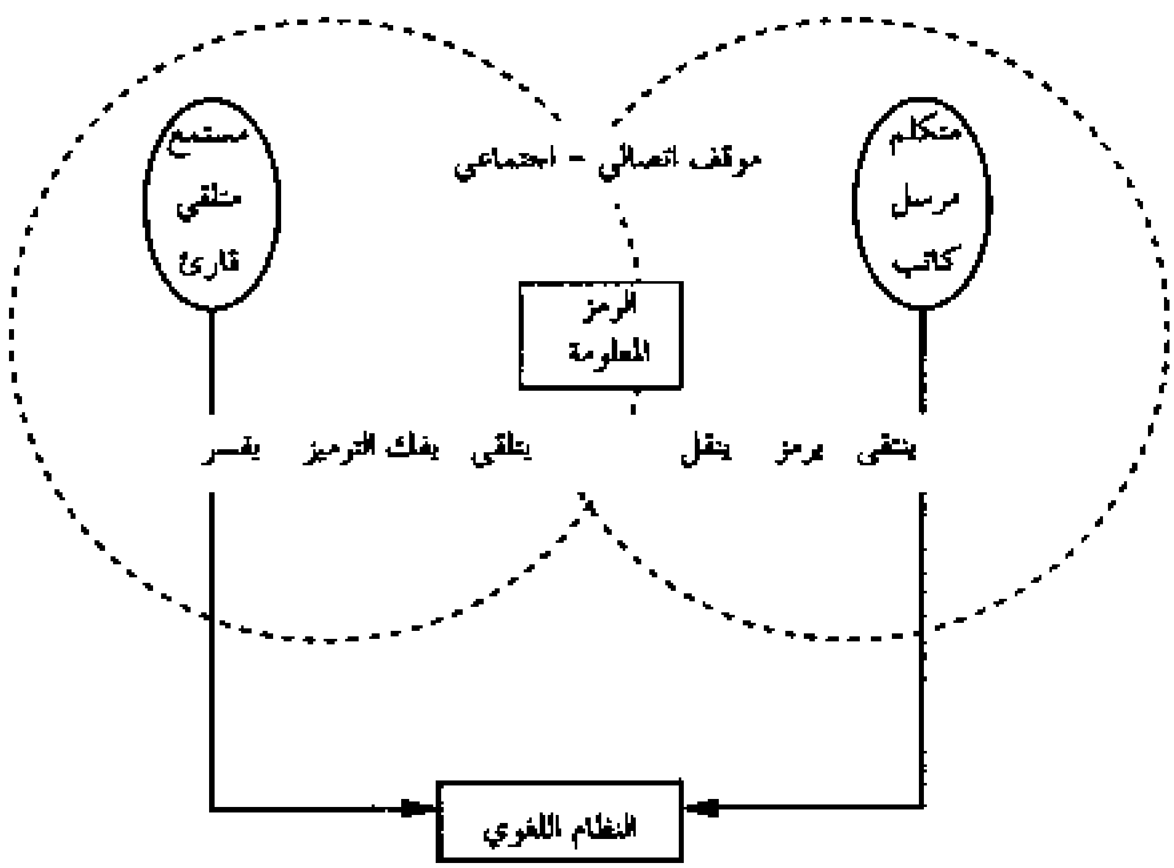
(١) وفي سياق أوسع يمكن العودة إلى رومان جاكبسون في بحثه (السمة المزدوجة للغة Der Doppelcharakter) وذلك في (اللسانيات وعلم الأدب) المجلد الأول للناشر Ihwe ص ٣٢٥.

- وفق نظام رمزي (Kode) (المخزون الإشاري للنظام اللغوي: الإمكانات اللغوية).

- تشير إلى مشار محدَّد (Denotate) (أشياء: موضوع الحديث/ الكتابة).

- تدمج إجمالاً في مقتضى اتصالي واجتماعي (المقال الكلامي بما فيه المقامات الثقافية والاجتماعية المرافقة لذلك بشكل عام)[١].

(آلية الاتصال والترميز والتحليل موضحة في شكل مرفق)



(١) ينظر (البنيوية في شرح الشعر Strukturalismus in der Gedichtinterpretation) R. J Posner الذي نشره في Ihwe م٢/ ج١ ص ٢٢٧، كما ينظر: (مدخل إلى منهج البحث الأسلوبي Einführung in die Methodik der Stiluntersuchung) G. Michel J وغيره ص ٤٠، والرسم البياني الذي جيء به هنا للتوضيح وتقريب الفكرة فقط.

والانتقاء العملي للمكونات الدلالية والنحوية والصوتية يندرج في المرحلة الأولى من عملية الترميز، التي ينفذها المتكلم لإرسال إشارات مسموعة، يعتمد عليها المستمع في فهم ما تحمله من معلومة من خلال تفكيكها وتحليلها، وهذا الانتقاء في حقيقته هو جانب واحد من عمل محدود ومترابط في الاتصال اللغوي، الذي يظل جانبه الآخر في التنسيق؛ ولهذا فإن الانتقاء:

- يمثّل الاختيار من إجمالي الإشارات اللغوية في النظام الرمزي في المرحلة الأولى.

- ويصوِّر الاختيار بين إمكانيتين تدخلان في علاقة استبدالية في المرحلة التالية لما بينهما من علاقة تشابه تتباين درجته بين التطابق والتشابه، أو عدم التشابه، والترادف أو التعاكس..

وأما التنسيق (Kombination) فوظيفته الربط بين عناصر لغوية مفردة بوضعها في تتابعات (Sequenzen)؛ لأن التنسيق بمعناه الحقيقي هو بناء مقالي (Kontextbildung) يضع الوحدات اللغوية البسيطة المفردة في علاقة تجاور (Kontiguitaetsbeziehung) فيجمعها متتابعة (في سياق خطي تتابعي) في وحدة لغوية أعلى (كجمع وحدات صوتية في وحدة صرفية، وجمع وحدات صرفية في مقاطع ..Syntagmen) ولا يقف مفهوم التجاور أو التتابع (Kontiguitaet) عند هذا الحد، بل إنه يتضمن الصلات الدلالية المقالية (Kontextrelationen) كذلك[1].

---

(١) ولفهم هذا المفهوم البنيوي القديم في السياق التوليدي ينظر (البنيوية في شرح الشعر) لـ: R. Posner الذي نشره في Ihwe م٢/ ج١ ص ٢٣٧ الحاشية ٢٦، وكذلك الصفحة ٢٣٥ التي شرح فيها أساسي (الانتقاء) و (المجاورة) مرفقتين بعروض بيانية.

وعليه لا بد لكل إشارة لغوية تدخل في التنسيق اللغوي المتقاطع من أن تأتي بين ترتيبين مختلفين للنظام، هما: المحور النسقي (Kontiguitaet) والمحور الانتقائي (Aequivalenz) كما هو موضح في البيان الآتي:

		حجر		بثبات	
	آ	كلب	ـــــ	بسرعة	
	ال	رجل	يجر	بهدوء	محور التنسيق
	هذا	ب	يجري	د	(مبدأ التجاور)
	واحد		يقع		kontiguitaet

جدول محور الانتقاء

(مبدأ التبادل Aequivalenz)

ومن التدقيق في البيان السابق يتضح أن العلاقة النظمية (Systagmatische) (التنسيق Kombination) تصقل كثيراً من الإمكانات الاستبدالية (Paradigmatische) (أو إمكانات الاختيار Selektion)، وقبل الدخول في التفاصيل الدقيقة للحصر (للتقييد Restriktion) الذي يجري في أثناء اختيار الكلمة – في اللحظة التي نختار فيها الألفاظ لتنسقها في وحدات

أكبر - لابد من مقارنة آليتي الاختيار والتنسيق على مستوى النظام الصوتي الأسهل.

- فالمستوى التبادلي في النظام الصوتي يجسّد مخزون الإشارات في الألف باء (مع عدم أخذ الفروق بين الإشارات الصوتية والصوتية النظمية والكتابية في الحسبان).

- وأما المستوى النظمي الأفقي (Horizontal) فيجسد تنظيم الرموز المفردة في مجموعات أصوات أو في كلمات شريطة أن يكون هذا التنظيم أو التنسيق دالاً.

ولا بد من أن يلاحظ هنا أن الربط غير الدال بين الأحرف قد ينتج عن تنسيق التتابعات اللغوية حسب قواعد النظام اللغوي المعني (كأن نقول في العربية س+ ل+ ش+ ص+ هـ= (سلشصه) تتابع لا معنى له)، أو من عدم ظهورها في الاستعمال اللغوي - على الرغم من إمكانيتها الصرفية - (مثل: تبك وبتك وتكب، ويكت في العربية،كما أشار إليها ابن جني في خصائصه وعدها ألفاظاً مهملة).

ومن الجدير بالذكر أن الفرق بين الوحدات الصوتية الذي يكشف بالتحليل الصوتي عن طريق الأزواج الصغرى هو الذي يقوم بدور التمييز الدلالي بين الألفاظ العادية المؤداة كتابةً أو نطقاً في الاستعمال اللغوي كما في النماذج الآتية:

- في الألمانية: Wart/ Wort وكذلك Wert/ Wirt/ Wurt ومثل: Bart/ Wart

- في العربية: وجد/ سجد، وكذلك موقد/ موعد، ومثل: فار/ فاز/ فاض..

وعليه فللدلالة تميز خاص على المحور التنسيقي، وأما على المستوى الكلي للوحدات اللفظية فالسائد في الأصل هو القواعد نفسها، لأن المعجم المنظم نوعياً (Kategorial) يجب أن يتضمن الحقل /أ/ فيه من الناحية النظرية. كما هو في البيان السابق كل أشكال الضمائر الشخصية (Personal pronomen) (في اللغة المقعّدة Formalisierten يكون الحديث هنا عن الأدوات والضمائر)، وأن يتضمن الحقل /ب/ كل الأسماء اللازمة لبناء أي مركب اسمي، وأن يتضمن الحقل /ج/ كل الأفعال..

وبهذا يستطيع الراوي اللغوي نظرياً أن يختار عناصر مفردة من قائمة (Inventar) بين يديه، إلا أن ما يجري عملياً هو أن كل انتقاء لغوي يجب أن يأخذ في الحسبان:

- جملة من المعايير التركيبية والدلالية (semantisch - syntaktische Restriktionen) (بحيث لا يعد الانتقاء آلية جمع متعاقبة للعناصر المفردة، إنما عملية تزامنية نسقية شاملة كاملة (simultanprozess).

- والفصل في الضمائر التي تشير إلى العاقل أو غير العاقل.

- والفصل في الرموز التي تشير إلى الأشياء العينية (Konkreta) أو المجردة (Abstrakta).

فاختيار عناصر الحقل /ب/ مثلاً يعتمد كل الاعتماد على الأفعال التي ترتبط بها في الحقل /ج/، (فالكائن الفرد غير العاقل - كلب - في مثالنا يجعل الربط مع الفعل يمر / يتخطى غير ممكن، كما أن الحجر بوصفه رمزاً للجماد، لا يمكن أن يربط مع أفعال الحركة جميعها)، ويضاف إلى هذا ارتباط الفعل بدوره بتراكيب ظرفية محددة، كما في الحقل /د/... فالتنسيق في كل الأحوال يعني دائماً حصر الاختيار الحر وتقييده.

ومن المفيد جداً في هذا السياق أن نشير إلى دعوة اللغوي (إنكفيست N. E. Enkvist) إلى عدم إمكانية اعتبار كل انتقاءٍ انتقاءً أسلوبياً، والتميز بناء على هذه الدعوة بين ثلاثة أنواع من الانتقاء هي:

- الانتقاء النحوي.
- الانتقاء غير الأسلوبي.
- الانتقاء الأسلوبي.

ثم أضاف إليها نوعاً رابعاً عدَّه أساساً وعوذجاً أولياً وهو الانتقاء النفعي[1].

ثانياً - الانتقاء الأسلوبي (ممثلاً بانتقاء الألفاظ)

إن القول باستحالة الانتقاء والتنسيق من غير حصر أو تقييد ليس له سوى قيمة نظرية؛ لأن الاتصال لا يهدف إلى إنتاج التتابعات اللفظية، بل يهدف إلى نقل معلومة محددة يرمي إليها المرسل برسالته من قريب أو بعيد، ولهذا يقف (Enkvist) أمام الثوابت الدلالية في المقولة اللغوية أو أمام ما يريد التعبير عنه بمادته اللغوية فيطلق عليه اسم الانتقاء النفعي[2]، ومصطلح (نفعي أو تداولي) هنا مشكوك فيه على ما يبدو؛ لأن ما يقصد به هنا لا يتطابق مع ما يعنيه في النظرية الإشارية (بوصفه البعد الإشاري الثالث)، ولأن له دلالة أخرى خاصة في اللسانيات ليست هي المقصودة هنا.

---

(١) ينظر: N. E. Enkvist في (اللسانيات والأسلوب Linguistik und Sti) ل: Enkvist Gregory - Spencer ص ١٧ و ٣١.

(٢) ينظر المصدر السابق ص ٣٢

ومن ناحية أخرى يتساءل المرء وهل ما زال بالإمكان الكلام على الاختيار حين يكون الأساس الموضوعي لخبر معروفاً من قبل (القاعدة الدلالية المعروفة)، ويكون الراوي اللغوي على دراية منذ البداية بوجود ثوابت أساسية حتى في اللغة نفسها مثل: الأسماء، أسماء الأمكنة، أسماء الأزمنة، والعلاقات السببية...[1] . وبهذا فإن التقويم الأسلوبي لمعلومة ما يصعّبه المضمون الحقيقي لهذه المعلومة.

ويتساءل المرء في هذا السياق: هل الكم المنتقى من المادة اللغوية الداخلة في المعلومة يشكل معضلة في الأسلوب كل مرة؟ أو بعبارة أخرى ما درجة الإشكالية الأسلوبية التي يمكن أن تسببها نوعية الانتقاء المادي، وعلى كل الأحوال يترك الربط الموضوعي بين المقولة اللغوية وما تتضمنه هذه المقولة من محتوى - للمرسل حرية نسبية ترتبط بشخص المتكلم والمستمع والمقام الكلامي والهدف من الكلام... وهذه كلها في حقيقة الأمر قضايا نفعية.

فالصياغة اللغوية أو ترجمة المضامين الحقيقية في ألفاظ يقدم إمكانات أكبر؛ لأن هذه الصياغة تعني بالتأكيد الربط التركيبي النسقي (النظمي) بين العناصر اللغوية المفردة، وتعني التنسيق الذي به، وبه فقط تفعَّلُ قيود الاختيار، هذا مع العلم أن مجموعة من الواسمات البنيوية والنحوية والدلالية التي تُلْحَق بكل وحدة (قواعد الانتقاء والتصنيف الفرعي **Subkategorisierung**) هي التي تنظم إمكانية تنسيق الوحدات المعجمية أو عدم إمكانية تنسيقها، وهذا الإجراء - بتنسيقه أو إلحاقه - الذي طورته اللسانيات الحديثة لا يحتاج إلى شرح أوسع؛ لتعلق الأمر في مثل هذه الحالات وبكل وضوح بالانتقاء

(١) ينظر (الأسلوبية اللسانية) ل: **B. Sowinski**، ص ٢٦.

النحوي لا بالانتقاء الأسلوبي، لمحدودية صلاحية مصطلح الانتقاء هنا إلى درجة يصعب فيها عد الفصل بين الخيارات النحوية المسموح بها حسب القواعد اللغوية، والخيارات غير المسموح بها خياراً حراً، وهذا ما دعا بالتالي إلى إدخال الأساسين الآتيين:

- إلزامي (في النحو) مقابل.
- اختياري (في الأسلوب).

فميز (إينكفيست) بين الانتقاء (الأسلوبي) و (غير الأسلوبي) عند اختيار ما هو صحيح نحوياً من بين الإمكانات المختلفة للغة بقوله: «يبدو أن الاختيار الأسلوبي هو اختيار بين وحدات تكاد تتساوى دلالياً، وأما غير الأسلوبي فقد يكون انتقاء بين دلالات متعددة»[١] .

وعلى الرغم من الصعوبة الكبيرة الملموسة لدى وضع تحديد دقيق ومفصّل لما سبق، ثمة موقف مهم يرى في هذا السياق: أن الاختيار الأسلوبي لا يمكن أن يكون اختياراً كيفياً أو اعتباطياً، إنما اختياراً من دائرة محددة من إمكانات التعبير اللغوية التي تناسب صياغة الفكرة المحددة؛ وهذا ما يجعل الاختيار الأسلوبي يأتي في علاقة ترادفية نسبياً، فتحت مفهوم كلمة حصان القديمة في جملة (صهل الحصان) مثلاً يأتي حقل لفظي كامل من الألفاظ المتقاربة دلالياً والمتوافقة معجمياً (Iexikalische Solidaritaet) مع صهل[٢] : الـ: (حصان/

(١) ينظر: N. E. Enkvist ص ١٩.

(٢) وثمة قضايا أخرى في (النحو الألماني Deutsche Grammatik) J. Erben J.، فرانكفورت ١٩٦٨م، ص ٢٧/ كما ينظر (مفهوم التضامن المعجمي Der Begriff der lexikalischen Solidarität) حسب فهم E. Coseriu في مجلة (الشعرية Poetica) العدد ١ للعام ١٩٦٧م، ص ٢٣٩ - ٣٠٣.

فرس/ حصان هرم/ مهرة العجوز/ حصان أسود/ حصان أبيض/ حصان أصهب/ فرس قزم/ مهر...) يصهل.

فمع إمكانية استبدال كلمة حصان في الجملة الكبرى السابقة بكل واحدة من المترادفات المذكورة، يظل التحديد الدقيق للتسمية العامة بـ (حصان) تابعاً للوضع والمقتضى الكلامي (سياق الكلام) وذلك بتخصيص:

- الجنس (حصان، فرس).

- اللون (أسود، أبيض، أصهب)..

وهذا ما يؤكد حقيقة قديمة تتبلور في كون المترادفات الخالصة نادة في اللغة، ومتميزة من بعضها بخصائص محددة (Mekmale)، لا بل إنها كثيراً ما تتميز بفروق دلالية دقيقة فقط، ولهذا كان من المفروض أن يكون الحديث عن التميز الدلالي أو التعبير عنه بدقة.

ولا يقف الأمر عند الفروق الدلالية بين التراكيب فقط، بل ثمة فروق أسلوبية واضحة بينها أيضاً، فإن بنيت الجمل وفق النماذج المشار إليها (صهلت المهرة العجوز، وصهل الجواد)، قوّمت الجملة مع جواد على نحو إيجابي استناداً إلى الاستعمال اللغوي الراهن، وقومت على نحو سلبي مع المهرة العجوز، وإن كان الأمر غير ذلك لتوجب أن يعزى الاستعمال المميز للمترادفات غير المخصصة (المميزة) إلى فروق في القيمة الأسلوبية:

- فجواد يرجع إلى مستوى أسلوبي رفيع.

- ومهرة عجوز ترجع إلى مستوى أسلوبي وضيع (متدن).

فالتنسيق الثابت للصفات يكشف عن أهمية الارتباط الداخلي لعناصر البناء التركيبي، وهذا ما يدلل على صحته عملياً باستعمال الصفات (ضخم/

عظيم، وهزيل/ حقير)، في مثل: الجواد الضخم/ والمهرة الهزيلة/ الحقيرة، وعبارتا (الجواد الحقير) و (المهرة العجوز العظيمة) عبارتان غير مقبولتين في نظام الألمانية.

وعليه فإن الانتقاء الأسلوبي الذي يتم اعتماداً على كشف يحدد الألفاظ يستتبع أحكاماً أسلوبية متساوية، تستلزم اقتران حالات لفظية معينة بسمات إجبارية تقريباً، كما هو مبين في الحقل اللفظي لكلمة (مات) ذات الاستعمال الواسع[١] :

ال	إنسان		مات	sterben
ال	سيِّد		تغمده الله برحمته	verschieden
ال	...		انتقل إلى رحمة الله	heimgehen
ال	......	يكون	توفي	entschlafen
ال	كلب		نفق	verenden
ال	شجرة		يبست/ذبلت	eingegangen
ال	شاب		مات	abgekratzt
ال	وغد (إنسان)		فطس	verrecken
ال	....		مات	krepieren

(١) ولمعرفة ما جاء هنا بالتفصيل ينظر: J. Erben (الوجيز في قواعد اللغة الألمانية Deutsche Grammatik, Abriss) ١١/ ١٩٧٢م ص ٦٧ (بناء على رأي ليو فايسغيربر) وانطلاقاً من منظور خاص لم يعرض هنا سوى جانب بسيط من الحقل اللفظي الواسع.

فأي استبدال (Kommutation) اعتباطي للألفاظ المتقابلة هنا، هو استبدال غير مناسب لغوياً، وهذا ما يتضح أكثر لدى إضافة صفات مناسبة:

فطس السيد ذو المكانة المرموقة في مجتمعه.

وانتقل الوغد الملعون إلى رحمة الله تعالى.

فالصياغتان فيهما شذوذ أسلوبي ملموس، لأن وحدة الأسلوب تتطلب الاحتفاظ بالمستوى الأسلوبي المختار الذي يناسب الفئة والطبقة الاجتماعية.

واللغة كما يرى (لومان) ظاهرة مركبة (Komplex)، إلا أن تركيبها الدقيق (Komplexitaet) يعني الانتقاء الإلزامي دائماً[1] ، وثمة عوامل موضوعية، ونحوية وأسلوبية تنظم الانتقاء اللغوي في بداية كل عمل اتصالي - بغض النظر عن الظروف الاجتماعية والشخصية للمتصل -، وهذا الانتقاء هو نتيجة عملية لاعتماد معلومات محددة مقصودة، اعتماداً متكرراً على قدر من المقولات أو الصيغ المخصصة لذلك.

هذا وقد يكون للانتقاء تأثير أسلوبي، فيكون الأسلوب بهذا التأثير اختيارياً بين إمكانات لغوية كثيرة، بما أن هدف هذا البحث لن يتجاوز حدود التدقيق الدلالي وتمييزه، فليس بالإمكان إنكار ما لكل تميز أسلوبي من هدف، لأن اختيار الكلمة المناسبة هو الأساس الأسلوبي المهم دائماً.

---

(١) ينظر: N. Luhmann (نظرية المجتمع أو التقانة الاجتماعية Theorie der Gesellschaft oder Sozialtechnologie) التي نشرها كل من: J. Habermas - N. Luhmann فرانكفورت ١٩٧١م، ص ٣٢.

ثالثاً - الإمكانات الأسلوبية لبناء الجملة

فكما تجيز المفردات (جرد المفردات) ضمن حدود معينة الخيار للإشارة إلى مضمون حقيقي (واقعي/ أساسي) بكلمة عامة أو محكمة غير مميزة أو مزخرفة أسلوبياً، كذلك ثمة إمكانات تركيبية كثيرة لصياغة بنية عميقة تعبر عن موضوع جملة كما في:

بست (هس) - هدوء - أغلق الفم.

ولا كلمة - ولا حرف.

من فضلك أغلق فمك.

ضع حداً للثرثرة.

ألا يمكن أن تهدأ أخيراً.

كيف يمكن إسكاتك.

هل يضركم أن تنهوا كلامكم.

يرجى الهدوء.

ما هذا الصخب/ إنه لصخب علي هنا.

قليل من الهدوء لن يضر.

سأكون لك شاكراً إن فعلت لي معروفاً وتحدثت على نحو أهدأ...[1]، تعبر الجمل السابقة جميعها وبطرق مختلفة، عن الرغبة في الهدوء بدءاً من عبارة

(١) وللاستزادة في هذا المثال الشامل ينظر M. Jelinek في (الأسلوبية واللسانيات الاجتماعية) ص ٥٦.

الطلب (هس) التي تمثل نموذجاً للجملة ذات الإشارة غير اللغوية (ندائية)، وامتداداً إلى الجمل الطويلة المعروفة (ويمكن أن تكون أكثر)، ولهذا لابد من الإشارة إلى أن الأمر في بعض البدائل لا يقف عند حدود إبراز فروق أسلوبية فقط، بل يتجاوزه إلى الإشارة إلى وجود تغييرات خفيفة في المعلومة المراد نقلها أيضاً.

وهكذا يمكن للمرء أن ينطلق من وجود صياغات جملة متماثلة دلالياً، متباينة شكلاً وبناء؛ صياغات تمثل (أوجهاً تعبيرية Paraphrasenrelation) لمدلول واحد، الأمر الذي يدعو إلى جعل مفهوم العلاقة التفسيرية على المستوى النحوي يطابق مفهوم العلاقة الترادفية على المستوى المعجمي، ويعزز الدور الأسلوبي لعلم بناء الجملة، ونظراً لاعتبار الجملة في النحو التحويلي والتوليدي اليوم حقلاً دراسياً متفقاً عليه تقريباً، فمن الطبيعي أن يسعى هذا التيار اللساني إلى دراسة ظاهرة الأسلوب؛ لأن «الأسلوب في واقع الأمر هو نتيجة عملية للاختيار اللغوي، ولأن البنية السطحية هي خلاصة الأسلوب»[١] ، ومن المعروف أن أي بنية نحوية عميقة ومجردة يمكن أن تعرض بنى سطحية متعددة «حسب طبيعة التحويلات المستعملة فجملة مثل (ألف غوتيه كتاب...) يمكن أن تُغيَّر بـ:

- التحويل إلى البناء للمجهول: كتاب كذا أُلِّف من قبل غوتيه.

- وتحويل الحدث إلى اسم: غوتيه مؤلف كتاب (تحويل الحدث إلى فاعل).

---

(١) ينظر: R. A. Jacobs - P. S. Rosenbaum (التحويلات والأسلوب والدلالة) ص ٥٤، كما ينظر: R. Ohmann (الأدب كالجمل Literature as Sentences) في (مباحث عن اللغة والأدب Essays on the language of literature) بوستن ١٩٦٧م، ص ٢٣٦ التي قال فيها: «إن الأسلوب يرتكز على الانتقاءات النحوية في إطار الجملة».

- والتحويل إلى جملة تأكيد (Emphasesatz): إن غوتيه هو من ألف كتاب.

واستناداً إلى إمكانية هذه البدائل التحويلية (Alternative) سعى (R. Ohmann) إلى الإفادة مما في النحو التوليدي والتحويلي من معارف وخبرات معينة تيسر الدرب أمام شرح ما يتعلق بالأسلوب[1] من مسائل، واقترح ثلاث سمات أسلوبية تميز قواعد التحويل، هي:

١ - وجود تحويلات اختيارية قد يكون أولا يكون لها تطبيق، بسبب تغيير التركيب الأساسي نتيجة إجراءات خاصة مثل: الإبدال Permutation والإضافة أو الإلحاق Adjunktion والتعويض/ الاستبدال Substittution والحذف .Deletion

٢ - أن تنطبق هذه التحويلات على مجموعة أو كم محدد من الجمل وليس على رموز مفردة، وذلك بحيث تغير هذه التحويلات أجزاء من التركيب من ناحية، وتبقي على جزء منه من غير تغيير من ناحية ثانية.

---

(١) وفيما يخص الآتي ينظر R. Ohmann: (القواعد التوليدية ومفهوم الأسلوب الأدبي (Generative Grammars and the concept of literary Style في مجلة (الكلمة Word) العدد ٢٠ لعام ١٩٦٤م، ص ٤٢٣ - ٤٣٩ وهو بحث مترجم إلى الألمانية وموجود تحت العنوان نفسه في: Ihwe م١ ص ٢١٣ - ٢٣٣، كما ينظر البحث الذي كتبه Sh. Klein في هذا المجال وجاء في Ihwe ص ٢٣٤ - ٢٥٢ تحت عنوان (الكشف عن الأسلوب وملاحظته بنحو توليدي Stilkontrolle einer generative Grammatik)، كما ينظر البحث الذي قدمه J. P. Thorne (الأسلوبية والنحو التوليدي Stylistics and generative Grammars) في (مجلة اللسانيات Journal of Linguistics) العدد ١ لعام ١٩٦٥م، ص ٤٩ - ٥٩ والذي يبدو تابعاً لهذا المجال على الرغم من أنه من الناحية التطبيقية والعملية تابع لما جاء شاذاً من القواعد النحوية وذلك للضرورة الشعرية، وينظر أيضاً G. Helbig (تاريخ اللسانيات الحديثة) ص ٣١٨.

٣ - يمكّن النحو التحويلي من إجراء وصف دقيق للبنية النحوية لجملة ما، وذلك من حيث تفكيك الجملة المركبة إلى مكوناتها - أي إلى الجمل الصغرى - ومن حيث تحديد الإجراءات النحوية المتبعة التي تستعمل في بناء تلك الجملة وبدقة.

«وعليه ونظراً للحرية في تطبيق بعض التحويلات الاختيارية أو عدم تطبيقها، ونظراً لضرورة عدّ البدائل التحويلية اشتقاقات متعددة من الجملة الأساسية النواة (علاقة التفسير Paraphraserelation) من جهة، ونظراً لكون هذه البدائل تشبه على ما يبدو صياغات متنوعة للجملة نفسها من جهة أخرى، لا تثبت فكرة التركيبات الاختيارية للجملة التي تخص مفهوم الأسلوب، إنما يكون لها قياس واضح في نطاق كل نحو تحويلي»[1] .

هكذا يلاحظ أن هناك حاجة ماسة إلى وجود تصور واضح عن الآلية التي تدرس فيها الجملة أسلوبياً، فإذا درست انطلاقاً من البدائل التحويلية، واعتماداً على اختيار ما هو متميز لدى المتكلم مثلاً، فإن ما يجري في هذا الإجراء إنما هو اختيار أسلوبي متميز، والأسلوب اللغوي عموماً هو «بنية سطحية نحوية - دلالية تؤدي بنية دلالية عميقة، وتحمل معلومة أساسية أو خبراً»[2] ، والتحليل الأسلوبي للجملة وفق النموذج التوليدي والتحويلي يبقى قابلاً للتطور إلى أن يصل هذا النموذج إلى الطاقة الوظيفية الكاملة للجملة.

(١) ينظر :R. Ohmann في (علم الأدب واللسانيات) للناشر Ihwe، م١ ص ٢٢٣.

(٢) ينظر :B. Sowiniski في (الأسلوبية اللسانية) ص ٢٦.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الموقف المذكور لم يلق التأييد المطلق لدى الباحثين كلهم، بل وجد من شكك فيه وانتقده[١] ؛ لأن الجملة لا تقدم سوى جانب واحد من جوانب الدراسة اللغوية، قد لا يكون الأسلوب هو بيت القصيد في دراستها، ومما ينبغي أن يذكر هنا أيضاً هو أن Ohmann نفسه لم يبق عند فكرته، وإنما صار مجدداً يمثل اتجاهاً أسلوبياً نفعياً (instrumental style)[٢] .

رابعاً - مقياس إمكانات الانتقاء الأسلوبي

لمفهومي (التنسيق) و (الانتقاء) أهمية واضحة جداً في هذا الباب؛ لأن التنسيق من المنظور الأسلوبي يعني دائماً عدة أمور معاً هي:

- تقييد الاختيار.
- والحرية الواسعة في التنسيق.
- وإمكانات الاختيار غير المحدودة.

(١) ينظر: W. S. Chisholm (تمرين في الأسلوبية النحوية / التركيبية An Exercise in Syntactic Stylistics) في مجلة (اللسانيات Linguistics) العدد ٣٣/ ١٩٦٧م، ص ٢٤ - ٣٦/ كما ينظر: G. M. Messing (تأثير النحو التحويلي في الأسلوبي والتحليل الأدبي The Impact of Transformational Grammar upon Stylistics and Analysis) في مجلة (اللسانيات Liguistics) العدد ٦٦ لعام ١٩٧١م، ص ٥٦ - ٧٣، كما ينظر (الأسلوبية البنيوية) لـ: ريفاتيري، ص ١٩.

(٢) ينظر: R. Ohmann (الأسلوب المقيد، ملاحظات حول نظرية الكلام بوصفه سلوكاً Instrumental Style, Notes the Theorie of Speech as Action) في (التيارات المتداولة في الأسلوبية Current Trends in Stylistics) ص ١١٥ - ١٤١ للناشر Kachru - Stahlke.

وهذا ما جعل رومان جاكبسون يتحدث «عن مقياس متقدم أو متطور حول إمكانات التنسيق الحرة»[١] ؛ لأن أي إشارة لغوية مركبة هي جزء من تركيب آخر، وأن أي تحليل للنظام التركيبي إلى وحداته اللغوية الصغرى، قد يقدم صورة عن طبيعة بنائه، ويرسم آلية تشكُّل الوحدات الكبرى:

أ - وحدة صوتية - وحدة صوتية - وحدة صوتية - وحدة صوتية -- = كلمة

ب - كلمة - كلمة - كلمة - كلمة -- = جملة

جـ - جملة - جملة - جملة - جملة -- = فقرة

د - فقرة + فقرة + فقرة ... = نص

وهذا الشكل الموسوم من بناء الوحدات اللغوية يضع الباحث وجهاً لوجه أمام معادلة مهمة يلاحظ فيها أنه: كلما ازداد تعقيد التراكيب اللغوية، اتسعت حرية تنسيق العناصر المفردة أمام الراوي اللغوي، كما هو موضح في البيان الآتي:

- فتتابعات الوحدات الصوتية تشكل الكلمات، وتنسيقها في كلمة ما من النادر جداً أن يكون حراً، وعلى الرغم من أن هذا التتابع قد يوصل إلى بناء جديد لكلمة ليس لها وجود في الأساس، إلا أن هذا الاحتمال أمر لا يقاس عليه؛ لأن الدراسة تقتصر على استعمال المفردات الموجودة فعلاً، وقد سبقت الإشارة إلى الحد الذي تسمح به ذخيرة المفردات من الاختيار الأسلوبي.

- وتتابعات الألفاظ تشكل جملاً، وتنسيق العناصر اللفظية المفردة في هذا

(١) ينظر رومان جاكبسون في Ihwe م١، ص ٣٢٥.

التتابعات الجملية، يمنح الراوي اللغوي حريات كبيرة في مجال القياس التركيبي المعمول به في بناء الجملة، فإلى جانب مراعاة القيود والمعايير النحوية لابد من مراعاة ما يسمى بـ(المقولات الجاهزة أو الأقوال المأثورة) التي تشكل وسائل أسلوبية لا تخالف الاستعمال، فتتكون من ألفاظ منظمة تنظيماً خاصاً؛ ولهذا فإن ربط الجمل في النصوص ربطاً مفيداً قلما يضع حدوداً أمام الفردية الأسلوبية نظراً لعدم وجود قواعد تركيبية تخص البنى اللغوية التي تتجاوز حدود الجملة.

وفي أثناء الكلام على الاختيار لابد من الإشارة إلى أهمية ما بين الأسلوب اللغوي والأسلوب بشكل عام من علاقة، ولهذا يفرق (M. Riffaterre) (بين الانتقاء العفوي) النسبي الذي يقوم به المتكلم العادي في اللغة، وبين الانتقاء الهادف الذي تؤديه التعبيرية الأسلوبية (Stilistische Expressivitaet)[1] فيصور بهذه المقابلة ازدواجية الصيغتين الأسلوبيتين تصويراً مفيداً.

فإن كان المقصود بهذا التفريق هو الخاصة المميزة للأسلوب، فإنه لا ينطبق بهذا المفهوم إلا على الأسلوب الأدبي المتميز بدرجة عالية نسبياً من الوعي اللغوي بحيث يصير العنصر اللغوي المتميز فيه أسلوبياً قيمة أسلوبية (أثراً أسلوبياً، وهنا تنظر الصور البلاغية)، وبحيث لا يعد الأسلوب العادي هذا العنصر اللغوي إلا وسيلة أسلوبية عادية لأداء غرض ما.

ومن المفيد أن يشار في هذا السياق إلى أن صيغاً لغوية كثيرة من المستوى اللفظي والجملي تبقى محايدة أسلوبياً، لوجود قيود معجمية كبيرة بالنسبة إلى الانتقاء الأسلوبي، ووجود قيود تركيبية تخص البناء الأسلوبي للجملة (حتى

---

(١) ينظر ريفاتيري (الأسلوبية البنيوية) ص ٨٩.

ولو بأقل قدر)، وهذا كله يقود إلى النتيجة الآتية التي تتفق مع ما توصل إليه جاكبسون بخصوص الدراسة الأسلوبية:

أسلوب المقولات اللغوية مقيد في الحقل اللفظي، وحقل الجملة وتقييده يتضح على نحو أكثر في إطار النص؛ ولهذا فإن مستوى النص الذي يقدم على الجملة هو وحده الذي يشهد حرية كبيرة مقيدة في البناء الأسلوبي، فيصبح النص بذلك هو الميدان الحقيقي للعمل الأسلوبي.

* * *

الفصل السابع

الأسلوب في إطار النص

من الأمور المؤكدة في الدراسة اللغوية البنيوية اليوم تخصص النحو التوليدي والتحويلي بدراسة الجملة، وذلك باعتبار هذا النحو أفضل نموذج نحوي في الوقت الراهن، وظهور فاعليته الحقيقية في تحليل الجملة وتحديد خصائصها استحساناً ورفضاً، ولهذا فإن معرفة الراوي اللغوي بأساليب صياغة الجملة صياغة مستحسنة تضمن تفعيل العمل في هذا المجال، وتضمن تحقيق نتائج دقيقة في حدود الجملة، وما تركيز النحو التوليدي والتحويلي على الجملة واقتصار تحليلاته عليها سوى نتيجة حقيقية لنظرته إليها بوصفها أعلى وحدة تحليل لغوية، ولكونه هو ذاته نموذجاً متخصصاً بوصف الكفاية اللغوية الباطنة للمتكلم/ المستمع المثالي؛ نموذجاً يصف قدرة المتكلم على إنتاج جمل كثيرة غير محدودة في لغته وقدرته على فهمها؛ ولهذا تجلى موقف هذا الاتجاه البنيوي في:

- أن اللغة هي إجمالي الجمل كلها.

- وأن النحو هو آلية يقتصر دورها على إنتاج جمل صحيحة في هذه اللغة.

لم يسلم هذا الاتجاه من النقد بل قوبل بنقد تضمن دعوة صريحة إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة[١] ودعوة إلى وجوب اشتماله على النص كاملاً بما فيه من جمل وسياق؛ لأن النص ليس مجرد جمل مفردة مجمَّعة، أو مجرد جمع بسيط لها، (Aggregat) إنما هو «مجموعة من الجمل المتماسكة (Kohaerente Folge)»[٢]، وللتماسك (Kohaerenz) أهمية كبيرة من الوجهة اللسانية النصية؛ لأنه يعد النص بكامله «تكويناً حتمياً Determinationsgefuege أجزاؤه متضامنة»[٣].

(١) ينظر: W. O. Hendricks في بحثه (نحو مفهوم تجاوز حدود الجملة Zum Begriff, Über Satzgrenze hinaus) في دورية (علم الأدب واللسانيات Literaturwissenschaft und Lnguistik) المجلد الثاني الدفتر الأول للناشر J. Ihwe، ص ٩٢ - ١١١ وهنا نجد تجميعاً لمواقف أمريكية حول هذا الموضوع فضلاً عن إشارات مماثلة إلى الموقف الألماني وبخاصة موقف: M. Bierwisch حول (الصيغة النحوية ومهامها Aufgaben und Form der Grammatik) الذي جاء في مجلة (مقترحات وضع نحو بنيوي في الألمانية Vorschlage fur eine strukturelle Grammatik des Deutschen ص ١٩ و ٣١، كما ينظر في بحثه (العلاقات السياقية بين الجمل في النحو التوليدي Kontextbeziehungen zwischen Sätzen in einer generativen Grammatik) في Kybernetica العدد الثاني ١٩٦٦م، الصفحة ٢٧٤ - ٢٨١، وأعيد طبع هذا البحث في مجلة (مقترحات حول وضع نحو بنيوي في الألمانية) ص ٧٨ - ٨٧.

(٢) بناء على ما جاء لدى K. Brinker في بحثه (اللسانيات النصية Textlinguistik) في مجلة (لغة الحاضر والمجتمع Gegenwartssprache und Gesellschaft) ص ٥٠ (فتعريف النص في كل الأحوال حوله جدال وخلاف كتعريف الأسلوب).

(٣) ينظر: H. Weinrch: (الزمن والعالم المتحدث عنه والمحكي عنه Tempus, Besprochene und erzählte Welt) شتوتغارت الطبعة الثانية ١٩٧١، الطبعة الثانية ١٩٧١م، ص ٢١٢.

ولسانيات النص[١] بوصفها فرعاً لسانياً تأسست على هذا الأساس النظري وافترضت «أن النص وليس الجملة هو الوحدة اللغوية العليا الأكثر استقلالية»[٢] ، ورأت أن مهمتها الأولى هي التحليل المنظم للمستويات المتجاوزة لحدود الجملة (Transphrastische) وتحليل القيود الخاصة التي تشكّل من سلسلة جمل نصاً، فضلاً عن تحليل الوسائل اللغوية التي تؤثر في التماسك أو تخلق تماسك النص (Kohaesion).

أولاً - تماسك النص (Textkohaerenz) والأشكال اللغوية الشاملة / البدائل (Sprachlische Pro - formen):

إن لسانيات النص (Textologie) التي نادى بها (هارفيغ Harweg) عملياً هي فرع علمي حديث تميز بإضافات جديدة اصطلاحاً ومنهجاً ونظرياً، إضافات غير متوافقة نسبياً، تتجلى مهمتها الأولى في الاستفسار عما يحوّل مجموعة من الجمل إلى نص، وذلك من خلال قواعد (Regularitaet) بناء النص (Textkonstitution) وتحديده (Textlimitation)[٣] .

---

(١) وكخلف لـ (Z. Harris) في (تحليله للخطاب Discourse Analysis) يمكننا أن نعد هنا كلاً من (Ch. C. Fries) في عمله (اللسانيات النصية، اللسانيات وأصول التعليم ,Texlinguistik Linguistik und Didaktik) الطبعة الثانية ١٩٧١م، ص ٢١٩ - ٢٣٤، و (K. L. Pikes) في (نظرية القوالب Tagmemik) و (أعمال مدرسة براغ Arbeiten der Prager Schule).

(٢) ينظر: W. Dressler في: Folia Linguistica العدد الرابع لعام ١٩٧٠م، ص ٦٤.

(٣) وبخصوص الأفكار التالية ينظر R. Harweg: (الضمائر وبناء النص Pronomina und Textkonstitution) وبخاصة الصفحات: ١٤ و ١٨١/ كما وينظر: H. H. Baumann في: مجلة (اللغة Lingua) العدد ٢٣ لعام ١٩٦٨م، ص ٢٧٤ - ٣٠٠/ كما ينظر K. Brinke: (لسانيات النص Textlinguistik) ص ٥٣.

ويجد هارفيغ في الترابط الضميري (Pronominale Verkettung) أو في الإبدال النظمي بالضمائر (Syntagmatische Substitution)، اللذين عرفهما مجدداً في أثناء حديثه عن نظريته حول الإبدال - أساساً جوهرياً، يرى فيه أن الترابط الضميري أو الإبدال النظمي هما السبيل إلى بناء بدائل، لها بعدان؛ أولهما استبدال نظمي، وآخر استبدال إحلالي، ويلاحظ أنه إلى جانب البدائل التي من نمط (هو/ هي وهو للمحايد)، وإلى جانب تكوين النص بالممثلات الخالصة التي تساعد في تحويل العنصر اللغوي السابق إلى ضمير، أن المسألة في هذه البدائل متعلقة بالاستئنافات المجسدة لنص مثل:

- رجل، - ال/ هذا الرجل.
- أناس كثيرون - هؤلاء الناس.
- ربابة - آلة موسيقية.
- الأروة - أعلى جبل في ألمانيا.

ومن تعريف هارفيغ يتضح أن كل (كلمة Ausdruk) فيها مكون له بعدان؛ الأول هو الضمير سواء أصنف ضميراً بالمفهوم النحوي أم لم يصنف[١]، والثاني هو الإشارة إلى العناصر اللغوية التي تعيد ما ذكر في النص من أشخاص وأشياء وموضوعات، كما هو واضح في مرجعيات الأمثلة المذكورة التي تشير إلى استعمال تعبير آخر غير الضمير (Pronomina).

وأما (H. Isenberg) فقد استعمل لمثل هذه المعطيات السياقية والمرجعية مصطلح المرجع المشترك (Koreferenz) للمكونات السطحية ذات الإحالة

---

(١) ينظر: R. Harweg (الضمائر وبناء النص) ص ٢٥.

الموحدة (Refernzidentitaet)، واستعمل (R. Steinitz) بديل المواصلة (Pro-fortfuehrung)[(١)] ، هذا ومن الملاحظ استعمال مصطلح الكلمة الشاملة (Proform) مع العناصر اللغوية نفسها أحياناً.

ومن المفيد الإشارة إلى أن مصطلحي (المرجعية) و (أداة المرجعية) قد كان لهما دور بارز في دراسة اللغة المنطوقة لاعتمادهما في هذه اللغة - في موقف كلامي - موضوعات إحالة موجودة في الواقع (محيطة محسوس، وكذلك عالم الذكرى، والتصور) في الوقت الذي يجب أن تتخذ فيه الكتابة المجردة هذا الواقع موضوعاً.

وعلى الرغم من الأهمية المؤكدة لعلاقات الإحالة الثابتة بالنسبة إلى بنية النص (Textstrukur) لا يمكن المطالبة بهذه العلاقات أساساً لتماسك النصوص، ومن ثمَّ اعتبار النص سلسلة من الجمل المتابعة، ولوجود مجموعات من الجمل فيها ألفاظ ذات مرجعيات مشتركة، مثل:

أ - التقيت صديقة قديمة في هامبورغ. في هامبورغ سفن كثيرة[(٢)] .

ومما يدخل ضمن هذا الأساس بشكل خاص الترابطات القرينية التي لا تشكل فيها الكلمة المعوض عنها (Bezugwort) في الجملة المتقدمة أي تماسك دلالي، ولا تؤدي إلا دور الكلمة التي تفك الإبهام.

---

(١) ينظر H. Isenberg: (مفهوم النص في نظرية اللغة Der Begriff, Text, in der Sprachtheorie) ١٩٧٠م، وينظر Renate Steiniz: (القوالب الاسمية Nominale Pro-formen) ١٩٦٨م، والباحثان يستشهدان بما جاء في كتاب (اللسانيات النصية لـ K. Brinker) ص ٥٣، وينظر R. Steiniz: (علم التركيب الظرفي Adverbial Syntx) برلين ١٩٦٩م، ص ١٤٣ - ١٥٣.

(٢) المثال جيء به بناء على ما لدى برينكر في كتابه (اللسانيات النصية) ص ٦٣ الحاشية ٢٢.

ونظراً لفاعلية الترابط القريني (Assoziation) في اللغة المنطوقة، بوصفه عنصراً مهماً فيها، فمن الطبيعي أن تكون مظاهره في اللغة المنطوقة أكثر منها في النصوص المكتوبة، ومن الطبيعي أن تظهر في هذه اللغة أيضاً تتابعات جملية مترابطة من غير أن يكون بين جملها ألفاظ مرجعية مشتركة؛ ولهذا تسعى اللسانيات النصية إلى إيجاد تفسير يناسب هذه الحالات[١] ، فترى أن أزواج الجمل الآتية تشكل وحدة مترابطة، على الرغم من عدم ظهور أي مرجع ظاهري فيها :

ب - على هذه الأرض كنيسة. البرج قوطي.

جـ - بللني بطرس. جرى السائل على كامل جسدي[٢] .

ولشرح المثال الأول ينبغي على المرء أن يفترض لغوياً جملة وسطاً غير مؤداة هي :

- للكنيسة برج / ويسمي هارفيغ هذا الإجراء الافتراضي المجمع عليه بالتأويل interpretation أو الشرح (Explizierung)[٣] .

ويبدو الفرق في المثال الثاني بسيطاً في الأصل إلى درجة يبدو فيها من المناسب تطبيق الشرح نفسه الذي في الحالة الأولى؛ لأن من شروط البلل أن

---

(١) ينظر مثلاً: H. Isenberg (أنماط التنصية Vertextungstypeb) و (ملاحظات مرجعية خاصة Spezeille Referenzmerkmale) و (خواطر في نظرية النص Überlegungen zur Texttheorie) في Ihwe المجلد الأول ص ١٥٩.

(٢) الأمثلة بناء على ما جاء لدى كل من: W. Dressler في كتابه (مدخل إلى اللسانيات النصية Einführung in die Textlinguistik) ص ٤٠، و H. Isenberg في (خواطر في نظرية النص Überlegungen zur Texttheorie) ص ١٦٢.

(٣) وللنقد ينظر برينكر في (اللسانيات النصية) ص ٥٤.

يكون هناك سائل، إلا أن موضوع التركيب الثاني يمكن إثارته باستعمال مفهوم الترابط المعجمي (Lexikalische Solidaritaet) لكون كلمتي (مبلل وسائل) يرجعان إليه، وبهذا الترابط المعجمي يُحافظُ على تماسك النص كما في حال (الحصان/ وصهل).

- يسمي (إيزينبرغ Isenberg) هذه الظاهرة بالمرجعية الضمنية Implizite referenz تمييزاً لها من المرجعية الصريحة الظاهرة.

- ويرى (دريسلر V. Dressler) وجود مؤشرات دلالية عائدة (Semantische Anaphern) مقابل الإشارة النحوية العائدية المعروفة[1] .

- ويطالب (هارفيغ Harwig) بتجاوز المرجعيات السطحية المشتركة الخالصة إلى الروابط الدلالية التي يمكن أن تكون:

أ - منطقية (سؤال وجواب).

ب - كونية (برق، رعد).

جـ - حضارية (مدينة، محطة قطار).

د - استبدالات تتابعية مسوّغة سياقياً[2] .

وبهذه الرؤى يتجلّ الطموح إلى تطوير نحو جديد فاعل هو (نحو النص Textgrammatik) قياساً على النحو التوليدي والتحويلي ليكون بمثابة (آلية

(١) ينظر H. Isenberg ص ١٦٢/ وينظر W. Dressler في: Folia Linguistica، العدد الرابع لعام ١٩٧٠م، ص ٦٧.

(٢) وبالتفصيل ينظر: R. Harweg (الضمائر وبناء النص Pronomina und Textkonstitution) ص ١٩٥.

نهائية لتوليد كمٍّ غير محدود من الجمل المشروعة)[1] ، لتكون الخصائص النحوية سبيلاً إلى تحديد ثلاثة جوانب أساسية هي:

- دلالة النص (Textsemantik/ Texbedeutung).

- وبناء النص (Textsyntax) (علم بناء النص أو التمثيل التركيبي للدلالة) الذي يمكن أن يسمى بالمفهوم اللساني بـ (نحو النص Textgrammatik).

- وتداولية النص (Textpragmatik) (أي وظيفة النص في السياق غير اللغوي)[2] .

والنقطة الأخيرة من أهم ما ذكر في هذا الباب؛ لأنها تشكل قاعدة واسعة النطاق لـ (نظرية نص)[3] ، يجب أن تنظم وظيفياً على قاعدة نصية نفعية، وتأخذ بالتنظيم الإشاري الذي تلتزم به كل من اللسانيات النصية ونحو النص.

و (النص المؤدى وظيفياً Text - in - funktion) أو المعبر عنه في مقتضيات اتصالية واقعية هو جزء من تفاعل اتصالي اجتماعي، ولتوضيح هذا الدور

(١) ينظر: H. Isenberg (خواطر في نظرية النص Überlegungen zur Texttheorie) ص ١٦١/ كما وتنظر الأعمال التي ترد في ثبت المصادر والمراجع لكل من J. S. Petofil و T. A. von Dijk وغيرهما.

(٢) ينظر: H. Weinrich (اللسانيات النصية للمداخل الزمنية Zur Textlinguistik der Texttheorie) في مجلة (اللسانيات وأصول التعليم) العدد الأول لعام ١٩٧٠م، ص ٢٢٢/ كما ينظر دريسلير في (مدخل إلى اللسانيات النصية) ص ٤.

(٣) وهذه طورها: S. J. Schmidt في: (النص موضوع البحث في نظرية النص Textals Forschungsobjekt der Texttheorie) في مجلة تعليم اللغة الألمانية المجلد ٢٤ لعام ١٩٧٢م، الكراسة ٤، ص ٧ – ٢٨، وما جاء في هذه الصفحات يمكن أن يقارن بالكلام التالي في هذا العمل.

اقترح (س. ج. شميدت) مفهوم (حركة الفعل الاتصالي Kommunikative Handlungsspieln) اعتماداً على نموذج الأفعال اللغوية عند فيتغينشتاين الذي يشتمل فيه النص - بوصفه جانباً لغوياً اتصالياً فاعلاً في (أفعال الاتصال) - على كل الأفعال الاتصالية الحقيقية وهي:

- التضمين الثقافي والاجتماعي (مجتمع الاتصال).
- تفاعل (Interaktion) السامع/ المتكلم (أطراف الاتصال).
- المقام الكلامي (Redekonstellation) (ظرف الاتصال).

ولم يقف الأمر في نظرية النص لدى شميدت عند هذا الحد، بل إنه امتد فيها إلى «عد النص نظرياً صورة لغوية شاملة، تنقل الفكرة لغوياً من الذهن إلى حيز الواقع في فعل اتصالي اجتماعي، الأمر الذي يدعو إلى جعل نظرية النص المعنية بهذا المستوى اللغوي (النص) قاعدة نظرية للسانيات الآخذة بالمنظور الاتصالي».

ثانياً - الأسلوب النصي (Textueller Stil)

حين أردنا التخطيط للعمل في باب (الأسلوب النصي) وجدنا نقصاً كبيراً في الاهتمامات الموجهة إلى الأسلوب والأسلوبية، لا بل إننا لاحظنا تراجع الاهتمام بهذا المستوى المسؤول عن بناء النص والمهم جداً للسانيات النصية؛ إلى درجة صارت فيها الأسلوبية تذكر حيثما تذكر اللسانيات النصية ليبقى استعمالها محصوراً ضمن مفهومها القديم، إلا أن روّاد اللسانيات النصية قد طالبوا بإيجاد تحديد جديد لمجال عمل الأسلوبية حين رأت أن «نحو النص يجب

أن يميز من أسلوبية النص، وأن مجال أسلوبية النص قد اتسع ولم يعد يقتصر على حدود الجملة»[١] .

ومن الناحية التاريخية والعلمية لا بد لهذا التطور من أن يؤدي بالضرورة إلى شكل من أشكال الخلاف تقريباً حول كفاءة كل منهما، فحتى ظهور لسانيات النص كانت الأسلوبية هي الموجودة، وكانت تعنى بالدرجة الأولى وعلى نحو مطلق تقريباً بالاطرادات اللغوية المتجاوزة للجملة على الرغم من أن فاينريش لم يعتبرها أكثر من «مستوى جانبي Randerscheinung في علم اللغة»[٢] .

ولدى عدم قبول هذه المساواة المطلقة بين الأسلوبية ولسانيات النص نستطيع الكلام عن (التحول الفني/ النوعي)، والانتقال المرحلي من:

- البلاغة (حتى نهاية القرن الثامن عشر) وبعدها.
- الأسلوبية (ظهرت الأسلوبية بعد التاريخ السابق وظهرت إلى جانبها).
- لسانيات النص (ظهرت مع الأسلوبية منذ ستينيات القرن العشرين).

فلسانيات النص لا تكتفي بدراسة ظواهر أسلوبية هي في تغيير دائم، بل إنها تتناول النص بكل ما فيه من بنى؛ ولهذا ولتحديد الموضوع بدقة، وللتمييز الأدق بين الأسلوبية واللسانيات النصية يسأل باستمرار «هل استعمال عنصر لغوي ما في النص من مهام نحو النص (لسانيات النص) أم أنه من مهام الأسلوبية»[٣] .

---

(١) ينظر: دريسلير: (مدخل إلى اللسانيات النصية) ص ١٠٧، كما ينظر U. Fries: (اللسانيات النصية Texlinguistik) في مجلة (اللسانيات وأصول التعليم) المجلد الثاني لعام ١٩٧١م، ص ٢٢٠.

(٢) ينظر H. Weinrich في مجلة (اللسانيات وأصول التعليم) ١/ ١٩٧٠م، ص ٢٢٢.

(٣) ينظر دريسلير، ص ٦.

وبما أن الحرية في إمكانيات تنسيق الوسائل اللغوية على المستوى النصي - كما ثبت - والحرية في اختيارها موجودة في أوسع صورها، لابد لهذا العدد الكبير من الاطرادات المدروسة لسانياً ونصياً من أن يكون متميزاً أسلوبياً، وإلا لما تركز الاهتمام عليها؛ ولهذا يُعرِّفُ الأسلوب اللساني النصي بدقة بما يلي: «الأسلوب هو آلية تشكيل النصوص»[1] .

ومن هذا المنظور يطالب (ر. هارفيغ) تحويل الأسلوبية القديمة إلى شكل من أشكال النحو الذي لا يكتفي بوصف جمل مستقلة، إنما يمتد إلى وصف الفقرات النصية المتكونة من تتابعات جمل أو وصف نحو النصوص أيضاً، انطلاقاً من معادلة «النص الجيد أسلوبياً هو نص صحيح نحوياً» التي يرى فيها أن المنتج اللغوي لا يقع في أخطاء نحوية فقط بل وفي أخطاء نصية أيضاً.

ومع أن القواعد النحوية - النصية لمَّا تُصَغ في جزء كبير منها على نحو تقبل فيه بشكل عام، إلا «أن العمل بها عفوي وواسع لدى الأسلوبيين المجيدين، ومتكلف به، وأقل من ذلك لدى الأسلوبيين غير المجيدين»[2] .

ولهذا كله رأى هارفيغ أن اللسانيات في المستقبل بحاجة ماسة إلى نظرية الأسلوب الجيد، أو نظرية البناء الصحيح للنص المتأسسة على إنتاج القواعد النحوية والنصية بدقة وشرحها الآن، ولم يأت موقفه هذا من فراغ؛ لأنه وجد في لسانيات النص الآن أسئلة مفتوحة أكثر من النتائج المؤكدة، وأن فيها كثيراً

---

(١) ينظر: R. Harweg (الأسلوبية ونحو النص Stilistik und Textgrammatik) في مجلة (اللسانيات وعلم الأدب) السنة الثانية/ ١٩٧٢م، المسألة ٥ ص ٧١ - ٨١ مع ملاحظة مقارنة ما جاء هناك بما لدينا الآن.

(٢) ومثال على هذه الأفكار مقطع نصي لـ Thomas Mann في (مجلة اللسانيات وعلم الأدب) المذكورة في الحاشية السابقة، ص ٧٦.

من القضايا ذات الطابع النصي اللغوي هي قضايا أسلوبية في وقت واحد؛ لأن عدَّ النص سلسلة متماسكة من الجمل معناه إعطاء وزن أسلوبي خاص لترابطها المميز في حال وجود قيود نحوية محددة في الجمل المفردة؛ ولهذا تشكل إمكانات تماسك الجمل في النص مادة دراسية مفضلة في لسانيات النص التي تشرح نتائجها في جزء كبير منها شرحاً أسلوبياً أيضاً، هكذا يمكن اختيار مثال من مجال علاقات الإحالة، وليكن الاستئناف الآتي للإشارة إلى مكان بالمعنى النحوي الكامل[١] عن طريق الإشارة العائدية هناك:

أ - في ميونيخ، هنا.

هذه الإشارة بإمكانيات استبدالاتها تبين حالة من التلوُّن الأسلوبي[٢].

ب - في ميونيخ ← {
في هذه المدينة.
في تلك المدينة الكبيرة.
في عاصمة باڤاريا.
في كنف كنيسة النساء }

(١) إن B. Sowiniski في كتابه (الأسلوبية اللسانية) ص ٣٠، في شك من أمره، فلا يستطيع تحديد ما إذا كانت هذه الاستئنافات (الإعادات) (ولا سيما الاستعاضة عن الصيغ الاسمية بالضمائر الشخصية) متعلقة بتعويضات أسلوبية أو نحوية. إلا أن الإعادات المسببة وبخاصة في لغة الدعاية تعمل بوصفها أدوات أسلوبية تساق في الكلام عن طريق القوالب مخالفة معايير الاستعاضة وقواعدها المعمول بها.

(٢) ولمعرفة المزيد عن الظواهر المتميزة بينيتها النصية وحق المتميزة بأسلوبها ينظر العرض الذي قدمه H. Isenberg في (خواطر في نظرية النص Überlegungen in Texttheorie) ص ١٥٦.

ولا غرابة في هذا التركيب؛ لأن نظرية النص ترى أن المنتوج النصي هو خلاصة عملية اختيار فاصلة تتأثر بـ:

- إمكانات نظام الرمز اللغوي.

- ظروف المتكلم المعقدة.

- السياق الاتصالي وإمكانات علم دلالة الفعل الاجتماعي[١].

وفي إطار الإمكانات اللغوية الموجودة في هذه الظروف الذاتية والمقامية يختار المتكلم - عن وعي أو عن غير وعي - العناصر التي تناسب هدفه، فيبدو أسلوب النص بفعل هذا الإجراء نتاجَ الانتقاء الأسلوبي في النظام اللغوي الخاص؛ هذا الانتقاء الذي يتأثر بشكل مباشر أو غير مباشرة بالظروف الاتصالية.

ثالثاً - أنواع النص بوصفه مفهوماً جديداً لجنس النص (فصيل النص)

ترى لسانيات النص أن لتحديد (غطية النص Texttypologie)، أو تحديد (أنماط النص Texttypen)، أو (أنواعه Textsorten) وظيفة أخرى، وترى أن أهمية الأسلوبية في تحديد أنواع النص تتجلى في حيازة أنماط معينة من النصوص صوراً تعبيرية لها طابع خاص، فيظهر في هذا السياق مصطلحات (أسلوب الجنس النصي Gattungsstil) و (أسلوب العمل الأدبي Werkstil) مع ملاحظة كون المصطلحين السابقين مصوغين من منظور أدبي.

---

(١) ينظر س. شميدت، في (النص موضوع بحث في نظرية النص) ص ١٨.

وبما أن الكلام فيما يلي سيبقى محصوراً في إطار (أسلوب الجنس) بوصفه مفهوماً عاماً، فمن الممكن التقديم لأسلوب عمل في هذا الجنس، ففي الوقت الذي يشتمل فيه النوع الأول كل الخصائص الأسلوبية المكونة لجنس (أدبي)، فإن الثاني لا يؤدي منها سوى قدر محدد يتوافق مع الانتقاء الشخصي للمؤلف كل مرة، وبهذا الشكل يعد أسلوب الفرد أداة فردياً يخص المؤلف من جهة، ويدخل ضمن أسلوب الجنس الأدبي الشامل من جهة ثانية.

هذا ولا يعرف مفهوم (الجنس) تعريفاً ثابتاً في إطار دراسة النصوص، بل حوله خلاف وجدال؛ لأن المعرفين يستندون إلى وجهات نظر مختلفة وأهداف متباينة، فالعلماء المعنيون بلسانيات النص مثلاً، يرون أن النصوص لا يجوز أن تنمط إلا اعتماداً على سياقها الاتصالي أخذاً بمبدأ (نفعية النصوص)، كما في الأجناس الأدبية - مكتوبة أو منطوقة - التي «يجب أن تعد في الأساس مواقف كلامية نوعية»[1].

ومن جانب آخر تلتقي لسانيات النص في هذا الباب تصورات بحثية أخرى حديثة، تقوم على تنميط نصوص اللغة المنطوقة وترى أن النص (كلام منطوق) يمكن أن يقسم إلى (منطوقات Äusserungen) أو (أفعال كلام Sprechakte) كتقسيم النص المكتوب إلى جمل وفقرات (أو إلى فصول ومقاطع وفقرات..).

هذا ويجب ألا ينسى هنا أن الأجناس التقليدية التي صارت تاريخية في أشكالها تحني امتداد ما هو تاريخي (تعاقبي) في (تزامنية) الحاضر، وأن: الشعر وفن القصة Epik والشعر الوجداني/ قصيدة شعر غنائي Lyrik وفن كتابة المسرحية/ التمثيل المسرحي Drammatik بوصفها أشكالاً طبيعية تُعَدُّ من

(١) ينظر هـ فاينريش: (الزمن) ص ٣٠٩

(كليات استعمال اللغة Universalien)[1] على الرغم من ضرورة تكملة تلك الأجناس القديمة، وكذلك الأجناس الأدبية الحديثة المستقلة مثل (الرواية Roman، والشعر الروائي/ ملحمة/ ملحمة شعرية Epos، والقصة القصيرة/ الرواية القصيرة Nounelle والقصيدة الغنائية Ode والنشيد/ الترتيل Hymne، والقصيدة الدرامية/ لحن موسيقي شعري Ballade والتراجيديا Tragoedie والكوميديا Komoedie)[2] بأشكال نصية تعرفها اللغة اليومية المكتوبة أو المحكية من مثل:

- الحديث .Unterhaltung
- الحكاية / القصة Erzaehlung (ليس بالمفهوم الأدبي).
- المحاضرة .Vortrag
- الحديث العلمي Diskussion (بما فيه من جدل/ ومناقشة).
- التحقيق الصحفي/ صورة صوتية .Reportage
- حديث صحفي .Interview

وقياساً على الفرق الذي تقدم شرحه بين (أسلوب العمل) و (أسلوب الجنس) يميز بين (النسخة المفردة للنص) و (نوع النص Textsorte)، فتعرَّف الأنواع النصية بأنها «أشكال متعددة من النصوص التي تشكلت من العناصر

(١) ينظر W. -D. Stempel في موضوعه الذي جاء على شكل سؤال (أهناك أنواع من النصوص Gibt es Textsorten?) في (أنواع النصوص Textsorten) الذي نشره E. Gulich - W. Raible، ص ١٧٥

(٢) وكذلك صيغ معينة نصف أدبية أو صيغ بسيطة ينظر (الكتاب المعروف ذو العنوان الواحد Das bekannte Buch gleichen Titels) لـ (A. Jolles) المنشور في Halle ط٢/ ١٩٥٦م.

المعجمية والدلالية والتركيبية والصرفية والصوتية، ومن العلاقات الداخلية القائمة بين تلك العناصر في لغة ما، فكانت صوراً نصية تشكلت من أبنية عناصر لغوية، قد أديت في لحظة تاريخية ما بنسخة نصية لنموذج ما»[١] .

ونظراً لإمكانية عد الأجناس القديمة أنواعاً نصية بناء على هذا التعريف فقد ارتأى بعضهم استبدال المصطلح العام والشامل (أسلوب الأنواع النصية) بالمصطلح القديم (أسلوب الجنس)، وافترضوا وضع مصطلحين جديدين مستقبلاً هما: (أسلوب المؤلف وأسلوب المؤلَّف).

ورأى بعضهم أن «الأساليب الوظيفية لا تدخل في دائرة الأنواع النصية؛ لأن التركيز فيها يكون على المستوى الوظيفي الفني، ووجد الشكليون الروس في هذا السياق أن علماء الأسلوب في مدرسة براغ هم أول من طوَّر علم الأساليب الوظيفية»[٢] ، وهم أول من توقف أمام الوظائف الآتية وأكدها:

(١) ينظر: H. Steger (بعض اتجاهات البحث النظري والتطبيقي للغة الألمانية المحكية Einige Theoretische und empirische Aspekte der Forschung gesprochener Sprache) في أوراق فرايبورغ الجامعية العدد ٣٤ لعام ١٩٧١م، ص ٣٩

(٢) ينظر: L. Dolezel (الأسلوب والأسلوبية الوظيفية في مدرسة براغ والمدرسة الروسية Rusian and Prague School Functional Stylistics, Style) ٢/ ١٩٦٨م، ص ١٤٣ - ١٥٨، وينظر: T. Todorov (الإرث المنهجي للشكلانية Das methodologische Erbe des Formalismus) بحث منشور في (Ihwe المجلد الثاني) العدد الأول ص ١٧ - ٤٠، وينظر L. Dolezel و (J. Karus) في (الأسلوبية في مدرسة براغ Prague school Stylistics) فيما نشره Kachru Stahlke في (مباحث في الأسلوبية Trends in Stylistics) ص ٣٧ - ٤٨، وينظر E. Benes و J. Vachek كتاشري لـ (الأسلوبية واللسانيات والاجتماعية، مساهمات مدرسة براغ في الدراسة اللغوية البنيوية وفي التربية اللغوية Stilistik und Soziolinguistik, Beiträge der Prager Schule zur strukurellen Sprachbertachtung und Spracherziehung)، برلين ١٩٧١م، وثمة مراجع أخرى يمكن العودة إليها في هذا الباب لدى J. Vachek في (مدرسة براغ اللسانية The Linguistic School of Prague) بلومينغتون ١٩٦٦م.

- الوظيفة الاتصالية للغة.

- والاستعمال الهادف والمستحسن اجتماعياً في الميادين المختلفة للفاعلية البشرية.

وعلى الرغم من تأكيد تلك المهام يلاحظ أن اللغوية الروسية (Elise Riesel) المتخصصة بالأدب الألماني، قد وضعت حديثاً نموذجاً لخمسة أساليب وظيفية في اللغة الألمانية، يمكن عدها تجاوزاً أنواعاً ضمن إطار عام هو (الوظيفة)[1] ، هي:

١ - أسلوب الاتصال العام (نصوص حكومية - وثائق - لوائح - معاهدات - ملفات..).

٢ - الأسلوب العلمي (مؤلفات علمية وتقنية - محاضرات - أحاديث ثقافية - مناقشات).

٣ - الأسلوب الصحفي/ الإعلامي (أخبار صحفية - أخبار - تحقيقات صحفية - تعليقات..).

٤ - أسلوب التواصل اليومي[2] (وسمي أيضاً بالأسلوب اليومي وأسلوب لغة التعامل، ويتضمن كل صيغ التعبير في الأوساط غير الرسمية سواء في الاتصال الشخصي، أو في الحياة الأسرية، أو في العمل والتعامل..).

٥ - أسلوب الأدب الجميل [الكتابة الأدبية في كل الأنواع].

(١) ينظر: E. Riesel (الأسلوبية في اللغة الألمانية) ص ١٢ و ٤٢١

(٢) ينظر المؤلف السابق في (أسلوب اللغة اليومية في الألمانية Der Stil der deutschen Alltagsrede) لايبتسيغ ٢/ ١٩٧٠م.

فإن عُدَّ الأساس الذي صنفت بموجبه هذه الأساليب الوظيفية مبدأ تنظيمياً، أمكن إرجاع هذا المبدأ إلى المفاهيم العامة لبناء الأجناس التقليدية مثل: فن القصة، الشعر الوجداني، وفن الكتابة المسرحية؛ وبهذا تبدو الأساليب الوظيفية من الأساليب الدائمة لعدم اقتصارها على الأدب (الذي يمثل جانباً من هذا النظام)، إنها شبكة تتضمن نصوصاً بخصائص أسلوبية مشتركة تنضوي تحت مفهوم جامع هو مفهوم (الوظيفة) الذي كان له أهمية كبيرة في الدراسة النظرية اللغوية لبنيويي مدرسة براغ[1] ؛ والوظيفة من منظور الدراسة الأسلوبية تعني حاجة أشكال محددة من التعبير اللغوي إلى وسائل أسلوبية تناسب الهدف من استعمالها، فتصبح الأساليب الوظيفية بناء على هذا نماذج لغوية متكررة وجاهزة، لأنها تستعمل اللغة في مجال محدَّد لخدمة هذا الجانب من الفاعلية البشرية وأداء وظيفة اجتماعية[2] .

يتميز الأسلوب الرسمي والأسلوب العلمي والأسلوب الصحفي في واقع الأمر بخصائص أسلوبية محددة وثابتة، أو بخصائص نصية عامة تدخل في دائرة مفاهيم (الوظيفة Funktionalitaet) و (النفعية Zweckmaessigkeit) و(العملية/ خدمة الموضوع Sachdienlichkeit)، وأما (أسلوب الكلام اليومي) و (أسلوب الأدب الجميل) بوصفهما ظواهر عامة، فلا يمكن

---

(١) ينظر: J. Vachek و E. Benes (مدرسة براغ، ماض وحاضر Die Prager Schule. Erbe und Gegenwart) في (الأسلوبية وعلم اللغة الاجتماعي) ص ٢٠، كما وينظر K. Horalek: (وظيفة اللغة والأسلوبية الوظيفية Sprachfunktion und funktionelle Stilistik) في (مجلة اللسانيات) ١٤/ ١٩٦٥م، ص ١٤ – ٢٢

(٢) ينظر في هذا السياق ما جاء حول (التلقي الناقد للأساليب الوظيفية Kritische Rezeption der funktionellen Stile) لدى B. Sandig في مجلة (اللسانيات وأصول التعليم) ١/ ١٩٧٠م، ص ١٧٧

دراستهما بالطريقة نفسها من حيث عدهما أشكالاً أسلوبية موحدة[١] ؛ (واللغة الشعرية حين تدرس من زاوية الاستعمال الشعري، يجب أن يراعى فيها أنها تأخذ من كل الأساليب الصحيحة؛ ولهذا لا يمكن عزلها إطلاقاً بوصفها «أسلوباً مستقلاً بذاته»[٢] .

وختاماً يمكن القول إن حصيلة عمل الأسلوبيين الروس والتشيك في هذا الباب تتجلى في دراستهم الأسلوب في جميع الأشكال اللغوية، التي ترد في سياق اتصالي، معتمدين في ذلك على المنهج الذي تعرفه الوظيفية، كما وتتجلى في تدوينهم عدداً كبيراً من الملاحظات الخاصة في هذا الباب.

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى ما لنموذج (ريزل Riesel) من قيمة استكشافية على الرغم من عدم تقديمه أي تصنيف أو تبويب للجانب الوظيفي ليصار إلى الأخذ به على نحو مطلق، فالأساليب الوظيفية – على خلاف الأسلوب الشخصي الذاتي – تجسِّد تلوُّناً موضوعياً في الأسلوب، ففي فعل الكلام (Redeakt)، أو في إنتاج النص، يتم التوليد اللغوي بوصفه اختياراً من نظام الإشارة اللغوي لفئة اجتماعية بوصفها جماعة اتصالية، وتشكل القيود الاجتماعية والنفسية والمقامية التي تؤدى فيها اللغة – كما هو معروف – الظرف الكلامي الذي يقدم الشرط الفيصل لأداء نوع محدد من النصوص؛ وذلك لارتباط «اختيار الترتيبات الإجبارية أو الاختيارية المحددة من النظام النحوي للغة بالأدوار اللغوية التي تنظِّم حسب المقتضى أو الهدف، وتتفاعل مع أنواع النصوص... وتكوِّن عدداً من المستويات المعيارية المنتقاة المتفق عليها

(١) وللاحظة مثل هذا النقد ينظر B. Sowiniski في (الأسلوبية في اللغة الألمانية) ص ٢١

(٢) ينظر: J. Ihwe (مشكلة اللغة الشعرية Das Problem der Poetischen Sprache) في Ihwe المجلد الثاني/ الجزء الأول ص ٦٠٧/ كما ينظر: ريزل: (الأسلوبية في اللغة الألمانية) ص ١٧

في النحو والقسم المشترك في كل من الأسلوبية وأنواع النصوص»[١] .

هذا وإن مفهوم (أسلوب الألوان النصية) والنظرة الحديثة الشاملة إلى أسلوب الأجناس التقليدية المتضمنة، لتصور الأساليب الوظيفية المستبعدة للأشكال اللغوية المحكية وغير الأدبية - يبرزان جلياً بوصفهما جزأين مهمين في المفهوم الإجمالي للأسلوب.

ففي الوقت الذي اقترحت فيه في التعريف المذكور استبدال مشترك دلالي إجمالي Kollektiv) بالمصطلح اللساني (فئوي/ جماعي Soziolektisch) أي (أسلوب أنواع النصوص) كجزء معرَّف فئوياً في الأسلوبية فقد بدا لي مجالاً اصطلاحياً مناسباً لتحديد هذا النوع المتباين من الأساليب مقابل (الأسلوب الشخصي) بوصفه موضوعاً لجانب من الأسلوبية المبني على أساس اللغة الفردية (Soziolekt).

* * *

(١) ينظر: H. Steger: (السلوك اللغوي والنظام اللغوي والمعيار اللغوي - Sprachverhalten - Sprachsystem - Sprachnorm) في الكتاب السنوي (الأكاديمية الألمانية للشعر واللغة) ١٩٧٠م، هايدلبيرغ ودار مشتادت ١٩٧١م، ص ٢١

الفصل الثامن

الأسلوب خاصة شخصية للإعراب عن الذات شفوياً وكتابياً

بناء على مقولة: «قل لي مع من تتعامل أقل لك من أنت، ودعني أسمع كيف تتكلم، أقل لك من أنت»[1]، يمكن القول إن لغتنا هي عنوان انتمائنا الوطني والإقليمي والاجتماعي؛ إنها عنوان شخصيتنا وتكويننا، وما صوغ المقولات اللغوية الشفوية والكتابية المميزة لوحدة الإنسان الاجتماعية بأكثر من الأسلوب، وأسلوب الإنسان الشخصي بهذا المعنى يشبه بصمته[2] التي تميزه على نحو لا يقبل اللبس.

---

(١) ينظر: Els Oskar (ألمانية اليوم صورة عن التغيرات الاجتماعية Das heutige Deutsch - ein Spiegel sozialer Wandlungen) في مجلة (اللغة والمجتمع Sprache und Gesellschaft) ص ٢٧٩، وينظر الشاعر الإنجليزي 1637 - 1572 Ben Jonson (الذي قال) باللغة يعرف المرء، تكلم لأقول لك إلى عرفتك (حسب ترجمة Jacobs - Rosenbaum في (ترجمات، أسلوب ودلالة Transformationen, Stil und Bedeutung) ص ١٦

(٢) ينظر: R. Brown (البيان المغلق Closing Statement) في (الأسلوب في اللغة Style in Language) نشره Th. A. Sebeok، ص ٣٧٨ «فالمقارنة هنا مرجاه من حيث مقارنة ثبات بصمة إنسان في حياته، بتغير أسلوبه فيها».

أولاً - الأسلوب الشخصي (الخاص) وطبقات الأسلوب

إن نظرة (بوفون) إلى الأسلوب الشخصي كما عبر عنها بداية في مقولته المشهورة «الأسلوب هو الشخص نفسه» ليست عامة، بل خاصة بالشخصيات الشاعرية الكبيرة، وهي سمة للمستوى الرفيع من الفن والأدب.

ولا يقتصر الأسلوب في فرضيتنا على اللغة الفنية، لأن كل مقولة لغوية لها أسلوبها، بغض النظر عن تقويم المرء له بالجيد أو السيء، ولأن الأسلوب الشخصي يجب أن يفهم فهماً عاماً؛ فالهوية الأسلوبية اللغوية لكتاب معينين تتجلى في قدرة القراء المثقفين على تمييز هذه الهوية من خلال نصوص لا يعرف كتابها، بالنظر إلى طريقة الكتابة المميزة فيها (وهذا ما يمكن أن يطرح أحياناً كمهمة امتحانية)[١] ، التي تحاكي بخصائصها الأسلوب الجميل في مجالنا اللغوي كما في نكتة لاذعة مثلاً، وفي عالم الأدب دليل على أعمال ما زالت محتفظة بأسلوبها الهجائي الساخر إلى يوم الناس هذا، على الرغم من تقادم الزمن عليها[٢] ؛ هذا ولا تقتصر المحاكاة على الأسلوب الأدبي بما فيه من ملاحة أو نكتة أو عذوبة بل ثمة عدد كبير من ضروب المحاكاة الحقيقية لأسلوب السياسيين والفنانين وغيرهم من الشخصيات المعروفة لدى العامة، وكثيراً ما يجري محاكاة أساليب مقولات أشخاص معينين في الحياة اليومية الخاصة[٣] .

(١) ينظر R. Ohmann في (علم الأدب واللسانيات) للناشر /J. Ihwe الجزء الأول ص ٢١٣

(٢) ينظر مثلاً B. R. Neumann (مگ أقلام غريبة Mit fremden Federn) في (التقاليد الهزلية Der Parodien) الجزء ١ و ٢ فينا ١٩٥٠/ ١٩٥٥م.

(٣) إن النكت المتميزة بأشكالها في الألمانية مثل (الكونت الصغير - الأميرة الصغيرة - القشيرة - القزم..) هي في حقيقة الأمر تجسيدات لنوع محدد من الناس من بيئة محددة، وتجسيد لطريقة كلامه.

ومن أمثلة المحاكاة تلك يتضح أكثر عدم جواز أن يؤدي التقسيم الثنائي اللغة الفنية – اللغة العادية، كما هو مسوغ إلى التعميم المطلق للغة الشعرية وحدها؛ لأن المحاكاة اللغوية بالمفهوم العام تعني المغالاة في الأساليب الشخصية من حيث وضع بعض الأساليب الفردية في القمة تقويمياً، فإذا كان لكل مقولة لغوية أسلوب، فلابد من أن يكون لكل تعبير أسلوب بالطبع، لاختلاف نسبة كبيرة من المقولات اللغوية في طبيعتها، وهنا تظهر قضية التصنيف.

والنموذج التصنيفي السائد اليوم متأسس على الإمكانات الأسلوبية لاختيار الكلمة، ويمكن نقله ولأسباب استكشافية وبالنظر إلى وحدة الأسلوب إلى مجال الاختيار في نطاق الجملة، والنص بهذه الإمكانيات الاختيارية يبني هذا النموذج من المستويات الأسلوبية، وفي مقابلة نموذجين من هذه الأساليب، بيان بعدم تباينهما، إلا في تعديلات اصطلاحية وموضوعية بسيطة[1]

١	٢
شعري	شعري

(١) ينظر Ruth Klappenbach- W. Steinitz الناشر لـ: (معجم الألمانية المعاصرة Wörterbuch der deutschen Gegenwartss prache) ج١/ برلين ١٩٦١/ ١٩٦٤م، وبخاصة مقدمة هذا المعجم/ كما ينظر Ruth Klappenbach في: (تصنيف مفردات الألمانية المعاصرة Gliederung des deutschen Wortschatzes der Gegenwart) في مجلة تعليم اللغة الألمانية المجلد ١٢/ ١٩٦٠م، الدفتر ٥/ ص ٢٩ – ٤٥/ كما وينظر معجم Duden الكبير المجلد السادس (المعجم الأسلوبي لألفاظ اللغة الألمانية Stilwörterbuch der deutschen Sprache) مانهايم ٦/ ١٩٧١م، ص XI.

رفيع	رفيع
لغة عادية	لغة ثقافية
	لغة رسمية
	لغة الوثائق
لغة التعامل	لغة عائلية
لغة عامية – مهملة	لغة التعامل
لغة عامية مبتذلة Vulgaer	لغة خليطة – خشنة dreb

هذه التقسيمات التنظيمية المجردة شأنها شأن التداخلات والتحويلات غير الثابتة لا تفي التراكيب الرفيعة في اللغة حقها، وتصعب إجراء تصنيف عملي دقيق، فضلاً عن ظهور مشاكل خاصة، فلا يكتفي مثلاً بإسناد الألفاظ دائماً إلى طبقة أسلوبية معينة؛ لأن قيمتها الأسلوبية الحقيقية هي وليدة ترابط النص فقط، فكلمة (Lenz) في اللغة الألمانية فيها إشارة شعرية لكلمة (ربيع Fruehling)...، إلا أنها تأتي على ألسنة العامة في القول السائر: «جرَّ ربيعاً غضاً، أي عاش شباباً غير جيد».

وعلى الرغم من أن النماذج المقدمة ليست أكثر من بنى وتراكيب نظرية، إلا أن الغاية منها هي إعادة تصوير التراكيب الأسلوبية الثابتة في لغتنا عملياً، وذلك بالسؤال عن كيفية تحقق هذه الأنواع من التقسيمات الطبقية للأسلوب؛ ولشرح هذه المسألة ينصح باختزال الطبقية (Stratifikation) الأسلوبية المتشعبة جداً إلى نموذج ثلاثي، والإقرار بثبات (Konstanz) مكوناته ومبدئيتها :(Elementaritaet)

٣ - أسلوب اللغة الشعرية

أ - كالأسلوب الشعري الرفيع (مستوى تعبيري).

ب - أسلوب اللغة العادية أو أسلوب اللغة الفصيحة[١] كطبقة متوسطة من اللغة المميزة جداً من حيث الموضوع (وقد يدخل تحتها أيضاً الأساليب الوظيفية للتواصل العام، وللعلم والإعلان والإعلام).

جـ - أسلوب اللغة اليومية، مع أخذ تأثير العناصر العامية والمبتذلة في الحسبان.

ومن الممكن تباين الآراء في تفاصيل تعريف هذه الطبقات الأسلوبية الثلاث وتحديدها، وتحديد أسسها الأسلوبية واللغوية[٢] ، إلا أن المؤكد فيها قياساً على البيانين ١ و ٢ هو مراعاة هذه الآراء للمواقف الجوهرية، التي جاءت مميزة في النماذج أو مازالت تحتاج إلى تمييز:

- ليس هناك وصف منظم لطبقات الأسلوب بل هناك تدريج ظاهر.

- تتأسس هذه النماذج على فكرة واضحة بتصور الأسلوب من (أسفل) و (أعلى).

- تأكيد الطبقات الأسلوبية الرئيسة الثلاث، التي يمكن أن تصنف طبقة دنيا - ووسطى - وعليا بناءً على المبدأين السابقين.

(١) أخذاً بالنموذج الأنجلو ساكسوني وبما جاء لدى البنيويين التشيك استعمل مصطلح (اللغة الفصيحة) في (نصوص من الألمانية الفصيحة المنطوقة Texte gesprochener deutscher Standardsprache) في المجلد الأول المطبوع في ميونيخ ودوسيلدروف ١٩٧١م، ولهذا المصطلح الآن تعريف آخر في: (محاضرات مبثوثة بالإذاعة - حول اللغة) الجزء الثاني ص ٢٤٦، ٣١٣

(٢) ينظر Chr. Agricola: في (اللغة الألمانية Die deutsche Sprache) م٢/ ص ١٠٥٠

ويرى بعضهم أن كون الموقع المميز للغة الشعرية، وللأسلوب الشعري معروفاً بما فيه الكفاية، سيمكن من التركيز على الطبقة اللغوية الأسلوبية الدنيا والوسطى، وتوجيه الاهتمام إلى نموذج اللسانيات الاجتماعية الطبقي للنظام المقيد (restringiertes system) والنظام الحر (elaboriertes system).

ثانياً - الطبقة الأسلوبية والطبقة الاجتماعية / التقسيم الأسلوبي

لابد هنا من الانطلاق من حقيقة وجود جذور الأسلوب في كل عملية ترميز لغوية، تهدف إلى نقل معلومة إلى طرف ثان؛ لأن الشيء المهم الذي يتم في التواصل بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة بوساطة تلك الرموز اللغوية هو الانتقاء مما في النظام اللغوي المعمول به من إشارات ومعايير حسب الحاجة.

وحين تراعى ظروف الاتصال ويؤخذ النظام اللغوي بإشاراته ومعاييره في الحسبان، يستطيع المتصل أن يتصرف بحرية؛ لأنه العنصر المهيمن والفاعل الحقيقي في عملية البناء الأسلوبي من ناحية - وفي هذا تفسير جديد لما قاله اللغوي الفرنسي بوفون في هذا المجال -، ولأن القيمة اللغوية الاجتماعية لمفهوم الأسلوب تصبح أمراً مسلماً به من ناحية ثانية.

ليس من العادي أن يطالب الفرد في الجماعة اللغوية الواحدة بإتقان مستويات الأسلوب وطبقاته جميعها بوصفها أداة لغوية طيعة بين يديه، وبالقدرة على اختيار الاستعمال العملي والمناسب للبدائل المناسبة المختلفة من حالة إلى أخرى، إنما العادي هو التزام كثير من الناس بنموذج أسلوبي معروف في وسطهم، وثباتهم عليه من غير ارتباط بإحدى الطبقات الأسلوبية.

وهذا التحديد النسبي للغة راجع إلى العامل الاجتماعي الذي يتضمن جملة من العوامل الفرعية كالأصل - والوسط - والتربية - والثقافة - والمهنة...،

ودراسة الطبقات اللغوية في إطار علم اللغة الاجتماعي، ودراسة الطبقات الأسلوبية، يلتقيان في هذه النقطة عموماً: ولكن السؤال المهم هنا هل هما مترادفان ولو نسبياً؟

وانطلاقاً من العلاقات الطبيعية بين الوضع الاجتماعي Sozialstatus والتركيب السلوكي العام والسلوك اللغوي، فقد اكتشف العالم الإنجليزي باسيل بيرن شتاين نظرية الأشكال الطبقية للسلوك اللغوي التي لقيت رواجاً كبيراً ليس في بريطانيا وحدها بل في ألمانيا أيضاً[1]، وفي هذه النظرية استطاع صاحبها أن يرصد في الإنجليزية ضربين مختلفين من الأسلوب الكلامي ربطهما بطبقة اجتماعية محددة، للعلاقة الوثيقة التي لاحظها بينهما وبين نوع الطبقة الاجتماعية المستعملة لكل نوع منهما، ولم يلبث أن ألحق صنفي السلوك الكلامي المشار إليهما بتصنيف اجتماعي عام قسمه إلى طبقتين هما:

- الطبقة المتوسطة middle class.
- والطبقة العاملة working.

ثم أطلق على كل تصنيف منهما اسماً خاصاً به، لتمييزهما بدقة، والإشارة

(١) فيما يخص الآتي ينظر بشكل خاص الكتاب الجامع لأعمال بيرنشتاين: (دراسات في الظاهرة الاجتماعية للغة Studien der Sprachlichen Sozialisation) دوسيلدروف ١٩٧٢م، (وفي هذا الكتاب كشف ببقية الكتابات التي تناولت هذا الجانب) وينظر بالإضافة إلى هذا N. Dittmar - W. Klein: (نظرية الشيفرة لدى باسيل بيرنشتاين Die Codentheorie Basil Bernsteins) وذلك في: (اتجاهات اللسانيات الاجتماعية Aspekte der Soziolinguistik) للناشرين Klein - Wunderlich ص ١٥ - ٣٥ فضلاً عن ضرورة النظر في الأعمال الأخرى الموجودة في (اتجاهات) لكل من Oevermann و Niepold و Hager - Haberland - Paris وغيرهم.

إليهما بوضوح، والتمكن من اتخاذهما نموذجين للاسترشاد في الأعمال القابلة ذات الطابع التصنيفي، والجدير بالذكر أن تسمية أسلوبي كلام الطبقات بالنظام المحدود (المحصور) من جهة، وبالنظام المقيد (العام) من جهة أخرى، قد أكسبهما شهرة نسبية على الرغم مما حولهما من خلاف كبير[١] ، ومن أمثلة أثر هذه التسمية استعمال بيرنشتاين مصطلح أنظمة الكلام أو شيفراته، Speech - codes، للإشارة إلى هذه الأشكال من أساليب الأداء اللغوي، ومن أمثلته أيضاً انتقاء (H. Hoser) لمصطلح بيرنشتاين والحديث عنه حين قال: «بأن النظام Code لم يستعمل بالمفهوم اللساني بل بالمفهوم الأسلوبي، ولأن بمقدور المرء استعمال مصطلح – كلام – بدلاً من مصطلح – نظام –، وأما فيما يخص اللغة الألمانية، فقد اقترح الكلام على أسلوب كلامي بسيط وواسع الانتشار Redestil/ Redeweise»[٢] .

واللافت هنا أن الخصائص اللغوية التي وصف بيرنشتاين بها النظامين المذكورين تبدو على مستوى واحد من الإشكالية؛ لأن أي مقابلة بين النظامين توضح جملة من الأمور، من أبرزها أن النظام العام المعتنى به (elaborated code) يكشف عن:

– ذخيرة مفردات غنية وبخاصة تلك القوية والجزلة، وتلك التي لها اتصال بالثقافات الأخرى.

---

(١) ينظر هنا ما جاء لدى: M. Coulthard (نقاش حول مفاهيم النظام المحدود والنظام العام Eine Diskussion der Begriffe restrigierter und elaborierter Kode) في (اتجاهات اللسانيات الاجتماعية) ص ٧٧ – ٩١

(٢) ينظر: H. Moser (الحواجز اللغوية بوصفها مشكلة لغوية واجتماعية Sprachbarrieren als linguistisches und soziales Problem) في (اللغة والمجتمع Sprache und Gegellschaft) (للناشرة Annamaria Ruktaschel) ميونيخ ١٩٧٢م، ص ١٩٥ – ٢٢٢ وهنا ص ٢٠٢

- بنى جملية معقدة وصعبة.

- تنوعاً كبيراً في تراكيب الجمل واستعمال المفردات.

- استعمالاً ضحلاً للعبارات الجاهزة (الاستعمال الأقل).

وبالمقابل تكشف لغة النظام المقيد أو المحصور (restricted code) عن جملة من الخصائص من أبرزها:

- خبرة مفردات أقل فاعلية.

- الترابط الغالب على الكلمات هو الترابط على المستوى التجاوري الأفقي (syntagmatisch).

- بنى جملية قصيرة وبسيطة نحوياً وناقصة في الغالب، وفي صيغة المبني للمعلوم على الأكثر.

- الاستعمال المتكرر للمفردات نفسها وتكرار الهياكل الجميلة نفسها.

- الاستعمال الغالب للعبارات الجاهزة وللأمثال المتداولة التي غالباً ما تأتي لتفسر جملاً أخرى.

وهذا العرض الذي أظهر الفرق الواضح في الاستعمال الأسلوبي بين النظامين اللذين توقف عندهما بيرنشتاين، مكنه من التوصل إلى نموذجين من نماذج بناء الكلام، سماهما في أعماله القديمة باسمين لهما مدلولان اجتماعيان هما (لغة رسمية formal language) و (لغة شعبية public language) كما مكنه من أن يستنتج ارتباط هذين الأسلوبين الكلاميين كل الارتباط بطرق ملاحظة مناسبة، تستند إلى نموذج بنيوي أو نموذج دلالي.

وبناء على هذه التوضيحات يلاحظ تميز النظام المعتنى به (elaborated code) بمساحة كبيرة من القدرة على اختيار العناصر اللغوية، وتميز النظام

المقيد (restricted code) بالأخذ بالصياغة المسبقة من حيث توجهه في أثناء عملية الاختيار وبشكل كبير إلى النماذج الثابتة والعبارات الجاهزة المعدة مسبقاً[١] ، وهذا ما يمكن من التنبؤ الكبير (Prodictability) بالمستويين المعجمي والنحوي للنظام المقيد (restrinrierter Kode) مع ملاحظة أن هذه الإمكانية مبنية على مبدأ التكرار المتوقع لبعض العناصر المتشابهة، أو المتماثلة، ولهذا فإن اختيار متكلمي النظام المقيد عدداً محدوداً من الوحدات المعجمية، والقواعد النحوية مما لديهم من رصيد لغوي، واستعمالهم لهذا العدد البسيط الذي اختاروه استعمالاً متكرراً يسلط الضوء على الموضوع المطروح هنا، ويكشف عن حقيقته[٢] ، فضلاً عن ملاحظة ما للموقف السياقي من دور مميز في هذا النظام.

لقد أثبت بيرنشتاين أن البناء الدلالي في مقتضى كلامي واحد، يأخذ أشكالاً مختلفة لدى المتكلمين من مستويات اجتماعية مختلفة، فالمتكلمون الذين هم من النظام المعتنى به يتكلمون بدلالة واضحة، ومجردة من غير حاجة إلى الارتباط بسياق ما، وبالمقابل يستعمل متكلمو النظام المقيد كلاماً بدلالة غامضة على الرغم من ارتباط كلامهم الوثيق بسياق أو ظرف كلامي محدد ومعروف، ولهذا فقد لاحظ أن إدخال الموقف (Situation) في باب الاستعمال اللغوي الأسلوبي، يكشف عن حقيقة الاعتماد على تعابير غير لغوية وغير منطقية بالإضافة إلى استعمال الإشارات المعروفة والمهمة بالنسبة

(١) ينظر: Hager-Haberland-Paris: (علم الاجتماع واللسانيات Soziologie und Linguistik) ص ٥٨، وينظر D. Wunderlich (تعليم اللغة الألمانية) م٢٢/ ١٩٧٠م، ص ٣١، كما ينظر W. Niepold: (اللغة والطبقة الاجتماعية Sprache Soziale Schicht) ص ١٢.

(٢) ينظر: N. Dittmar - W. Klein: (نظرية الشيفرة لدى باسيل بيرنشتاين Die Codentheorie Basil Bernsteins) ص ٢٦

إلى اللغة المنطوقة، فاستوقفته هذه الطرق المختلفة التي تؤدي فيها البنية الاجتماعية للطبقة المعنية دوراً واضحاً في رسم استراتيجيات التخطيط اللغوي، فسماها في كتاباته اللاحقة بالاستراتيجيات العامة universalistisch أو الخاصة partikularisch.

وهنا نسأل وما الفائدة التي يجنيها الدارس الأسلوبي من نظرية بيرنشتاين الثابتة في جوهرها، على الرغم من كل الاختلافات والتعديلات والتخطيطات التي قام بها مريدوه[(١)] ؟

فالأسلوب بوصفه اختياراً من الإمكانيات اللغوية لا يخضع من الناحية الظاهرية للقيود التي تنشأ عن معايير النظام اللغوي فقط، بل إنه يخضع للقيود الضرورية اجتماعياً أيضاً حتى يكون هناك نوع من المطابقة الأسلوبية (Stratifikation) مع الطبقة المعنية؛ ويتضح هذا في استراتيجية التخطيط اللغوي التابعة لعملية الترميز اللغوية التي تشكل الأسلوب أو تصوغه، فتؤخذ الأنظمة اللغوية التي تخص الطبقات الاجتماعية هنا في الحسبان؛ لأن الوسائل الموجودة أو التي يمكن أن توجد، هي المنطلق الدائم للتخطيط.

هذا وإن تدريج الأسلوب في طبقات يبدو مبنياً بناءً تراتبياً؛ لأن المتكلمين جميعاً يستطيعون بناء على شروح بيرنشتاين من استعمال النظام المقيد، بالقدر الذي يكون فيه النظام المدروس والمعتنى به محافظاً عليه[(٢)] ، إلى حد يستنتج

---

(١) ينظر H. Buhler في (محاضرة إذاعية عن اللغة) ج٢/ ص ٢٣٠

(٢) ينظر :B. Bernstein (دراسات في الظاهرة الاجتماعية للغة Studien der sprachlichen Sozialisation) دوسيلدروف ١٩٧٢م، ص ١٤٥، كما ينظر للمؤلف نفسه (النظامان المقيد والعام وأصلهما الاجتماعي وبعض آثارهما Elaborierte und restringierte Codes, ihre Herkunft und einige Auswirkungen) في الكتاب الجامع لأعمال المؤلف (التركيب الاجتماعي، والتكيف الاجتماعي والسلوك اللغوي Soziale Struktur, Sozialisation und Sprachverhalten) ص ١٠٩

فيه بأن الأسلوب العام - مع إغفال عناصر اللغة الخاصة - يتضمن جميع الطبقات الأسلوبية المتظمة فيه، إلا أن العكس لا يصح؛ فمتكلم من الطبقة المتعلمة والمثقفة مثلاً، يستطيع أن يستعمل في سياق كلامي محدد أسلوباً كلامياً قد يقيم بأنه أسلوب من مستوى متدنٍ، إلا أن عكس الآية غير ممكن من حيث استعمال فرد من النظام المتدني وسائل لغوية من النظام الرفيع؛ لأنه لا يحسن السيطرة على هذه الوسائل، أو لأن موقفه منها سلبي لعدم حيازته عليها.

ومن المهم أن يشار هنا وعلى حد سواء إلى المعالم الغامضة لتنميطات النظام، وإلى الغامض في أشكال الطبقات الاجتماعية التي ليس لها أكثر من قيمة التصميمات النظرية خارج نطاق الوضوح المفهوم[١] ، ولهذا لم يسمح في سياق كلامنا هذا إلا للنتيجة المتميزة بأن الأسلوب يعرض بنية مقسمة تراتبياً ومعرَّفة جزئياً بعوامل اجتماعية.

ثالثاً - نموذج الطبقات الأسلوبية المبني على أساس علم اللغة الاجتماعي

لم يسلم نموذج الطبقات هذا من النقد لتقليله من منزلة النظام العددي[٢] ؛ لأن الاختيار الذي يقوم به الراوي من النظام اللغوي الموجود بين يديه لا

---

(١) ينظر S. Kanngieber: (ملاحظات حول اللسانيات الاجتماعية Bemerkungen zur Soziolinguistik) حيث يشير فيها إلى الحلقة المنهجية المفرغة (في تعريف مفهوم النظام عبر مفهوم الطبقة وتعريف مفهوم الطبقة عبر مفهوم النظام) ص ٨٩

(٢) ينظر N. Dittmar في: (علم اللغة الاجتماعي) ص ١١٦، وكذلك في: (اتجاهات علم اللغة الاجتماعي) ص ٩٢، وينظر هنا المقولة الشائعة: (الفرضية الناقصة Defizit - Hypothese) أو تسمية ف. لابوف لها بـ (نظرية التحقير اللغوي أو (الاستهانة اللغوية Theorie der verbalen Deprivierung).

يجوز – على الرغم من الاختيار غير الموفق الذي فيه – أن يعني الشيء نفسه لدى الانطلاق من فكرة الإنجاز الاتصالي المتخذة مقياساً، فهناك اختيار تمليه طبيعة النظام، وآخر تمليه طبيعة الاتصال، وهذا ما تقوم عليه «فكرة التباين اللغوي التي تستند إلى أساس لغوي حسن، وتجد أن التنوعات اللغوية الاجتماعية هي تنوعات في اللغة الفصحى العامة وتنوعات في اللهجات الإقليمية، وترى أنها ليست بذات طبيعة معرفية (cognitif) لتطابق إمكانيات التعبير فيها وظيفياً.

فالفروق اللغوية المقرونة بظرف اجتماعي سببها إذن هذا التباين اللغوي، ودراسة اللغة في مثل هذه الحالات هدفها البحث عن هذه الفروق تحليلاً ووصفاً اعتماداً على (التنوع اللغوي Sprachvariation) بوصفه أساساً محايداً ودراسة اللغة دراسة عملية في سياقها الاجتماعي[١] .

ولهذا فإن التقويم الذي يراد الاحتفاظ به يستبعد كل مفهوم يدخل ضمن إشكالات النظام العادي، وذلك لتنشيط ذخيرة المفردات ولو جزئياً، ولاستعمال التراكيب الجملية الأبسط والأكثر تتابعاً في علاقة اقترانية (Assoziative Verknupfung)، وليكون المقام أو الموقف الكلامي أكثر شمولية، وذلك بـ: اختيار العناصر المعجمية في النظام اللغوي واختيار قواعد بنائها النحوي حسب حاجة المتحدث للتواصل في موقف كلامي حقيقي.

وكثيراً ما يكون للثروة اللفظية لدى فئات اجتماعية معينة في المجتمع خصائص محددة تبرز عائدية تلك الثروة إلى تلك الفئة، وتميزها من غيرها،

(١) ينظر: W. Labov (دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي The Study of Language in its context) ضمن سلسلة الدراسات العامة سلسلة ٢٣/ ١٩٧٠م، ص ٣٠ – ٨٧، وقد ترجم هذا العمل إلى الألمانية في (اتجاهات علم اللغة الاجتماعي) ص ١٢٣ – ٢٠٦

كما في حال إلحاق ألفاظ محددة بـ (لغة الحرفة Jargon) أو اللغة العامية أو (لغة طبقة اجتماعية slang) على الرغم من قدرة هذه المفردات على التداول وتيسير التواصل في الفئة نفسها؛ قدرة لا تقل شأناً عن تلك التي تلاحظ بين مفردات لغتنا العادية، إن لم تكن تفوقها، وهذا ما ينسحب إجمالاً وعلى نحو نسبي على الاستعمال اللفظي للنظام المقيد.

هذا بخصوص المفردات أما التراكيب النحوية، فالأمر فيها مختلف، والنظرة السابقة وحيدة الجانب؛ لأن درجة تعقيد الجملة أو بساطتها ناتجة عن:

- «الإرداف paratax: ومعناه وضع جمل إلى جوار بعضها من دون أي أداة ربط بينها».

- و «الإتباع Hypotax ومعناه الإتباع الواضح بين جملتين بوساطة أداة ربط».

ومما ينبغي ألا ينسى في هذا الباب أن كثرة التراكيب الجملية الإتباعية في نظام اللغة الرفيعة - الثابتة تجريبياً وعملياً - عائدة معيارياً إلى الاستعمال المميز لروابط اللغة الفصحى الرابطة بين الجمل المتجاورة، وأن سيادة البناء الإردافي للجمل في نظام اللغة العادية، راجع إلى كون هذه الجمل تستعين بألفاظ الحشو (Fullwoter) مثل نعم، إذن، حسن، مؤكد، بلى... هي أداة التعبير عن الحالات المتماثلة دلالياً ومنطقياً[١] ، هذا مع الإشارة إلى أن

(١) ينظر: Hager - Haberland - Paris (علم الاجتماع واللسانيات) ص ١٣٠، وينظر G. Schulz: (شمولية الجملة، أساس لساني مشكوك فيه Satzkomplexitat, Ein zweifelhftes linguistisches Kriterium) جدل حول الألمانية، السلسلة ٢/ ١٩٧١م، ص ٢٧ - ٣٦، كما ينظر Schulz أيضاً (عن النحو الضعيف في النظام المحدد Über die durftige Syntax im restringrieten Kode) في (مجلة علم الأدب واللسانيات) ٢/ ١٩٧٢م، المسألة ٥، ص ٩٧ - ١١٦.

الأدوات المساعدة هذه تؤدي في البنية اللغوية العميقة الوظيفة نفسها التي تؤديها روابط الإتباع (Subordinierende Konjuktionen).

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت الخصائص المميزة لنظام اللغة العادية، وأشارت إلى ما في هذا النظام من قدرة توافقية تضامنية[١] نتائجها ناقصة وبحاجة إلى مراجعة دقيقة لتلك الخصائص ودراسة ما لم يدرس منها، و «كشف المجالات التي يتساوى الاستعمال اللغوي العادي فيها مع الرفيع أو يتفوق عليه»[٢] .

قد يكون هذا الحكم موجهاً إلى القياس باللهجات (العامية المبتذلة Platt) التي ما زالت مستعملة في الحديث، ومرتبطة في الغالب بأوساط اجتماعية محددة، ومقابلة بازدراء كبير، والمؤكد أن اللهجات من الناحية الجوهرية أكثر قدرة على الأداء الاتصالي من اللغات الفصحى، في المقتضيات التي ترد فيها تلك اللهجات أو العاميات، وبخاصة في الحالات التي يتكلم فيها متحدثو اللغة العامية باللغة الفصحى.

صحيح أن ما ذكر لا يتعدى حدود المقارنة، إلا أنها مقارنة مفيدة وبخاصة حين ينظر إليها من الزاوية التي اعتبر فيها ف. فينتر الأساليب «أنماطاً خاصة من اللهجات الاجتماعية»[٣] ، ومفيد جداً أن يلاحظ هنا أن معظم خصائص

(١) ينظر مثلاً الدراسة اللافتة لـ: R. Brown - A. Gilman (ضمائر السلطة والتضامن The Pronouns of Power and Solidarity) وذلك في (الأسلوب واللغة) ص ٢٥٣ – ٢٧٦

(٢) ينظر في المقدمة التي كتبها H. M. Heinrich في كتاب: (اللغة والطبقة الاجتماعية Sprache und soziale Schicht) لـ W. Niepold، ص ٧

(٣) ينظر: W. Winter (الأساليب كاللهجات Styles as Dialects) في (الإحصاء والأسلوب Statistics and Style) ص ٣، كما ينظر (الأسلوب مشكلة لغوية) ص ٢٢٤

النظام العادي مرتبطة بمعايير اللغة المنطوقة، وأن هذا النظام يكتسب قيمة تلازمه إذا ما قيس بمعايير اللغة الفصحى ومعايير لغة الكتابة.

ولدى مقارنة نظام اللغة الرفيعة بنظام اللغة العادية يمكن عد الأول شكلاً لغوياً متطوراً جداً قياساً على معايير لغة الكتابة، ولا يمكن عده مقياساً تقويمياً؛ لأن المقياس الحقيقي هو القدرة اللغوية الأدائية من حيث القدرة على نقل الأفكار بلغة يتم التواصل بها مع أفراد المجتمع على اختلاف فئاتهم؛ وبما أن الحاجة اللغوية في التواصل بين فئات المجتمع متعددة ومتنوعة حسب البناء الاجتماعي والثقافي للفئة المعنية، فقد تولدت الحاجة إلى نظام لغوي موحد فيه دائل لغوية لا ترتبط بالفئات، مع ملاحظة ألا تكون هذه البدائل حرة بل ملزمة بمعايير محددة تخص الفئات التي ترجع إليها[1] .

ولهذا فقد عدَّ H. Bausinger القبول أو الاستحسان (Akzeptabilität) لا الفهم أساساً فيصلاً في لغات الفئات مستنداً في مبدئه هذا إلى الاستحسان في الفئة وليس إلى السلامة فيقول: «لا يؤخذ بالقبول مبدأ؛ لأنه يستند إلى الصحة اللغوية أو الفكرية، وإنما يؤخذ به لأنه أساس محدد اجتماعياً»[2] .

والثابت هنا أن أنظمة لغات الفئات تعتمد على مستند اجتماعي وتتحقق بأسس انتقاء مختلفة، وبما أن الانتقاء مما في نظام الرموز والقواعد اللغوية هو انتقاء لغوي وأسلوبي في آن واحد، فمن المفيد أن يكون الكلام هنا على (أساليب الفئات)؛ لأن الخصائص الأسلوبية المتعلقة بأسلوب فئة محددة مرتبطة بهذه الفئة وبزمان معين، ولا يجوز أن تفصل عن أسلوب الفرد؛ لأنها

(١) ينظر (Steger): (اللسانيات الاجتماعية) ص ٢٣ و ٣٢

(٢) ينظر :H. Bausinger (البنية البديلة واللغة Substrukur und Sprache) في (اللغة والمجتمع) من ص ٤٥ – ٦٢، والمعني هنا ص ٥٤

تدون في (أسلوبه) بوصفها مكونات عامة (Kollektive Komponente)؛ ولأن العائدية الاجتماعية الخاصة إلى فئة محددة مرتبطة كل الارتباط بالوضع الاجتماعي للشخص الفرد.

وأساليب الفئات هذه لها طبقيتها (stratifikation) التي تضعنا من جديد أمام مشكلة القيمة؛ لأن النماذج الطبقية جميعها فيها عيب جلي، هو أنها لا تفترض سوى معالم غامضة عند مطالبتها بالصلاحية العامة (إذ ماذا تعني مصطلحات من مثل الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا؟)؛ لأن هذه الصلاحية التي تطالب بها لا تكاد تتجاوز محيطاً اجتماعياً مدروساً دراسة مميزة، هذا مع ملاحظة أن الأصناف الاقتصادية - الاجتماعية الخمسة التي وضعها لابوف مثلاً، مستندة إلى التقسيم الطبقي الاجتماعي لمنطقة مدروسة أو لحي من أحياء نيويورك[١] .

وأما بالنسبة إلى الوضع في ألمانيا فقد وضع E. K. Scheuch معياراً اجتماعياً اتخذ لدى غيره وعند كثيرين أساساً تقويمياً على الرغم من تقادم الزمن عليه[٢] ، ودراسة لابوف تبدو لافتة منهجياً؛ لأنها ربطت بين الطبقات الاجتماعية، وبين أسلوب السياق على مستويات أسلوبية مختلفة، أثبتت نفسها في الواقع، على أنها بنيات عملية للتحليل الهادف للنطق مثل: أسلوب

(١) ويضاف إلى هذا الاعتماد المنهجي على مسألة العلاقات الخاصة بين الإنجليزية الفصحى ولغة السود غير الفصحى.

(٢) ينظر :E. K. Scheuch (الاعتبار الاجتماعي والقطاع الاجتماعي Sozialprestige und Soziale schichtung في (القطاع الاجتماعي والتنوع الاجتماعي (soziale Schichtung und soziale Variabilität) نشر، D. V. Glass- R. Konig في كولونيا - أوبلادين ١٩٦١م، ص ٦٥ - ١٠٣، كما وينظر :U. oevermann (اللغة والأصل الاجتماعي Sprache und soziale Herkunft) ص ١١١. وينظر أيضاً Hager- Haberland (علم الاجتماعي واللسانيات) ص ١٣٩

الكلام العفوي causal speech (غير الرسمي) وأسلوب الكلام المتقي careful speech (الدقيق).

فالأسلوب بمعناه الأساسي هنا مساوٍ لأسلوب الكلام، ويعرف في معظم الكتابات الأنجلو - ساكسونية هكذا، وهذا تعريف مهم؛ لأنه أدخل المستويات الصوتية - والصوتية التركيبية في الدراسة إلى جانب المستويات التركيبية والمعجمية التي كانت هي الوحيدة التي كانت تراعى حتى ظهور هذا الاتجاه، هذا والأسلوب الكلامي المميز للطبقة ملحوظ في ظواهر نطقية محددة أيضاً، كملاحظة عائدية اللغة إلى بنية محددة من خلال ظواهر لفظية وصوتية.

وما يزيد الأمر وضوحاً هنا ملاحظة ما يسمى بالصيغ المحترمة Prestige - Formen (ذات المقام)؛ أو ملاحظة أن المبالغة في نطق أصوات معينة نطقاً صحيحاً، يكسب هذه الصيغة النطقية الصحيحة قيمة اجتماعية عالية، وبالإمكان هنا الإشارة إلى ظواهر تتطابق مع الألمانية كما هو الشأن في مقابلة (Opposition) الصائت الطويل /- e/ في الفصحى بالصائت /-a/ الواسع الانتشار في العامية؛ لأن الصائت /-a/ هو الوحيد المستعمل في النطق في مناطق ألمانية معينة؛ ولأن النطق به هكذا هو الأعرق والأكثر أصالة[1] .

وعلى الرغم من أن اقتصار الموضوع في هذا السياق على جزئيات صوتية تركيبية Phonologische، إلا أن المتفق عليه فيه هو إمكانية تعميم هذه النظرة المنهجية الجامعة للتقسيم الطبقي للمجتمع والتقسيم الطبقي للأسلوب؛ ولهذا يفترض إجراء تغيير جوهري في نموذج الطبقات الأسلوبية السائدة من حيث

---

(١) ينظر W. Sanders: الصوت / a / في الألمانية الفصحى هل هو (Ghosphonem) أم ظاهرة صوتية؟ في مجلة (علم اللهجة واللسانيات) ٣٩/ ١٩٧٢م، ص ٢٨

إعادة صياغتها بالنظر إلى الارتباط الاجتماعي للأساليب، مع ضرورة الانتباه لدى الأخذ بهذا التوجه إلى أنه لم يعد ولأسباب كثيرة بالإمكان الأخذ بمصطلحات معينة مثل اللغة السوقية vulgaer واللغة العامية umgangsprache واللغة الرفيعة:

- لأن التعابير المغرقة في السوقية (التعابير المبتذلة) وألفاظ الشتم والألفاظ الفاحشة Obzonitaten ليست مميزة للطبقات.

- ولأن ما هو عامي راجع أصلاً إلى سياق اصطلاحي آخر مثل الفصحى - العامية - اللهجة.

- ولأن ما هو عائد إلى اللغة الثقافية (مثل لغة المؤسسات، واللغة الورقية..) تابع للجانب الوظيفي الذي يعرض سمة خاصة من سمات الأسلوب.

وعليه فإن نموذج الطبقات الأسلوبية الذي يراعي التقسيم الطبقي الاجتماعي قد يأخذ الشكل الآتي:

١ - الأسلوب البسيط einfacher Stil: هو الأسلوب التابع اجتماعياً إلى طبقة دنيا، المتسم بمزايا وخصائص لغوية محددة، كتلك التي تنسب إلى النظام اللغوي المتدني.

٢ - أسلوب اللغة العادية السائد: وهو أسلوب الطبقة الاجتماعية الوسطى في المجتمع، ويتوازى لغوياً مع نظام اللغة الرفيعة، ويمكن أن يدخل ضمن سلسلة الأساليب الوظيفية أيضاً.

٣ - الأسلوب الرفيع المتقى: وهو الأسلوب الذي يتضمن مسائل أسلوبية متنوعة، ويأتي تعبيراً عن موقف كلامي، ولا يسند إلى الطبقة العليا من الناحية الاجتماعية، ويصعب تحديده بدقة مقابل الأسلوب الشعري؛

ولهذا فإن وجود تعابير عامة صعبة في أسلوبها وترقى في مستواها على المستوى العادي، من غير أن يكون لها خصائص شعرية كـ (الأدب المسلي الرفيع - والمقال العلمي - والكلام الرسمي) - يستوجب وضع طبقة أسلوبية خاصة بتلك التعابير هي (الأسلوب الرفيع المنتقى).

٤ - الأسلوب الشعري: وهو أسلوب له موقع خاص:

- من حيث استحالة تحديده حسب المستوى الاجتماعي (بدءاً من شعر العمال وصولاً إلى شعر القياصرة والملوك وحتى شعر رجال الدولة).

- ومن حيث إمكانية انحرافه عن المعايير اللغوية (أي من حيث مخالفته للقواعد النحوية والأسلوبية).

والثابت أن هذا المفهوم المقترح ليس له أي قيمة تصنيفية فاصلة، إنما قيمته وصفية فقط، كالمعيار الذي يعد عموماً اطراداً مستمراً مع عدد كبير من احتمالات التداخل.

هكذا يشير لابوف إلى صعوبة «التفريق بين من يمثل المتكلم بلغة عفوية وبين (ميكانيكي) يتكلم بلغة منتقاة»[1] فمتكلمو الأسلوب البسيط بشكل عام - بغض النظر عن المواقف المرتبطة بالتداخل - لا يجدون سبيلاً إلى الطبقات الأسلوبية الرفيعة، على الرغم من أن ممثلي الأسلوب البسيط يمكنهم أن يجدوا بأنفسهم الطبقة الأسلوبية التي تبدو مناسبة لهم، وذلك حسب الدور المميز الذي يسند إليهم.

(١) ينظر W. Labov في (اتجاهات اللسانيات الاجتماعية) ص ١٧٨

رابعاً - الوضع والدور في المجال الأسلوبي

في مصطلحي (الدور) و (الحالة)[١] في اللغويات الاجتماعية بالمفهوم العام إشارة مباشرة إلى (منزلة) الشخص و (سلوكه) في التركيب الاجتماعي في المجتمع والفئات التي يتبعها، ولهما دور بارز في تميز الأسلوب، على الرغم مما حول مفهوم (الدور) من خلاف كبير في أيامنا هذه؛ فمنزلة أي متكلم في جماعته هي خلاصة عوامل نفسية - اجتماعية تحدد مواقفه الاجتماعية، وتصور حالته النفسية مثل: الجنس - والموطن الأصلي - والوسط - والموهبة - والذكاء - والبناء الثقافي - والمهنة - والمرتبة - والاهتمامات - والنظرة إلى الحياة.

والواضح هنا أن الأمر يتعلق ببعد ثابت أو ثابت نسبياً في مستواه الزمني، فيؤثر هذا البعد في الجانب اللغوي، بشكل تسهم فيه العوامل المذكورة المتخذة أسساً لوصف المعيار الاجتماعي - مساهمة جوهرية في تحديد دائرة الإمكانيات الأسلوبية، بحيث تلخص هذه المساهمة في معادلة بسيطة هي:

- حالة اجتماعية متدنية ---------------- > أسلوب بسيط.
- حالة اجتماعية رفيعة ---------------- > أسلوب معقد.

---

(١) وينظر في هذا الباب ما جاء لدى H. Steger من منظور لساني في (اللسانيات الاجتماعية) ص ١٧، كما ينظر H. Moser (الحواجز اللغوية بوصفها مشكلة لسانية واجتماعية Sprachbarrieren als linguistisches und soziales Problem) ص ١٩٩، وأخيراً ينظر Hager - Haberland - Paris: (علم الاجتماع واللسانيات) ص ١٥١، وبشكل عام ينظر Frigga Haug (نقد نظرية الدور Kritik der Rollentheorie) فرانكفورت ١٩٧٢م، والآن ينظر H. Steger و Eva Schutz (اقتراح لنموذج السلوك اللغوي Vorschlag fuer ein Sprachverhaltensmodell) في (محاضرات لسانية إذاعية - اللغة) الجزء الثاني ١٤٩

وصولاً إلى كل درجات التدرج الأسلوبي.

هذه المعادلة قاسية وغير منطقية لعدم صلاحيتها لإجراء التميز الدقيق بين الأساليب، ولعدم صلاحيتها لتوضيح الطريقة التي ينسب بها المتكلمون ذوو الأسلوب المعقد - أنفسهم إلى طبقة أسلوبية خاصة... وهذا يستطيع مفهوم (الدور) أن ينجز هذه المهمة؛ لأنه شكل نوعي لمفهوم آخر هو (الوضع/ الحالة).

فإذا كان الوضع الاجتماعي لأي متكلم قد حدد بشكل ثابت تقريباً، فإن الأدوار الاجتماعية للمتكلم نفسه تتغير باستمرار مثل: الأب هو تاجر، قاض، مريض.. وهذا ما جعل بيرنشتاين يستبدل بنموذجه الطبقي فيما بعد نموذجاً لأنظمة الأدوار العائلية المختلفة مقرونة بتركيبة اجتماعية خاصة.

إن تباين العلاقات الاجتماعية المنظمة في الأسر وفق أسس متباينة، كأن تكون شخصية فردية انعزالية أو اجتماعية، يؤدي إلى تباين صيغ الاتصال التي تتطلب صياغات دلالية خاصة أو عامة[1]، وهذا التعليل يدخل من جديد في التقسيم الثنائي القديم الذي اعتمد على نظرية الأدوار في تسويغه، والذي رأى أن المتحدث من الطبقة الدنيا لا يؤدي إلا أدواراً قليلة، على حين أن أمام المتحدث من الطبقة المتوسطة عدداً أكبر من هذه الأدوار منها مثلاً: التصرف الشخصي - الفرق بين الأدوار - تكامل الأدوار - استقلالية الدور ووضوحه[2].

إن علاقة النظام الكلامي بهذه الأدوار التي سبق صوغها حسب التركيب

(١) ينظر شتيغر في المصدر السابق ص ٩٨، ولمعرفة المزيد ينظر Dittmar - Klein (نظرية الأنظمة لدى باسيل بيرنشتاين) ص ٣٠

(٢) ينظر U. oevermann (اللغة والأصل الاجتماعي) ص ٢٨٨

الاجتماعي هي السبيل إلى الكشف عن النتائج اللغوية؛ لأن الاختلاف القائم أو غير الكامل يتناسب مع روتينية صيغ الاتصال اللغوية أو تنوعها، وسلوك الفرد في الدور المسند إليه هو الذي يصك ويشكل حاسم اختيار الطبقة الأسلوبية المتميزة، بارتباطها أسلوبياً بالوضع أو الحالة التي يعيشها المتكلم، هذا وفي الدور الذي ينشط فيه المتحدث سيستعمل أساليب كثيرة تكون الأشكال المتنوعة والمنظمة لأسلوبه حسب الدور الذي يؤديه، هذا مع العلم أن أدوار المرسل قابلة للتغير حسب الموقف الذي يكون فيه:

- فيتحدث على نحو مختلف كوالد مقابل ولد / كرئيس مقابل مرؤوس / كمريض مقابل طبيب (طبيعة العلاقة هنا: علاقة المتحدث بالمستمع).

- ويتحدث على نحو آخر في حديث عام / في حديث سري / في حديث مع الذات (علاقة متكلم مع السياق).

- ويتحدث بشكل آخر في مقال علمي / في وثيقة رسمية / في رسالة خاصة (علاقة المتحدث مع نوع النص)[١] .

ويتأثر المستوى الأسلوبي بناءً على هذه المعطيات بكثير من العوامل، فإذا جرى الاختيار وتم، كان المطلوب فيه هو (وحدة الأسلوب) التي تختبر بما يتوقعه ويترقبه المتلقي من المرسل، ولهذا فأي تغير في المجالات الأسلوبية المألوفة يعد مخالفة أسلوبية، وهذا ما يوضحه علم اللغة الاجتماعي الذي يرى أن أي تغير في المجال الأسلوبي هو مخالفة بحد ذاته:

أ - استعمال كلمة عامية مبتذلة في اللغة المكتوبة كما في:

---

(١) وكحالة خاصة عن هذا النوع الأخير يمكن عرض فكرة العلاقة بين الموضوع والمحمول: فإن شتم غاضباً، حكى نكتة ظريفة، وعلق على مصيبة.

«العسل، قطرة للذيلة، أحس بنشوة غريبة في شفته فشرب وشرب».

فالفعل (سكر) العامي، المستعمل في اللغة المبتذلة مناسب للسياق هنا، إلا أن اختيار هذا الفعل بالذات من الحقل اللفظي الواسع لكلمة (شرب) يمثل خطأ في الاختيار الأسلوبي، فالمتحدث شذ في أسلوبه، حين انتقل من مستوى أسلوبي رفيع إلى مستوى متدن[١].

ب - استعمال كلمات أجنبية في النص المحقق كتابة أو شفاهاً:

وعندها سأجلب للجمهور أشياء... وسأسمي الطفل باسمه!... وإذا كنت لا تريد شيئاً آخر، فسيكون هذا في النادي ...Tabula rosa[٢].

إن أبسط متكلم باللغة الألمانية التي كتب النص فيها يتصور نفسه هنا أمام مستوى عال من التكوين الثقافي؛ لأن المرسل يستعمل ألفاظاً لاتينية على الرغم من استعمالها غير الصحيح من حيث إدخالها في هذا السياق في غير مكانها المناسب، وبهذا مخالفة أسلوبية، والمخالفة هذه في الأصل تعني دائماً الشذوذ والخروج على الاستعمال الأسلوبي الراهن.

وفي هذا السياق لابد من التفريق وعلى نحو جوهري بين الازدهار الأسلوبي والمخالفة الأسلوبية، لأن الأسلوب المزدهر والرفيع يتضمن بنى لغوية خاصة

---

(١) كما هو الأمر في كثير من الكتابات العربية في الصحف، وبخاصة في الموضوعات الاجتماعية التي ترمي إلى تصوير الحالة بدقة، فيستعمل الكاتب أو الصحفي العبارات العامية في مستهل كلامه، واضعاً إياها بين هلالين، وفي هذا دقة في التصوير، من منظور علم اللغة الاجتماعي، إلا أن فيه نقلة نوعية في المستوى الأسلوبي من المستوى الرفيع إلى المستوى المتدني.

(٢) حسب ما جاء لدى J. W. von Manger: (الإنسان) (Bleibense Mensch ميونيخ ط٧/ ١٩٧٢م، ص ٥٦

قد تأتي فيها الألفاظ غير متوافقة في الأصل، وذلك لاستعمال وحدات معجمية مع أخرى لا ترد معها في الأصل بغرض التأثير في المتلقي على سبيل النكتة أو الدعابة أو النقد كما في:

جـ - سن الزمن الذي زرف دموعاً سينبت عشباً على هذا الجرح(١) .

إن انتقاد المستويات الأسلوبية ودراستها من منظور جديد مسألة ما زالت مفتوحة؛ لأن نظرية الاتصال عرفتنا إلى الآن أن النظام اللغوي المشترك بين المتكلم والمستمع من أهم شروط تحقيق الاتصال، وإذا كان الحديث عن الأنظمة الأصلية والأنظمة الفرعية في صيغة الجمع قد تقدم، فمن المهم جداً التساؤل: إلى أي حد كان التواصل الفاعل بين الطرفين مراعى في هذه الأنظمة؟ فالأنظمة اللغوية المتداولة بين الفئات البشرية في اللغة الألمانية ليست متوافقة إلا نسبياً، ولذلك يصاغ هذا السؤال بشكل آخر هو: إلى أي درجة يكفي هذا التوافق لتحقيق مستوى من التواصل بين فردين في الجماعة الواحدة.

والفروق اللغوية التي بين طرفي الاتصال تؤدي في النهاية إلى التنافس بين المتكلمين في أنظمة لغوية مختلفة، كما أن التوافق الجزئي في قاعدة الاتصال يؤدي إلى احتمال حدوث سوء الفهم في الاتصال، ولهذا لابد من التخلص من الفروق اللغوية الطبقية المقرونة بوضع اجتماعي ما، كما حصل التخلص في الماضي بالتدريج من الفروق المحلية للهجات لصالح لغة فصيحة جامعة وموحدة، والثابت أن هذه القضية هي من مهام الجهات المسؤولة عن التعبير

---

(١) ينظر W. A. Koch في (Lingua) المجلد ١٢ لعام ١٩٦٣م، ص ٤٢٠

اللغوي، والمهمة على ما يبدو صعبة، وليست بالأمر اليسير، لأنها ليست مسألة نحوية خالصة أو مسألة تعبير أسلوبي، نظراً لكون الأنظمة اللغوية المتحدث بها في شرائح مجتمعية مختلفة ناجمة في الأصل عن الاختيار المميز لتلك الشريحة من رموز النظام العام للغة وقواعده، ولكون هذا الاختيار بحد ذاته يمثل مستوى أسلوبياً[1] خاصاً بالطبقة المنتقية لتلك الوسائل.

خامساً - خلاصة

للأسلوب عموماً بنية كلية منظمة تراتبياً، تميز بطريقتين واضحتين من التصنيف هما:

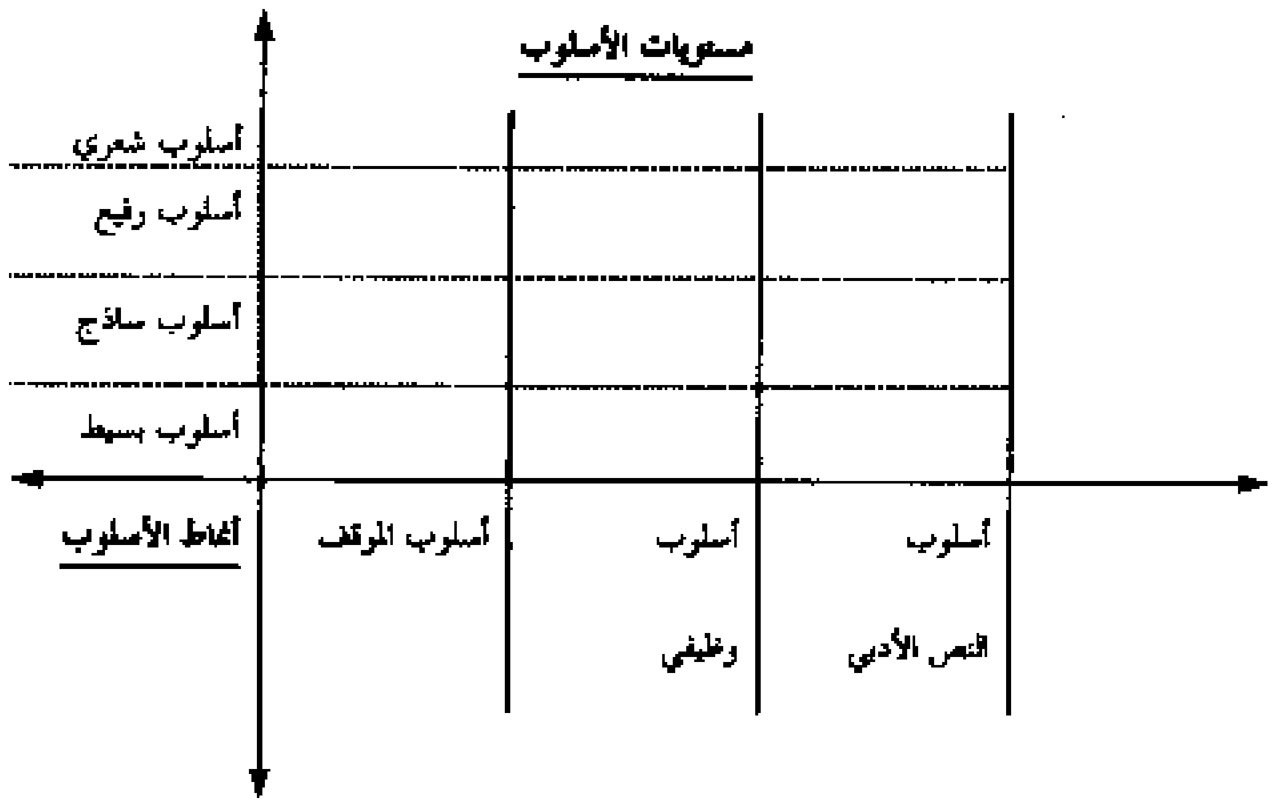
١ - مستويات أسلوبية: وتمثل المستوى الأسلوبي الفردي الناتج عن الظروف النفسية والاجتماعية لشخص ما.

٢ - أنماط أسلوبية: وتشير إلى الجوانب الأسلوبية الجماعية والسياقية والوظيفية والنصية بالنظر إلى الانتماء الاجتماعي للفرد في مجتمع له قواعده ومعاييره وعاداته الخاصة.

والتصنيف السابق قائم أصلاً على التفريق بين العوامل الأسلوبية الداخلية المتعلقة باللغة نفسها وبمنتجها من حيث قدرته وكفاءته، وبالعوامل الخارجية المؤثرة في الإنتاج اللغوي كما هو موضح بالرسم البياني الآتي:

---

(١) (ما الأسلوب إلا نظام خاص تابع) ينظر W. Labov في: (اتجاهات اللسانيات الاجتماعية) ص ١٣٠



وقسم الأسلوب إلى مستويات على النحو المعروض في البيان السابق، هو خلاصة تمازج مواقف متعددة، نظرت إلى الأسلوب من منظور خاص، إلا أن الدراسات القابلة يجب أن تسعى إلى وضع جدول المستويات الأسلوبية على نحو مميز يكون أكثر دقة، وكما نلاحظ قسم التصنيف السابق أنماط الأسلوب إلى ثلاثة أنواع هي:

أ - أسلوب الموقف الذي تظهر فيه وبشكل جوهري، آثار التفاعل بين المتكلم والمستمع في سياق موقفي حقيقي.

ب - الأسلوب الوظيفي الرامي إلى تحقيق هدف محدد من وراء اختيار وسائل تعبيرية محددة، تناسب وظائف محددة ومتفق عليها في الجماعة اللغوية الواحدة.

جـ - أسلوب نوع النص، ويعني الأسلوب المتضمن لمجموعة من الحالات الأسلوبية بما فيها من صيغ عادية ثابتة اتفاقاً في اللغة المكتوبة والمنطوقة،

وصيغ فنية مميزة وفق قواعد معروفة في النظام اللغوي من حيث البناء الخارج على المعيار، ومن حيث الربط الخاص بين بعض العناصر والوسائل الأسلوبية في اللغة المعنية في الجنس الأدبي.

ومن الناحية العملية تعتبر الوسائل اللغوية المستعملة في نص ما ربطاً واضحاً وظاهراً لخصائصه الأسلوبية، وكلمة مجموعة هنا ينبغي ألا تعد مجرد تجميع لقدر من الصيغ الأسلوبية؛ لأن الخصائص الأسلوبية المفردة تأخذ قيماً متباينة جداً حسب تقييمها الأسلوبي، وحسب وظيفتها المسندة إليها، وحسب إمكانية تركيبها في بنية تراتبية، ولهذا كله تصنف وسائل التعبير المفردة وتبوب بعد تقسيمها؛ والتقسيم معناه تفكيك نص ما إلى عناصره الأسلوبية الممكنة الداخلة في بنائه، والتبويب هو الحكم على هذه الوسائل الأسلوبية المقسمة حسب قيمتها السياقية أو الحقيقة.

توصف الوسائل الأسلوبية المتواترة في النتاج اللغوي أو الأثر الأدبي، بأنها أدوات حيادية غير مرتبطة بقيمة أسلوبية محددة؛ لأنها من معطيات النظام اللغوي في الأساس، ولأن قيمتها الحقيقية هي نتيجة استعمالها المميز في مستويات الأسلوب وأنماطه، وأما الوسائل المعتمدة في قسم الأسلوب إلى مستويات، فهي مكونات وعناصر أسلوبية ذاتية لارتباطها بالأشخاص، فتجمع ببساطة لرسم الأسلوب بالصفة المناسبة، وأما وسائل تنميط الأسلوب فهي مكونات موضوعية؛ لأنها مرتبطة بموضوع وليس بشخص.

هذا فيما يخص الأدوات؛ أدوات التصنيف والتبويب، وأما الأسلوب نفسه فهو بوجه عام مصطلح يطلق على البناء الكامل لكل الاحتمالات الأسلوبية؛ والأسلوب الحقيقي لشخص هو الاختيار المميز من هذه الاحتمالات، ولذلك يمثل الأسلوب الشخصي الصورة الكلية الشاملة لأسلوب الفرد، وهو مصنف حسب نوع الوسائل الأسلوبية المستعملة عملياً،

وتواترها، وآلية توزيعها، وحسب الطريقة التي تشكلت بها الوسائل المحايدة كل مرة... واستناداً إلى هذه الإجراءات الناجعة في تبويب الأسلوب الفردي يمكن تحليل الأسلوب.

وبما أن الأسلوب الفردي هو المظهر الأسلوبي المميز لكل مرسل، وهو المفهوم العام الناتج عن فهمنا للأسلوب اللغوي، ينبغي اعتبار الأسلوب الأدبي الشخصي ودراسة الأعمال اللغوية الفنية المرتبطة به مرآة عاكسة لشخصية الشاعر أو الكاتب، إلا أن ريفاتيرري قد خالف هذا الموقف، حين رأى أن الخطوة الحاسمة لحل مشكلة الأسلوب تتجلى في ترك مرسل النص جانباً، وتوجيه الاهتمام إلى التلقي[1] وما يرتبط به من آثار إيجابية أو سلبية؛ وموقفه هذا الوحيد الجانب لا يجوز أن يعد دافعاً إلى التخلي عن المبدأ المذكور؛ لأن الأسلوب في حقيقة الأمر ليس شيئاً ثابتاً في اللغة، إنما هو من صنع الراوي اللغوي، ومن يبحث عن تفسير دقيق لجوهر الأسلوب وحقيقته - وهذا من شأن نظرية الأسلوب - عليه أن يتتبع آلية الإنتاج اللغوي عند الفرد كخطوة أولى، ثم يحلل هذا الإنتاج لغوياً أسلوبياً كخطوة ثانية.

وختاماً يمكن القول إن جميع المفاهيم الأسلوبية الأخرى التي وردت في هذا البحث تنضوي بالنتيجة تحت المفهوم العام (الأسلوب الفردي) في شكل من الأشكال:

- فأسلوب العمل مثلاً هو أسلوب فردي، يعرض الاختيار الفردي المنظم للمرسل من النظام اللغوي ضمن أجناس معينة من النص.

- وأسلوب العصر أو المرحلة هو مجموعة من الأساليب الفردية المتميزة

(١) ينظر (الأسلوبية البنيوية) ص ١٢٣، وكذلك ص ٣١٢ الحاشية ٣٦

بخصائص أسلوبية محددة، واللافت فيها تلاقيها في بعض هذه الخصائص في حقبة من الزمن.

ومركزية الأسلوب الفردي ناجمة عن كون الأسلوب هو الصانع الحقيقي لعمليتي الاختيار والتركيب الشخصي المتميزتين غير القابلتين للتكرار، كاستعمال فرد معين إمكانات لغوية وأسلوبية معروضة أمامه في كل الظروف النفسية والمقامية والمقتضيات الاجتماعية التي يقتضيها وجود الفرد في جماعة بشرية، وهذه الحقيقة تفسر للباحث أي باحث حقيقة كون (اختصاصات) أخرى كعلم النفس والفلسفة والأدب... قد اهتمت بظاهرة الأسلوب وما زالت تعنى بها.

فإذا كان الأمر هكذا في العلوم الأخرى، فمن الأولى أن تزاحم اللسانيات العلوم جميعها في اهتمامها بالأسلوب، لأنها في الأساس علم معني باللغة والأسلوب والأسلوب اللغوي، ومن الأولى أن تتولى أمر النظرية الأسلوبية، وتجعلها واحدة من أبرز اهتمامات النظرية اللسانية العامة.

* * *

الفصل التاسع

الإطار اللساني لنظرية أسلوبية

مصطلح الأسلوب هو أحد المفاهيم الاصطلاحية الأساسية في علم اللغة مثل المقطع، الكلمة، الجملة، النص...، التي لم تعرف إلى أيامنا هذه تعريفاً فاصلاً ودقيقاً من ناحية، ولا يمكن استبدالها بيسر بالأشكال الاصطلاحية المعروفة في اللسانيات الحديثة مثل الوحدة الصرفية، الوحدة المعجمية، والمقطع التركيبي... من ناحية أخرى؛ وهذا ما يفسر سبب وجود هذا الكم الكبير من التعاريف المختارة والمعروضة في مطلع هذا العمل عن (الأسلوب).

وفي هذا أيضاً تفسير لمحاولات الاتجاهات والمدارس المختلفة في الأيام الأخيرة تقديم وصف لساني دقيق عنه، هذا مع الإشارة إلى أن الأساس المعتمد في هذا التفسير هو الاتجاه الحديث الذي يرى أن اللغة تتكون من قائمة من الإشارات، وقائمة من القواعد الأساسية الناظمة لتركيب هذه الإشارات، فتتطابق القائمة الأولى مع الكفاءة اللغوية بوصفها إتقاناً للنظام اللغوي الحالي ومع الأداء بوصفه الاستعمال الحالي لهذا النظام، أما القائمة الثانية؛ قائمة قواعد بناء الإشارات والرموز فقد تكون المكونات التبادلية (Pragmatische Komponente).

١ - الكفاءة والأداء

من المهام الأساسية التي يتولاها المنظر الأسلوبي عملياً شرح مفهوم الحدس الأسلوبي الذي ساد بين الناس العاديين زمناً لابأس به، وكان القراء الذين ألفوا الأدب مثل R. Ohmann قد تسلحوا بهذا الحدس الأسلوبي بوصفه «إحساساً حراً إلى حد ما، إلا أنه إحساس موثوق به تجاه رقة المنهج اللغوي لكاتب ما، وبوصفه إشارة إلى الفروق غير المتميزة دلالياً بين فقرات القصة الأدبية»[١] ؛ ويبرز هذا الحدس اللغوي مباشرة في قدرة المتلقي على تمييز كاتب مقروء تمييزاً مباشراً وموثوقاً به من أسلوبه والقدرة على محاكاته عن قناعة.

وللحدس (بوصفه حدساً لغوياً لمتكلم فطري)[٢] دور مهم في البحث اللساني الذي يجب الانتباه فيه إلى أن الحدس المتناظر مع حسنا اللغوي إلى حد ما لا يبقى في النهاية بعداً موثوقاً به باستمرار، فعلى الرغم من أن علاقة الحس اللغوي بالعاطفة قليلة جداً، يشكل هذا الحس نسخاً غير عاكس للنماذج اللغوية المستلهمة ولنماذج التفكير[٣] ، والمتفق عليه هنا هو أن مهمة المراقبة النسبية للتعابير اللغوية، والحكم الذاتي عليها، يرجعان إلى الحس اللغوي - حسب المعيار المتوقع من السامع - وبخاصة حين تؤخذ الجوانب

---

(١) ينظر: R. Ohmann (القواعد التوليدية ومفهوم الأسلوب الأدبي Generative Grammatiken und der Begriff: Literarischer Stil) في (علم الأدب واللسانيات) الجزء الأول/ الناشر J. Ihwe ،ص ٢١٣

(٢) ينظر تشومسكي: (اتجاهات نظرية علم بناء الجملة) ص ٣٤

(٣) ينظر: H. Steger (شرح مفهوم الحس اللغوي Begriffserklaerung von Sprachgefuehl) في (هل الألمانية لغة جامدة في بلد جامد؟) ص ٦١

الجمالية بالحسبان، ويتوافق مع هذا عد الحدس الأسلوبي في سياق التعليلات التي قدمها Ohmann داخلاً في الأسلوب الأدبي.

واستناداً إلى هذا الأساس، و «اعتماداً على الحدس الأسلوبي لأي متكلم» توصل كل من: W. Abraham و K. Braunmuller[١] إلى مفهوم الكفاءة الأسلوبية، فانطلقا من فكرة «أن لكل متكلم أو سامع رصيداً معقداً جداً من التعابير الأسلوبية الخاصة» المتوقعة بوصفها مكوناته الأسلوبية التي تشكل معياره الشخصي المتوقع؛ ونظراً لعدم مناسبة مفهوم الأداء لهذا السياق على ما يبدو، يقترح مفهوم الكفاءة الأسلوبية - في إطار توسيعات مفهوم الكفاءة لتشومسكي - مصطلحاً للمعيار الشخصي المتوقع.

ويضاف إلى هذا أن Dolezel قد أعرب عن قناعته بكون اللسانيات هي التي «تقدم للتمييز بين الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي أساساً عاماً شاملاً يناسب شرح التنوع الأسلوبي»[٢] ، فعد الأداء اللغوي جزءاً مهماً في نظرية الكفاءة اللغوية، بعد أن بين أهمية نظرية الكفاءة اللغوية كأساس مبدئي لأي نظرية أسلوبية، وبموازنة هذين الرأيين نسأل: أين يمكن أن يبوب الأسلوب؟ وهل يدخل ضمن مجال الكفاءة أم مجال الأداء؟

فالأسلوب بوصفه خلاصة إجراء انتقائي من النظام الإشاري اللغوي -

---

(١) ينظر: (الأسلوب والمجاز والنفعية Stil, Metapher, Pragmatik) في (Lingua) ٢٨/ ١٩٧١م، وللاحظة الفكرة التالية ينظر ص ١ و ص ١٠، وبخاصة الحاشية ١٦/ كما ينظر: W. Abraham; (الأسلوب والنفعية ونحو الشواذ Stil, Pragmatik, Abweichugsgrammatik) ص ٢

(٢) ينظر L. Dolezel (حقل اصطلاحي للتحليل الأسلوبي الإحصائي Ein Begriffsrahmen fuer die statistische Stilanalyse) في Ihwe ج١ ص٢٥٦

ومن قواعد هذا النظام في المرحلة الأولى للإنتاج الحقيقي للنص سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً - يعرض ظاهرة التحقيق اللغوي (البنية السطحية)، ويعرض بهذا ظاهرة الأداء؛ فإن عدت النظرية الأسلوبية بهذا المعنى جزءاً من نظرية الأداء اللغوي، فإن هذا يعني مواجهة صعوبات كثيرة؛ لأن أي نظرية من هذا القبيل يفترض أن تتضمن:

- نموذج المتكلم (السلوك اللغوي للمتكلم، وإنتاج النص).
- ونموذج المستمع (السلوك اللغوي للمتلقي، استقبال النص).
- ونظرية المقام[١] .

إلا أن نماذج الأداء المعروضة هذه تقدم كشوفاً ناقصة تستند استناداً كبيراً إلى المستمع، ولا تفيد كثيراً في شرح الآلية التي يتم فيها تكوين الأسلوب وتشكيله، فضلاً عن أن أية نظرية ما زالت بحاجة إلى جهد وعمل متواصلين، قياساً على نظرية الكفاية، وما زالت تشكل مجالاً مليئاً بالإشكالات التي تفتح الباب أمام أسئلة كثيرة وتحتاج إلى استفسارات متنوعة[٢] .

فمع أن تشومسكي وأنصاره يرون أن نظرية الأداء لا يمكن وضعها وتطويرها إلا اعتماداً على نظرية الكفاءة، إلا أن موقفهم هذا يمهد السبيل أمام آفاق جديدة من التساؤلات المنهجية المتشعبة؛ لأن الدخول العملي إلى

(١) ينظر: N. Ruwet (مقدمة في النحو التوليدي Introduction a la grammaire generative) باريس ١٩٦٧م، ص ١٧

(٢) ينظر التقرير الذي جاء به H. Schnelle في (أخبار لسانية Linguistische Berichte) ١٠/ ١٩٧٠م، ص ٥٠

اللغة لا يمكن أن يتم إلا بالأداء[١] ؛ ولأن تفضيل الكفاءة المسوغ نظرياً، كما هو معمول به منذ سنين لم يوصل إلا إلى تعريف سلبي لمعاني الأداء، لبقاء الأداء بناء على هذا الموقف مرتبطاً بشروط غير متميزة نحوياً يجب على المتكلم/ المستمع المثالي مراعاتها (لدى استعمال معرفته اللغوية)[٢] .

ولهذا ليس من قبيل المصادفة أن نجد أفكار تشومسكي الآتية تتصدر كل دراسة لها علاقة بالأداء ونموذج الاستعمال اللغوي:

- العوامل اللغوية النفسية وكذلك بنية التفكير.

- طبيعة الانتباه.

- آلية الملاحظة والرصد.

- المهارات العفوية والآلية والنفسية[٣] .

وعلى الرغم من أن أفكار تشومسكي تلك ومعها الكفاءة اللغوية تشكل أسساً مهمة للأداء اللغوي، إلا أنها تبقى غير كافية لشرح طبيعته، الأمر الذي أدى إلى ظهور مشاكل كثيرة ومن زوايا متعددة:

فمن الزاوية اللسانية النفعية طور D. Wunderlich أسس الاستعمال

(١) ينظر N. Stemmer: (ملاحظة حول الكفاءة A Note on Competence) في مجلة (اللسانيات Linguistics) ٦٥/ ١٩٧١م، ص ٨٣ - ٨٩

(٢) ينظر مجلة (اللسانيات Linguistics) ٦٥/ ١٩٧١م، ص ٤٠، كما ينظر (تشومسكي) في (اتجاهات...) ص ١٢

(٣) ينظر عدة مقالات وبحوث جاءت لدى كل من J. Lyons - R. Wales الناشرين لـ (أوراق في اللسانيات النفسية Psycholinguistic Papers) في ادنبورغ ١٩٦٦م.

اللغوي التي لدى تشومسكي إلى مجموعة من العوامل المميزة[١]، محتفظاً بما كان منها على المستوى النفسي - الاجتماعي مثل: مستوى الخبرة، والتسويغ العام، وعوامل نفسية داخلية رادعة مثل الخوف، الاستحياء، الميل الرغبة.

هذا بالنسبة إلى فوندرليش، أما غيره فقد أدخل جوانب نفعية متعددة في هذا الباب مثل:

- القدرة على فهم فعل لغوي مركب والإعراب عنه، مع الأخذ بالحسبان أن لهذا الفعل مضموناً، ويؤدي إلى نتائج، وله وظيفة تواصلية خاصة.

- تسجيل الأدوار الاجتماعية في المواقف الكلامية أو إبراز ما يتوقع منها.

- الاشتمال على العناصر المتميزة اتصالياً في السياق المقامي، بما فيها الوسائل اللغوية وغير اللغوية.

والأداء اللغوي بمعنى (الاستعمال الحقيقي للغة في مواقف حقيقية)[٢] حسب تعريف تشومسكي - لا يجوز أن يعد نوعاً من الإسقاط المبسط للكفاءة اللغوية الداخلية على مستويات الاستعمال اللغوي في السياق النفعي، لكونه خاضعاً لمعايير وقواعد خاصة تجعله يستعمل ما يناسبها من تراكيب وألفاظ ومفاهيم ومن هذه المعايير:

- استراتيجية التخطيط اللغوي (المتكلم).

- أو المعيار المتوقع (المستمع).

---

(١) ينظر: D. Wunderlich: (دور النفعية في اللسانيات Die Rolle der Pragmatik in der Linguistik) ص ٩، كما ينظر المؤلف نفسه في (النفعية والسلوك اللغوي Pragmatik und sprachliches Handeln) ص ٦٥ و ٩٠

(٢) ينظر تشومسكي المصدر السابق نفسه ص ١٤

ومن التدقيق فيما استعمل هنا من مصطلحات يلاحظ وبكل وضوح حصول شكل من الانتقال النوعي من المستوى اللساني الخالص للغة إلى مستواها الاتصالي، فيرى فوندرليش من ناحية أولى أن الأداء هو «الاتصال الواقعي والعملي بين طرفين من حيث إنتاج الأصوات ورصدها وما قد يرافقها من فعاليات غير صحيحة (كالبدايات غير الصحيحة والتصحيحات الذاتية وسوء الفهم وعدم الانتباه)»[١] ، ويعد من ناحية ثانية الترابط الثنائي بين مفهومي (الكفاءة) و (الأداء) نوعاً من الكفاءة التواصلية؛ ولهذا جاء عرض J. Habermas[٢] للمصطلحات المذكورة، للتعبير عن عدم الرضا بمفهوم الكفاءة لدى تشومسكي، الذي ركز فيه على المكونات النحوية لبناء الجملة، وعلى الدلالة وعلم الأصوات الوظيفي، ولم يقف الأمر عند هذا الحد من النظرة الانتقادية إلى موقف تشومسكي، بل إن فوندرليش قد طالب بشيء جديد هو (الكفاءة النغمية)[٣] ، وطالب أبراهام ميللر أيضاً بكفاءة أسلوبية[٤] عرفت بدقة من خلال:

- تجاوزها الكفاءة الأساسية (الثابتة نسبياً).

---

(١) ينظر: D. Wunderlich (النغمية والسلوك اللغوي) ص ٩٢

(٢) ينظر ملاحظات تحضيرية حول نظرية الكفاءة الاتصالية لدى J. Habermas و N. Luhmann في (نظرية المجتمع أو التقانة الاجتماعية Theorie der Gesellschaft Oder Sozialtechnologie) فرانكفورت ١٩٧١م، ص ١٠١ - ١٤١، ومصطلح (الكفاءة الاتصالية) نفسه يرجع إلى محاضرة غير منشورة لـ: D. Hymes بعنوان (حول الكفاءة الاتصالية On Communicative Competence) ١٩٦٨م.

(٣) ينظر: D. Wunderlich (دور النغمية في اللسانيات) ص ١٠ حاشية ٥.

(٤) ينظر المصدر السابق والصفحة نفسها الحاشية ٤.

- عدم اقتصارها في الحكم على نحوية العبارة، بل امتداد حكمها على المعايير الأسلوبية المتوقعة.

- عدم ثباتها سكونياً وتغيرها مع متكلمي لغة ما.

- حيازتها استراتيجيات تسهل الدرب أمام تعرف وظائف المتغيرات النفعية، أو وظائف التصنيفات الأسلوبية.

إن هذا المنظور وما فيه من أبعاد ذات طبيعة أداتية كالاستحسان والاستراتيجيات اللغوية والمعايير المتوقعة.. فيه تأييد لـ «توسيع مفهوم الكفاءة باتجاه استراتيجيات الأداء أكثر مما هو عليه الأمر لدى تشومسكي»، وهذا ما يلاحظ بوضوح تام في المساعي الحديثة الرامية إلى توسيع النموذج النحوي المعاصر عن طريق إدخال النفعية اللغوية الطامحة إلى وجوب وضع نظرية نحوية نفعية مشتركة في النهاية[١] كـ «خطوة مهمة باتجاه وصف اللغة في إطار نظري تواصلي»[٢] .

٢- المكونات النفعية

بناء على تميز هابرماس بين الكفاءة اللغوية والكفاءة الاتصالية[٣] ،

(١) ينظر: D. Wunderlich (نحو وضع اللسانيات الاجتماعية Zum Status der Soziolinguistik) في (اتجاهات اللسانيات الاجتماعية) للناشرين Klein - Wunderlich، ص ٢٣٢.

(٢) ينظر Abraham - Braunmuller في (Lingua) ٢٨/ ١٩٧١م، ص ١١، من المؤكد أن تقليص التقطيب النظري إلى كفاءة وأداء بوساطة عناصر نفعية مؤقتة قد يوصل إلى خطر أن يصبح التصور النحوي بكامله غير عملي.

(٣) ينظر ملاحظات تحضيرية حول نظرية الكفاءة الاتصالية لدى J. Habermas و N. Luhmann في (نظرية المجتمع أو التقانة الاجتماعية Theorie der Gesellschaft Oder Sozialtechnologie) فرانكفورت ١٩٧١م، ص ١٠١.

تنحصر الأولى في الجمل الأولية بوصفها وحدات لسانية أولية، وتنحصر الثانية في التعابير التي تحدد بوصفها «جملاً مقامية أو وحدات نفعية في الكلام»؛ وعلى هذا يسمى هابرماس نظرية الكفاءة الاتصالية المعنية «بالتراكيب العامة للمواقف الكلامية الممكنة» بـ (النفعية العامة)، وإن حصل وجاء مفهوما الكفاءة والأداء في موروث اصطلاحي لساني[1] ، عندها ينقلنا مفهوم النفعية إلى مجال علمي آخر هو (علم العلامات Semiotik)، ولتوضيح هذا لابد من الأخذ بالنظرة التي تسوي بين النفعية والأداء أحياناً[2] .

ومن المفيد أن يشار هنا إلى أن هذا الإدخال المنظم للبعد النفعي في الفلسفة اللغوية هو من ثمار عمل Ch. S. Peirce مؤسس العلاقة الثلاثية بين (الرمز – والمرموز إليه – ومستعمل الرمز) حين تكلم على النظرية العامة للإشارة أو (نظرية علم العلامات) التي وضعها هو ذاته، فصار بذلك المؤسس الحقيقي للنفعية، وإن لم يكن هو نفسه قد استخدم مصطلحها Pragmatics الذي يرجع إلى Ch. W. Morris، كما يشار أيضاً إلى أن نظرية علم العلامات التي جاء بها بيرس، قد لقيت نجاحاً كبيراً لدى خلفائه الذين أخذوا بموقفه على عكس

(١) هذا ومن الثابت أن تشومسكي قد التقى في مفهومي (الكفاءة) و (الأداء) سوسيور في مفهومي (اللغة) و (الكلام)، وبخاصة لدى التحول من المستوى الثابت في اللغة إلى المستوى المتحرك منها، ولاحظ نشأة زوج آخر من المصطلحات هما (اللهجة الفردية Idiolekt) و (اللغة الجماعية Soziolekt) لصلتهما المباشرة بمصطلحي الكفاءة والأداء لدى تشومسكي واللغة والكلام لدى سوسيور، وللتوسع في هذا الباب، وملاحظة نقاط الالتقاء والاختلاف ينظر:

H. Glinz : (الأسس اللسانية Linguistische Grundbegriffe) ص ٩٢.

(٢) فالأداء الفعلي في اللغة يسمى بالمستوى النفعي أيضاً، وللاستزادة ينظر: K. D. Buenting في (مدخل إلى علم اللغة) ص ٤٥.

النظرة السلوكية السطحية التي بقي تأثيرها محدوداً[١]، وعلم العلامات هذا بوصفه نظرية إشارية عامة، يتضمن ثلاثة مستويات فرعية هي:

- المستوى التركيبي (Syntaktik).
- المستوى الدلالي (Semantik).
- المستوى النفعي (Pragmatik).

وتكشف هذه المستويات الثلاثة عما بين كل من الموضوع والأداة (حامل الرمز) والمؤول[٢] من علاقات إشارية مختلفة تأخذ الشكل الآتي:

- علاقة الرموز فيما بينها في الأبنية المركبة وغيرها.
- علاقة الرموز بالموضوع من حيث العلاقة الدلالية فيما بين الإشارات اللغوية ودلالاتها.
- علاقة الرموز اللغوية بمستعملها ومتلقيها في البعد النفعي (الرموز ومستعملها).

ولم يقف الأمر عند هذه العلاقات الثلاث بل إن السنين الأخيرة قد شهدت وبتأثير من نظرية الانعكاس المادي بعداً رابعاً من العلاقات هو:

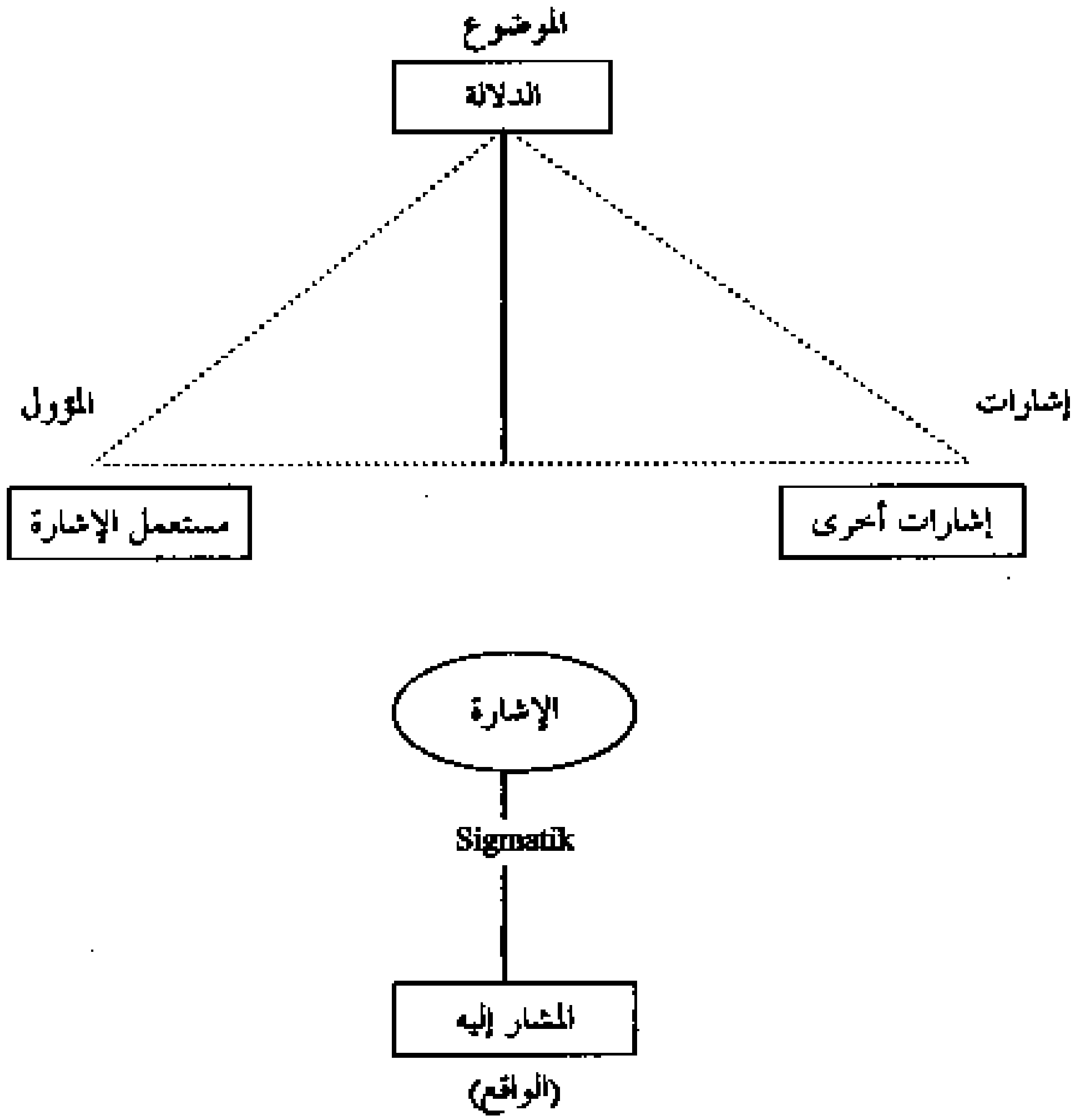
---

(١) ينظر D. Wunderlich: فيما لخصه في هذا الباب في (النفعية والسلوك اللغوي) ص ٧١، كما ينظر المؤلف نفسه في (النفعية اللسانية) ص ٤٢، كما ينظر الرسم البياني الذي وضعه هذا المؤلف في كتاب (عناصر النقد اللغوي Elemente der Sprachkritik) لـ K. Lorenz فرانكفورت ١٩٧٠م، ص ٢٤٢.

(٢) ينظر M. Bense: (علم الإشارات، النظرية العام للإشارات Semiotik, Allgemeine Theorie der Zeichen) بادين - بادين ١٩٦٧م، ص ٩ وص ٥٨.

– علاقة الرامز بالمرموز إليه التي سماها G. Klaus بـ (Sigmatik).

وبهذا فقد وسع المثلث الإشاري القديم إلى نموذج رباعي[١] أخذ الشكل الآتي:



(١) وقد عدل بشدة موحداً النموذج الثلاثي والرباعي ينظر: G. Klaus: (Worterbuch der Kybernetik) الجزء الثاني، فرانكفورت – هامبورغ ١٩٧١م، ص ٥٦٥.

والمنظور الجديد هذا لا يغير شيئاً من الموقف الأساسي للنفعية التي تتخذ العلاقة بين الإشارة ومستعملها، أو العلاقة بين الإشارة والإنسان بوصفه منتج الإشارة ومتلقيها موضوعاً أساسياً لها:

«فكون الكائنات البشرية المتعايشة مع معظم الإشارات - إن لم تقل كلها - هم المؤولين، يسهل الدرب أمام تحديد مهام النفعية ووصفها بدقة، فتبدو بذلك معنية بالرموز من الجوانب التي تتعلق فيها بالحياة، ومعنية بالظواهر النفسية والحيوية والاجتماعية كلها التي يمكن للإشارة اللغوية أن تعبر عنها أو تظهر فيها»[1].

ومن قصر مفهوم الإشارة على الإشارة اللغوية، ومن ملاحظة الطبيعة العامة للنفعية يتبين إسهام كثير من الأسس في بحث النفعية من زوايا متعددة ومتباينة، انطلاقاً من فرضيات وأسئلة خاصة بها مثل:

- بحث التواصل (دراسة الوظائف المترتبة على العلاقة بين المتكلم والمستمع).

- علم النفس (السلوك اللغوي، وردود الفعل).

- التربية (التعلم، وتعليم اللغة..).

ولم يكن اللسانيون هم آخر من شكلوا فرعاً خاصاً بالنفعية اللغوية؛ لأن اللسانيات النفعية في حقيقتها معنية أولاً وأخيراً بجملة من المسائل البارزة التي لها دور فاعل في الدرس اللساني، ومنها مثلاً:

- تحليل الأفعال الكلامية.

(١) ينظر: Ch. W. Morris (أسس نظرية الإشارة Grundlagen der Zeichentheorie) ص ٥٢.

- تحليل القيود والظروف النفعية والاجتماعية للفعل الكلامي.
- استراتيجيات المتكلم / المستمع.
- الإطار الاتصالي (الموقف الاتصالي).
- والكفاية اللغوية (Effizenz).
- التطبيق التربوي.

لا يقتصر اشتراك اللسانيات النفعية في هذه المهام وغيرها، على الاختصاصات المذكورة التي تتداخل معها، بل إنها تتقاطع مع فروع لسانية أخرى، وبخاصة اللسانيات الاجتماعية والنفسية، ولهذا حاول كل من H. Althaus و H. Henne التمييز بين هذه الاختصاصات، والفصل بينها حديثاً فجاءت محاولاتهما على الشكل الآتي[1] :

الموضوع	الإفراد ←	→ التثنية ←	→ الجمع
الافتراضية	الكفاءة اللغوية	الرمز اللغوي	النظام اللغوي
التحقيق	الأداء اللغوي	الخطاب اللغوي	المعيار اللغوي
المجالات المتخصصة	اللسانيات النفسية	اللسانيات النفعية	اللسانيات الاجتماعية

(١) ينظر: H. P. Althaus - H. Henne (الكفاءة الاجتماعية والأداء الاجتماعي (Sozialkompetenz und Sozialperoramnz في مجلة (علم اللهجات واللسانيات) ٣٨/ ١٩٧١م، ص ١ - ١٥، والجدول هذا موجود ص ١٢، كما تنظر المناقشة التي جرت بين D. Wunderlich و Althaus - Henne في المجلد نفسه/ كما ينظر: A. Leist (اللسانيات النفعية من دون علم النفعية Pragmalinguistik ohne Pragmatik) في المجلة المذكورة المجلد ٣٩/ ١٩٧٢م، ص ٢٠٦ - ٢١٥.

يتأسس هذا النموذج من زاوية أولى على ثنائية (افتراضي/ حقيقي) التي ترجع - ومنذ تمييز سوسيور بين (اللغة) و (الكلام) - إلى القسم الأهم والأبرز في المعرفة الإنسانية، ويتولد من زاوية ثانية اتجاه منهجي ثلاثي آخر منطقي هو (فردي - ثنائي - جماعي)، فيدخل هذان التصنيفان تحت أسس لغوية معينة على نحو يبدوان فيه مقبولين ذهنياً شريطة أن تشرحهما التعاريف الملحقة بهما.

ومن الضروري الانتباه هنا إلى أن التصنيف السابق في الجدول المشار إليه لم يسلم من النقد، بل ناله قسط كبير منه وبخاصة ما تعلق منه بالمجالات الإضافية Metaebenen التي تدرس علاقة اللغة بالمستويات النفسية والنفعية والاجتماعية، فلوحظ مثلاً أن اللسانيات النفعية معنية بـ (إجراءات الاتصال اللغوي) معتبرة نموذج المتكلم / المستمع - ولأسباب منهجية - الأساس المعتمد في الغالب، على الرغم من وجود حالات من الاتصال الجماعي أو الفئوي تدعو إلى عدم القبول بالحوار الثنائي باستمرار؛ ولهذا كله وبناء على هذا النقد الموجه إلى اللسانيات النفعية مثلاً يمكننا أن نتساءل ما القيمة النظرية للتعاريف الثابتة التي تعرفها اللسانيات النفسية والنفعية والاجتماعية؟ وإلى أي مدى يمكن تطبيقها والأخذ بها؟

ومن هذه التساؤلات وما يمكن أن يتبعها من انتقادات نفترض أن الفروع اللسانية المعنية باللغة من مستوياتها المتعددة، تعرف في الأصل شكلاً من أشكال التداخل الكبير في مادتها؛ فاللغة والمنتج اللغوي والظروف النفسية والاجتماعية والنفعية هي جميعها مادتها الحقيقية، ودراستها في فروع لسانية كثيرة لا تمثل في حقيقة الأمر أكثر من رؤى متعددة لمادة واحدة[1] ؛ لأن كل

(١) ولتحديد كل من اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفعية ينظر: H. Steger (اللسانيات الاجتماعية) ص ١٣ و ٣٣.

فرع منها ينتقي من هذه المادة اللغوية المؤداة عملياً ما يناسب أسسه ومعطياته النظرية الثابتة والمفترضة.

فالأسلوب كما تبين من قبل راجع إلى مستوى الأداء، ومعتمد على الانتقاء، وأسلوب الفرد هو البعد اللغوي المركزي في هذا الأداء، وتبويبه في مجال الأداء الأسلوبي عموماً ضروري، ولهذا ينبغي على اللسانيين أن يركزوا انتباههم على الحالة اللغوية النفسية والاجتماعية للمرسل (الكاتب - الشاعر - الصحفي - المرشد) بغية شرح الظواهر الأسلوبية العامة من ناحية، والوقوف على أسلوبه اللغوي الخاص بوصفه نتيجة لظروف وشروط نفسية واجتماعية مستقرة في شخصيته ومؤثرة أسلوبياً فيه وعلى نحو مباشر من ناحية ثانية، وهذا لا يعني بالطبع أن الأسلوب هو المادة الوحيدة للسانيات النفسية، إنما يعني أنه يصلح أن يكون مادة لكل الفروع اللسانية؛ لأنه نتاج عوامل اجتماعية وثقافية ونفعية وتبادلية.

والدراسة الحقيقية للأسلوب اللغوي تدخل ضمن مهام اللسانيات النفعية التي تتساءل وباستمرار - على عكس الإجراء اللساني النفسي والاجتماعي - عن النظام اللغوي والأداء اللغوي لتصل إلى المتكلم/ المستمع من جهة، وإلى النصوص الحقيقية (المنطوقة والمكتوبة) من جهة ثانية مع مراعاة العوامل غير اللغوية في (موقف) وإغفال «تصوير خاصية السياق الكلي الاجتماعي والنفسي في النهاية» أو أخذه بعين النظر[1] .

فإذا كان الأسلوب تابعاً للأداء اللغوي واللسانيات النفعية على حد سواء، فمن الطبيعي أن يسوى بين المجالين كما هو حاصل في الغالب، إلا أن هذه

(١) ينظر المصدر السابق نفسه ١٤.

التسوية ليست سهلة؛ لأن النفعية تشترط الكفاءة من حيث الإتقان النظري للغة، وتشترط الأداء من حيث الاستعمال الحقيقي/ العملي لها حين يراد التمييز بين الافتراض والتحقيق[١]، هكذا يرد المصطلحان في مجالات مختلفة وهذا لا يتضمن...

والأسلوب - في الأساس كما أسلفنا - ظاهرة أدائية، لها قواعدها المحددة التي تحتاج إلى افتراض كفاءة أسلوبية في إطار النفعية اللغوية.

وفي البحث الأسلوبي المعاصر الآخذ بخاصية الفعل اللغوي ثمة منظور جديد يتلخص في سعي الاتجاهات الجديدة في أيامنا إلى الابتعاد عن مفهوم الكفاءة اللغوية الخالصة والابتعاد عن مفاهيم أخرى كـ (الكفاءة النفعية) و (الكفاءة الاتصالية) وإدغامها في الوقت نفسه بظهور مفاهيم جديدة مثل (كفاءة السلوك اللغوي والاتصالي)[٢] - الأمر الذي دعاها في النهاية إلى الأخذ بمفهوم شامل جامع هو (كفاءة الفعل اللغوي) التي تمثل بدورها جانباً من الكفاءة العامة للسلوك الاجتماعي.

وكفاءة الفعل اللغوي هذه، قد تكون موضوع نظرية الفعل اللغوي التي - وكما رأى - B. Sandig يمكن أن تتضمن «الأسلوبية اللسانية ولسانيات النص واللسانيات النفعية واللسانيات الاجتماعية»[٣]، الأمر الذي يدعو إلى

---

(١) ينظر: T. A. van Dijk (بعض اتجاهات نحو النص Some Aspects of Text Grammars) فصل (السياق والأداء) ص ٣١٣.

(٢) ينظر P. Schroder في (محاضرة بالإذاعة، باب اللغة) الجزء الثاني ص ١٨٥، كما ينظر كل من H. Steger و Eva Schutz في المصدر نفسه ص ٢٠٩.

(٣) ينظر: B. Sandig (قضايا الأسلوبية اللسانية Probleme einer linguistischen Stilistik) في مجلة (اللسانيات وأصول التعليم) المجلد الأول لعام ١٩٧٠م، ص ١٩٠.

السؤال: هل تبدو استقلالية اللسانيات الأسلوبية في فرع خاص مسوغة؟ أم أنه من الأنسب نظرياً أن تكون داخل اللسانيات النفعية؟

ومن المهم هنا الإشارة إلى تباين أهداف كل من (النظرية الأسلوبية) و (اللسانيات النفعية)؛ لأن النفعية اللغوية تتناول كل ما يخص الأداء اللغوي من منظور وظيفته الاتصالية، على حين لا تشتمل النظرية الأسلوبية من هذا الأداء إلا على الجزء الذي يميز الصيغ والتعابير اللغوية المنتقاة بشكل شخصي ذاتي تميزاً أسلوبياً.

ونظراً لأهمية الجانب الاتصالي للأسلوب وتميزه فمن المناسب جداً عده هنا أساساً تابعاً للسانيات النفعية ذات الصلة الوثيقة باللسانيات النفسية والاجتماعية، وهذا الشيء هو المعتمد أساساً في التحليلات الأسلوبية العملية التي أجريت فيما بعد، كما أنه الأساس المعتمد في الأسلوبية النفعية، وتتجلى مصداقية هذه العلاقة الوثيقة بين النفعية والأسلوبية في اعتبار كلتيهما البلاغة سلفاً لهما.

وختاماً لابد من القول: إن الوضع النظري للنفعية اللغوية ما زال غامضاً إلى يوم الناس هذا، فالمكون النحوي، وعلى الرغم من كونه المكون الوحيد الذي يوصف من بين المكونات الثلاثة للأثر اللغوي، يبقى وصفه هو الوصف الأصح، وإن لم يكن كاملاً، وأما المكون الدلالي، وعلى الرغم من انتشاره على نطاق واسع فيبقى البحث فيه فاعلاً باستمرار، وبالمقابل لا يدخل المكون النفعي في إطار التنظير، إنما في إطار الأشكال، وهذا لا يعني بالطبع وجود خلل أو نقص في الملاحظات النقدية والتوجيهية.

وبما أن علم الدلالة، وحتى علم بناء الجملة لم يبلغا غايتهما النهائية بعد لاستمرار البحث فيهما، فلا بد من اعتبار كل مسعى يبذل في هذا المجال

لتنظيم النفعية نوعاً من التعبير عن الجهل أو الاستكبار»[١] ، ولأن النفعية في واقع الأمر «تشبه وعاء يمكن أن يعبأ بكل ما قد يدخل في نطاق اللغة أو يقع خارجها»[٢] ، فحتى D. Wunderlich الذي شغل نفسه بالنفعية اللسانية وبشكل كبير جداً - لم يطمح إلى تثبيت دقيق للمفهوم من حيث وضع مفهوم ثابت يؤخذ به بشكل عام[٣] ، وبناء على هذا كله، يمكن السؤال وهل ينبغي التخلي عن مفهوم النفعية المتواتر؛ لأن الدراسة العملية التطبيقية والنظرية في كثير من الدراسات اللغوية المعاصرة على اختلاف مشاربها وغاياتها ما زالت مشغولة به إلى الآن؟

ثالثاً - النفعية والأسلوب

الأسلوب ظاهرة لسانية هو نتاج إجراء يتولى صوغ الأسلوب، ويتصدر كل عمل لغوي كلامي أو كتابي، ولهذا رأى L. Dolezel أن شرحه بشكل كامل الكامل يجب أن يأخذ ما يلي في الحسبان:

«أ - العوامل النفعية للسلوك اللغوي.

ب - والفروق الجوهرية في المنتجات اللغوية (النصوص)»[٤] .

---

(١) ينظر P. Watzlawick في (التواصل البشري Menschliche Kommunikation) ل: Watzlawick - Beavin - Jackson ص ١٣.

(٢) ينظر Ruth Romer: (البعد النفعي والآثار اللغوية Pragmatische Dimension und Sprachliche Wirkungen) في (أخبار لسانية) المجلد ١٨ لعام ١٩٧٢م، ص ١٩.

(٣) ينظر فوندرليش في مقدمة كتابه (النفعية اللسانية) ص ٥ ، فضلاً عن ذكره تعريفاً لهذا المصطلح في (محاضرات لسانية بالإذاعة - باب اللغة) الجزء الثاني ص ١٠٢.

(٤) وفيما يخص هذا الباب ينظر L. Dolezel في (حقل اصطلاحي للتحليل الأسلوبي الإحصائي) وذلك في Ihwa م٢/ ج٢ ص ٢٥٧.

فالمطالبة الأولى توصل إلى نموذج الأداء الذي يراعي المتكلم؛ أو إلى نموذج سلوك المتكلم/ المستمع في أثناء إنتاج النص، وفي الظروف التي ينتج فيها هذا النص، والملاحظ أن آلية الاختيار الأسلوبي لا تحتاج وبشكل حتمي إلى التمييز الشديد لعمليات الاختيار اللغوي وحسب، بل إنها بحاجة أيضاً إلى معرفة الشروط النفسية والاجتماعية التي تسبق تلك العمليات، فضلاً عن حاجتها إلى معرفة العوامل النفعية المتحكمة بها.

وقد يكون «تنظيم القواعد النفعية المختلفة المنتقية للتعابير المناسبة للموقف مهماً أيضاً، حتى ولو لم تكن مصوغة بدقة» مهماً أيضاً[1] ، هذا مع عدم ضرورة تأكيد وجوب اعتماد اللسانيات النفسية والاجتماعية على ما تضعه من شروط لتقديم تأويل نفعي.

وأما المطالبة الثانية فترى أن الأشكال اللغوية المنطوقة أو المكتوبة - أو النص المولد - هي وحدها الجدير بالملاحظة والدراسة لسانياً، وهي المادة الحقيقية المتوفرة للتحليل[2] ؛ لأن دراستها هي السبيل إلى نتائج واضحة في عملية إنتاج الأثر اللغوي، نظراً لإمكانية الإشراف على عملية الانتقاء، وبخاصة حين يتم هذا في أثناء التصحيح المتأخر بوصفه عملاً مقصوداً قابلاً للفحص والمراجعة.

وبناء على مجلس هوراتسيش (Saepe stilum vertas) «فقد حول رواد فن

(١) ينظر: R. J. Wales - J. C. Marshall (تنظيم الأداء اللغوي The Organisation of lingnistic Performance) في (أوراق في اللسانيات النفسية Psycholinguistic Papers) ص ٢٩ - ٨٠، وينظر هنا على وجه الخصوص ص ٧٦.

(٢) ينظر H. Glinz (الجانب الاجتماعي في الحقل الأساسي للسانيات Soziologisches im Kernbereich der Linguistik) في مجلة (اللغة والمجتمع) ص ٨١.

اللغة البارزون الكلمة بالتنقيح إلى سيف قد صقل على نحو متميز إلى درجة تمنح فيها هذه الكلمة، أفكارهم صورة تعبيرية مقنعة»(١) ، وفي أمثال هذه التصحيحات والتدخلات تصوير لآلية الإجراء الانتقائي المكثف مما بين يدي الكاتب من مادة لغوية.

ومما لاشك فيه أن الأساس المعتمد في البحث الأسلوبي التطبيقي، هو نموذج الأداء المستند إلى المستمع، أو نموذج سلوك المستمع/ القارئ لدى إنتاج النص وتعرف الموقف؛ والنماذج الدراسية التي من هذا القبيل، ينبغي أن تمكن من تعرف الفروق الأسلوبية في النص ومن ثم الحكم عليها، ولهذا فقد نشأ موقف جديد دعا إلى تجريد النص من كاتبه، ومما يحيط به من ظروف أدت إلى إنتاجه أو كتابته، ومن ثم تحويله إلى موضوع يدرسه المتلقي بما لديه من شروط نفسية واجتماعية خاصة، وبما لديه من آراء وتوقعات خاصة به..، ولهذا يأتي الحكم على النص والأسلوب «مرتبطاً بشخصية المتلقي وخبرته الحقيقية، وبظروفه الخاصة والعامة»(٢) ؛ وهذا ما يتضح جلياً في الأعمال الفنية، وفي التأويلات المرتبطة باستمرار بالشخص والزمن، مما يدعو إلى القول بأن النص بوجه عام غير موجود «خارج دائرة إنتاجه وتلقيه»(٣) .

فالتلقي الأسلوبي إذن هو أساس لمعظم أفكار النظرية الأسلوبية، ويقع

---

(١) ينظر: Faulseit - Kuhn (الوسائل الأسلوبية وإمكانيات اللغة الألمانية Stilistische Mittel und Moeglichkeiten der deutschen Sprache) ص ١٢.

(٢) ينظر: J. S. Petofi (نحو تحليل بنيوي للأعمال اللغوية الفنية Zur strukturellen Analyse sprachlicher Kunstwerke) في Ihwe م٢ ج٢ ص ٥٠٩؛ كما ينظر: M. Riffaterre (الأسلوبية البنيوية) ص ٣٦

(٣) ينظر: A. A. Leont'ev (اللغة والكلام والكفاءة الكلامية Sprache - Sprechen - Sprechfaehigkeit) شتوتغارت – برلين – كولونيا – ماينتس ١٩٧١م، ص ٢٢

ضمن مهام الأسلوبية الواصفة التي تعمل وفق مناهج خاصة بها، وتصنف الأسلوب ضمن نطاق النفعية اللغوية، ونظراً لأهمية النفعية اللغوية في الدراسة الأسلوبية، فمن الممكن أن يتوقع التوصل إلى تعريف ذي طابع نفعي للأسلوبية؛ إلا أن الاضطراب الملاحظ في تطور الدراسة الأسلوبية النفعية يكشف عن عدم اكتمال هذا المجال إلى الآن، وما قول أبراهام – ميللر: «الأسلوب هو خلاصة المتغيرات النفعية»[1] سوى وجهة نظر خاصة لا تقطع الدرب أمام تصورات أخرى، فها هو R. Ohmann يدلي بدلوه حديثاً[2] في هذا الباب، ويرى أن للأسلوب تصوراً نفعياً، منطلقاً في رأيه هذا من:

- إهمال نماذج الأداء بسبب دراسة الكفاءة.
- بقاء الخاصية السلوكية للغة خارج نطاق الملاحظة.
- إغفال الظروف الاجتماعية المحيطة بالكلام.

فنظرية الفعل الكلامي التي أوجدها J. R. Searale في ألمانيا انضم إليها J. L. Austin[3]، وميز فيها أفعالاً يقوم بها المتكلم في أثناء الكلام وهي:

أ – فعل القول Lokutionarer Akt (النطق، أي بناء الجمل الصحيحة صوتياً ونحوياً ودلالياً).

---

(١) ينظر: W. Abraham - K. Braunmuller في Lingua المجلد ٢٨ لعام ١٩٧١م، الجزء ١.

(٢) ينظر: R. Ohmann (الأسلوب المفيد، ملاحظات حول نظرية الكلام بوصفه سلوكاً (Instrumental Style, Notes on the Theorie of Speech Action في (التيارات المتداولة في الأسلوبية Current Trends in Stylistics) ص ١١٥ – ١٤١

(٣) ينظر ما سجله D. Wunderlich من نظرات في الحاشية الثانية والعشرين، كما ما جاء في نهاية الفصل من قائمة بأعمال Austin و Searle وغيرهما.

ب - فعل تحقيق القول Illokutionarer (إنتاج فعل لغوي محدد مثل: منع، هدد، أمر..).

جـ - التأثير غير المباشر للكلام Perlokutionarer Akt (نتائج فعل كلامي مثل: الإقناع - الإثارة، خيبة الأمل..).

فالدراسة الأسلوبية للكلام المؤدى هو الموضوع الرئيس الذي شغل Ohmann؛ لأن المادة المعتمدة فيها هي الكلام المؤدى عملياً بما فيه من تعابير كتبها أو تحدث بها المرسل، ولهذا يبقى السبيل مفتوحاً أمام تشكل عدد كبير جداً من احتمالات الاختيار الأسلوبي، كأن يعبر عن الطلب مثلاً بوسائل مختلفة:

- بفعل أداتي مثل: «آمرك أن تبقى واقفاً».
- وبصياغة فعل الأمر نفسه مثل: «ابق واقفاً».
- وبشكل إيحائي/ رمزي وذلك عن طريق الأمر مثل «توقف».

وهنا يبرز موقف Serale بوضوح حين يرى أن الكاتب «ينتقي دوره ومتلقيه والطريقة التي يتم بها الارتباط بالواقع الاجتماعي في أثناء وضع الاختيارات أو سنها»[١].

إن الأسلوب الأداتي لـ «Ohmann» يعرض - لا بسبب منطلقه النفعي اللغوي - تصوراً أسلوبياً له أهميته ويوصل إلى التحليل الأسلوبي، فقد كانت

---

(١) ينظر: R. Ohmann (الأسلوب المفيد) ص ١٣١

النية موجودة منذ البداية لعرض تطبيقات عملية لما تم وصفه من نظرية أسلوبية، وذلك في فصل عاشر تحت عنوان «الأسلوبية وتقانة الأسلوب»، إلا أنه وبناء على التقسيم المنهجي للأسلوبية إلى:

- أسلوبية وصفية (Deskriptive Stilistik).
- وأسلوبية معيارية (Praskriptive Stilistik).

كان من المفروض على هذه التطبيقات أن تقدم عمليات تحليل خاصة ومحددة من جهة أولى، وتعرض نتائج تعليمية ثانية، إلا أن مقارنة عرض القسم النظري المكثف الذي نادراً ما يعود إلى الأمثلة تبين أن الكم المادي الضروري للعرض واسع المجال بحيث يصعب معه تسويغ الحاجة إليه، اعتماداً على العنوان الذي اختير لهذا العمل؛ ولهذا فإن ترجمة ما هو نظري إلى شيء عملي، يحتاج إلى كتاب آخر في هذا الباب.

❋ ❋ ❋

ثبت المصطلحات مرتبة حسب الهجائية اللاتينية

Abstrakta/ Abstrait/ abstract	مجردات
Abweichung	انحياز / انحراف / خروج على المعيار
Additamente	إضافات
Adjunkion/ Adjonction l adjunction	إضافة / إلحاق
Aequivalenz / Equivalence / Equivalence	تضمين متبادل / تكافؤ / تساو
Aggregat / aggregate	مجرد جمع بسيط / كلي/ تجميعي
Agrammatikal / agrammatical	غير نحوي
Akteur / actor	الفاعل / العامل
Aktualisation / actualisation / Actualisatio foregrounding /	الأداء
Akzeptabilitaet / Acceptabilite / Acceptability	القبول / الاستحسان
Allegorie / allegory	الاستعارة / المجاز
Alliteration / Alliteration / alliteration	جناس استهلالي
Alternative / alternative / alternative	بدائل / خيارات
Anomalien / anomalie / anomaly	شواذات لغوية
Anti – stil	أسلوب مضاد
Assoziation / association / associtiom	ترابط قريني
Assoziationsprinzip / principal of associtiom	أساس أو مبدأ الترابط الفكري
Ausdruck	كلمة / عبارة / لفظة
Ballade / ballade	قصيدة درامية / لحن موسيقي شعري
Bezugswort / substitutional word	الكلمة المبدلة / البديلة
Careful speech	كلام دقيق / منتقى
Chiasmus / chiasme / chiasmus	مقابلة عكسية / الطباق
Cognitiv / cogitif / cognitive	معرفي / إدراكي

Defektive / defectif / defective	ناقص
Defizit – Hypothesel hypothese defecteuse / deficient.	فرضية غير تامة
Degrees of grammaticalsness/ degré de grammaticalité	درجات النحوية
Deiktisch / deictique / deictic	إشاري
Dekorativ L decorative	تدبيجي / صياغة اللغة الجميلة / زخرفي
Deletion / deletion	حذف
Denotate / denote / denotatum	مشار إليه / محدد / معين
Deskriptive Stilistik / Stylistique descriptive / descriptive stylistics	أسلوبية وصفية
Determinationsgefuge / composant determinatif / determinative Compound	مكون حتمي
Deviation / deviation	الخروج على المعيار / الشذوذ
Drammatik / dramatics	الدراما
Effektiv / effectif / effective	صيغة التمام؟ مؤثر
Effizenz / efficience / efficency	كفاية لغوية
Einwortsatz / Holophrase	جملة أحادية الكلمة
Elaborated code	نظام متقن
Elaboriertes System	نظام معد / حر
Elipsen / phrase elliptique / elliptical sentense	جملة مختزلة
Ellipse / ellipsis / ellipse	الحذف
Emotion / emotion / emotion	الوجدان / العاطفة؟ الانفعال
Emphase / emphase / emphasis	التوكيد
Emphasesatz / phrase emphatique / emphatic sentence	جملة التوكيد / جملة المديح
Empirische Fakten / empirique / empiric facts	المعطيات العملية
Empraktische Redeweisen	أساليب كلام عملية
Epik / epic	فن القصة / الملحمة
Epiphonomen / epiphoneme / epiphonema	خاتمة فيها حكمة
Epochenstil / Style of the epoch	أسلوب العصر

Epos / epos	شعر ملحمي / ملحمة شعرية
Evaluative / Evaluatif / evaluative	تقديري (حكم)
Explezierung / explication / explanation	شرح / تفسير
Expressive Behavior / behavior expressif / expressiv behavior	سلوك تعبيري
Face – to – Face – communication	تخاطب وجهاً لوجه
Fiktive / fictionell / fictive	وهمي / خيالي
Formal language	لغة رسمية
Frequenz / frequence / frequency	تكرار / تواتر / شيوع
Funktionalitaet / fonctionalismus / functionalism	الوظيفية
Gattungsstil	أسلوب الجنس النصي
Generationsstil	أسلوب الجيل / أسلوب توليدي
Genus mediocre	أسلوب وسط
Grobe Struktur	تركيب خشن
Gruppenstil	أسلوب جماعي
Hierarchie / hierarchie / hierarchy	ترتيب هرمي
Horizonal / horizontal / horizontal	أفقي
Hymne / hymn	نشيد / ترتيل
Hyperbel / hyperbole / hyperbole	مبالغة
Hypotax / hypotaxe / hypotaxis	إتباع
Hypothetische Konstrukte	بنى مفترضة
Jargon / jargon / Jargon	لغة الحرفة / لغة المهنة / لهجة حرفية
Jugendstil	أسلوب الشباب
Idealnorm / Norme ideale / Ideal Norm	معيار مثالي / محكم
Idiolekt / Idiolecte / Idiolect	لغة الفرد / اللهجة الفردية
Illiteration /	جناسات استهلالية
Illokutionare Art	فعل تحقيق القول

Information	معلومة / خبر
Informationstrager / information / message	دال
Inhomogenitaet / imhomogeneite	غير متجانس / تنافر
Implizite Referenz / reference implicite / implicit reference	مرجعية ضمنية
Instrumental Stil / style instrumental / instrumental style	أسلوب نفعي
Internasaliert	تفاعل
Internasaliert	لغة مسموعة
Interpretativ / interpretatif / imperativ	تأويلي
Inventar / inventaire / inventory	كشف / جرد / قائمة بـ
Interview	مقابلة صحفية
Kategorial / categoriel / categorical	نوعي / تصنيفي
Koexistenz / Coexistence / coexistence	تعايش / توافق
Kohaerente Folge / coherent sequence	جمل متماسكة
Kohaerenz /coherence	تماسك
Kohaesion / cohesion / cohesion	تماسك النص
Kollektiv / Collectiv / collective	اسم جنس / مشترك دلالي / اسم جمع
Kollektive Komponente	مكونات عامة
Kombination / Combinaison / combination	تنسيق / توافق / توحيد
Kommuikative Handlungsspieln	حركة الفعل الاتصالي
Kommuikative Situation / communicative situation	الموقف الاتصالي
Kommunikator	متصل
Kommutation / Commutation / commutation	استبدال / تبادل
Komodie / comedie / comedy	كوميديا / مسرحية هزلية
Komplexitaet / complexity	تركيب / شمولية
Konkreta / Nom Concret / concrete	أشياء عينية / اسم عين / اسم ذات
Konkurenz / concurrence	تنافس / تعاون

إشارة ضمنية / تضميني	Konnotative / Connotatif
ثبات	Konstanz / Constante / constant
سياق	Kontext / Context / context
علاقات مقالية	Kontextrelationen / relation contextuel / contextual relation
تتابع / تجاور	Kontiguitaet / Contiguite / contiguity
علاقات تجاور / نظمية / نسقية	Kontiguitaet sbeziehungen / relations de contiguite / relations of contiguity
تقابل	Kontrast / Contrast / contrast
مرجع مشترك	Koreferenz / Co-reference
أسلوب فني	Kunststil
أعمال فنية	Kunstwerke
ربط مفرداتي	Lexematische Verknupfung / lexematic
توافق / ترابط معجمي	Lexikalische Solidaritaet / Solidarite lexique
أسلوبية لسانية	Linguistische Stilistik/ Stylistique linguistique
علم الأدب	Literaturwissenschaft / literature / literature
فعل القول	Lokutionarer Akt
قصيدة شعر غنائي	Lyrik / lyric
طريقة الكتابة	Maniere d'ecrite
المستوى الواصف	Metabene
مجاز	Metapher / Metaphore / metaphor
طبقة متوسطة	Middle class
حوار ذاتي / حوار أدبي	Monolog / monologue
كناية	Metonymie / metonymie / metonymy
لا جمل	Nicht-Satze / non-phrase / non-sentence
لا لغة	Nicht-Sprache / non-langue / non-language
رواية قصيرة / أقصوصة طويلة	Nouvelle / novelette
قصيدة غنائية	Ode / ode

Onomatocie / Onomatopée / onomatopeia	محاكاة صوتية
Orantus difficilis	الصيغة الزخرفية الصعبة
Orantus facilis	التدبيج السهل
Oxymoron / Oxymoron	إرداف خلفي
Paradigmatisch / Paradigmatique / paradigmatic	استبدالي / إحلالي
Paradigmatische Komponente / Composant paradigmatique / paradigmatic component	مكون إحلالي / تبادلي
Paraphrasenreletion	علاقة التفسير
Paratax / Parataxe / parataxis	إرداف / رصف التوازي
Partikularistich / particulier	استراتيجيات خاصة
Pattern Gruppierung / Patten	نموذج منتقى
Perlokutionarer Akt / Perlocutionel	أثر غير مباشر للكلام
Permutation / Permutation	إبدال / تبادل
Poetik / poétique / poetics	فن الشعر
Poetischer / dichterisvcher Stil / style poétique / poetical style	أسلوب شعري
Poetische Stilistik / poetical stylistics	الأسلوبية الشعرية
Perspektive / perspective / perspective	نموذجية / قاعدية
Parspektive Stilistik / stylistique perspective / perspective stylistics	أسلوبية معيارية
Prestige – Formen	صيغ ذات قيمة اجتماعية
Probabilistic Concept / concept probabilité	مفهوم الاحتمال
Prodictability	التنبؤ
Proform / proforme / proform	الكلمة الشاملة (مفهوم عام) جنس
Pro-Fortfuhrung	بديل المواصلة
Progressiv / progressif / progressive	تصاعدي / صيغة الاستمرار / متدرج
Pronominale Verkettung	ترابط ضميري
Public Language	لغة شعبية
Randerscheinung	ظاهرة ثانوية / مستوى جانبي

Reale / réal / real	حقيقي
Realitaetsgehalt	مضمون حقيقي
Redekonstellation	الظرف الكلامي / المقام الكلامي
Redestil	أسلوب الكلام
Redeweise	طريقة الكلام / أسلوب الكلام
Redezusammenhang	قرينة كلامية
Redner / parleur	المتكلم
Redundanz / redondance / redundacy	الحشو / الإسهاب
Reedback / Ruckkopplung	رد الفعل
Refernzidentitat / identité référentielle / refernce identity	الإحالة الموحدة / تطابق الإحالة
Referenzmittel	وسائل الإحالة
Regularitaet / régularité / regularity	الاطراد
Rekurrenz / récurrence / recurrence	التكرار / المعاودة
Reportage	تحقيق صحفي
Rhema / rhème / rheme	مسند / محمول
Rhetorik / Rhétorique / rhetoric	علم البلاغة
Restricted Code / code restric / langue réduite	نظام مقيد
Restriniertes / restriction	الحصر / التقييد / التخصيص
Restriniertes System	نظام مقيد
Revision / revision	مراجعة / إعادة نظر / تنقيح
Rezipient / récepteur	متلق
Roman	رواية
Satzgrammatik	نحو الجملة
Schwulstliteratur	الأدب التشكيلي
Selektion / sélection	انتقاء
Semantische Anaphern / anaphore sémantique / semantic anaphora	مؤشرات دلالية عائدة

Somiotik / sémiotique / semiotics	علم العلامات
Sequenzen / sequences/ sequences	تتابعات / تواترات
Sigmatik	علاقة الرمز بالمرموز
Simultanprozeb / processus simultané / processus simultaneous	الإجراء تزامني شامل
Situationalstil	أسلوب المقام
Situative / situationnel / situational	موقفي / مقامي
Situative Kontext / contexte situationnelle / situational context	سياق مقامي
Slang / argot	العامية / اللغة الدارجة / لغة طبقة اجتماعية
Sozialstatus	الحالة الاجتماعية
Soziolekt / sociolecte	لغة الجماعة / لهجة جماعة / لهجة اجتماعية
Speech – codes	أنظمة الكلام
Sprachstil	أسلوب لغوي
Statistic / statistique	إحصائي
Stilbegriff	مفهوم الأسلوب
Stildiachronie	دراسة الأسلوب تعاقبياً
Stilistik / stylistique / stylistics	علم الأسلوب / الأسلوبية
Stilgeschichte	تاريخ الأسلوب
Stilistische Expressivität / Expressivitat / Expressvité stylistique / stylistic expressivity	تعبيرية أسلوبية
Stilistische Material	المادة الأسلوبية
Stilistisches Phänomen / Phénomene stylistique / stylistic phenomena	الظاهرة الأسلوبية
Stilistische Prinzipien	الأسس الأسلوبية
Stilmerkmale / Marque stylistique / stylistic mark	سمات أسلوبية
Stiltheorie / Theorie Style / stylistic theory	نظرية الأسلوب
Stratifikation / stratification / stratification	تصنيف طبقي
Subkategorisierung / sous-catégorisation / subcategorization	تصنيف فرعي

Subordinierende Konjunktionen / Conjonctions de subordination / subordinating conjunction	روابط الاتباع
Substitution / Substitution	الاستبدال / الإحلال
Synonymie / Synonymie / synonym	ترادف
Syntaktische Anakoluthe / Anacoluthe syntactique / syntactic anacoluthon	التتابع التركيبي
Syntagmatische Substitution / Substitution syntagmatique / syntagmatic substitution	إبدال نظمي
Syntagmen / Syntagmes	مقاطع
Synthese / Synthèse / synthesis	التركيب / التوليف / التجميع
Teilstil	أسلوب فرعي
Textbedeutung	دلالة النص
Textgrammatik	نحو النص
Text-in-Funktion	النص المحقق لوظيفة
Textkonstitution	تشكيل النص / بناؤه
Textlimitation / Limitation du Text / limitation of the text	تحديد النص
Textlinguistik	اللسانيات النصية
Textologie	علم النص
Textpragmatik	تداولية النص / نفعيته
Textsorten	أجناس النص / أنواعه
Textstruktur / structure du text / structure of the text	بنية النص
Textueller Stil / Style textuel / textual Style	أسلوب نصي
Texttypologie / Typologie du Text /	تنميط النص / نمطيته
Texttypus / Type du Text / type of the text	نمط النص / نموذج النص
Thema / Thème / theme	مسند إليه
Traditionelle Grammatik / grammaire traditionelle / traditional grammar	النحو القديم
Tragodie / tragedy	تراجيديا
Transphrastische / Transphrastique	فوق حدود الجملة / نصي

Umdisposition	تعديل
Universalien / universaux / universals	كليات
Universalistische / universel / universal	استراتيجيات عامة
Varianten / Variante / variants	بدائل
Variation / Variation / variation	تعديل / تغيير
Wendungen	مقولات جاهزة
Werkstil	أسلوب العمل / الكتاب
Working Class	طبقة عاملة
Zeugma / zeugma	تبديل
Zweckmessigkeit	الغائية / الإفادة

* * *

ثبت المراجع والمصادر الأساسية

1- Abraham. W.: Stil, Pragmatik und Abweichungsgrammatik, in: Stechow, A. von (Hrsg): Beitrtäge zur generativen Grammatik, Braunschweig 1971, S. 124

2- Abraham, W. – Muller, K.: Stil, Metapher und Pragmatik 28 (1971) S 1-4

3- Agricola, Christiane – Flamig, W. –Moller, G.: Stilistik, in: Die deutsche Sprache (Kleine Enzyklopadie) II, Leipzig 1970, S 1015 – 114

4- Agricola, E.: Fakultative sprachliche Formen, Gedanken zur grammatischen Fundierung der Stilkunde, Beiträge zur Geschichte der deutschen Sprache und Literatur / Halle 79, Sonderband für Th. Frings (1957) 43 – 76

5- Askeberg, F.: Ord och stil, Stockholm 1963

6- Bailey, R. W- Burton: Dolores: English Stylistics: A Bibliography, Cambridge / Mass,-London 1968

7- Bailey, R. W- : : Towards the integrity of stylistics, Symposis vs. Parasitism in: Kachru – Sthalke (Hrsg.): Current Trends Stylistics, S 97 – 101

8- Bailey, R. W. s. auch Dolezel, L.

9- Bailey, Ch. : Traité de stylistique fran çaise, Genève – Paris 3 / 1951

10- Benes, E. : Zur Typologie der Stilgattungen der wissenschaftlichen Prosa, Deutsch als Fremdsprache 6 (1969 0 225 – 233).

11- Benes, E. : Fachtext, Fachstil und Fachprosa, in : Sprache und Gesellschaft. Jahrbuch 1970 des Instituts fur deutsche Sprache, Dusseldorf 1971 / S 118 – 132

12- Benes, E. – Vachek, J. (Hrsg.): Stilistik und Soziolinguistik. Beitrage der Prager Schule zur strukturellen Sprachbetrachtung und Spracherziehung, Berlin 2/ 1971

13- Berg – Ehlers, L. s. Asmuth, B.

14- Braunmuller, K. s. Abraham, W.

15- Bruneau, Ch. : La stylistique, Romance Philoloy, 5 (1951 / 1952) 1 – 14

16- Burton, Dolores s. Bailey, R. W.

17- Carstensen, B. : Stil und Norm. Zur Situation der linguistischen Stilistik, Zeitschrift fur
Dialektologie und Linguisti; 37 (1970) 157 – 279

18- Cassirer, P. : Deskriptiv Stilistik. En begrepps – och metoddiskussion, Goteborg 1970

19- Chisholm, Jr., W. S. : An Exercise in Syntactic Stylistics, Linguistics 33 (1967) 24 – 36

20- Coteanu, I. : Consideration upon the Stylistics Structure of Language, Revue de Linguistique 7 (1968) 223 – 241

21- Cressot, M. : Le style et ses techniques: précis d'analyse stylistique, Paris 1947

22- Crystal, D. : uber: Enkvist – Gregory – Spencer: Linguistics and Style, journal of Linguistics I (1965) 173 – 179

23- Crystal, D. – Davy, D. : Investigating English Style, London 1968
24- Darbyshire, A. E. : A Grammar of Style, London 1971
25- Davy, D. s. Crystal, D.
26- Delbouille, P. : Définition du fait de style, Cahiers d'Analyse Textuelle 2 (1960) 94 – 104
27- Dolezel, L. : A Framework for the Statistical Analysis, in: atistics and statistische Stilanalyse, in Ihwe, J. (Hrsg.): Literaturwissenschaft und Linguistik 1, S253 – 273
28- Dolezel, L. – Bailey, R. W. (Hrsg.): Statistics and Style, New York 1969
29- Elster, E. : Prizipien der Literaturwissenschaft II (Stilistik), Halle 1911
30- Engel, E. Deutsche Stikunst, Wien- Leipzig 30/1922
31- Engel, U. : Sprachkreise,Sprachschichten, Stilbereiche, Muttersprache 1962. S 298 – 307
32- Enkvist, N. E. : On Defining Style: An Essay in Applied Linguistics, S 3 – 56; deutsch: Versuche zu einer Bestimmung des Sprachstils: Ein Essay in angewandter Sprachwissenschaft, S 8 – 54 des folgenden Titels.
33- Enkvist, N. E. – Gregory, M. – Spencer, J. : Linguistics and Style, London 4/ 1971; ubersetzt von T. Schelbert: Linguistik und Stil, Heidelberg 1972
34- Faulseit, D. – Kuhn, Gudrun: Stilistische Mittelund Moglichkeiten der deutschen Sprache, Leipzig 4/ 1969
35- Fischer, H. : Entwicklung und Beurteilung des Styls, in: Kreuzer – Gunzenhauser (Hrsg.) : Mathematik und Dichtung, S 171 – 183
36- Flamig, W. s, Agricola, Christiane.
37- Fonagy, I. : L'information du style verbal, Linguistics 4 (1964) 19 – 47
38- Fowler, R. (Hrsg.) : Essays on Style and Language, Linguistics and Critical Approaches to Literary Style, London 1966
39- Freeman, D. C. : Linguistics and Literary Style, New York 1970
40- Froberg, P. : Stil, Oversikt av sprakkutveckling, stilarter, diktarter och versformer, Stockolm 2/ 1965
41- Gravin, P. L. (Hrsg.) : A Prague School Reader on Esthetics, Literary Structure, and Style, Washington 1964
42- Gray, B. : Style. The Problem and its Solution, The Hague – Paris 1969
43- Gregory, M. s. Enkvist, N. E.
44- Guiraud, P: La stilistique, Paris 1954
45- Guiraud, P. : Essais de stylistique, Paris 1969
46- Gunzenhauser, R. s. Kreuzer, H.
47- Harweg, R. : Stilistik und Textgrammatik, Zeitschrift fur Literaturwissenschaft und Linguistik 2 (1972) H. 5, 71 – 81
48- Hatzfeld, H. : Methods of stylistic investigation, in: Literature and Science, Oxford 1955, S 44 – 51
49- Hatzfeld, H. : A Critical Bibliography of the new Stylistics, applied to the Romance Languages, Literature 1900 – 1952, Chpel Hill 1953
50- Hatzfeld, H. : Essai de bibliographie critique de stylistique fran%aise et romane (1955 – 1960), Paris 1961
51- Helbig, G. : Ansatze zu einer Stiltheorie, in: Geschichte der neueren Sprachwissenschft. Unter dem besonderen Aspekt der Grammatik – Theorie, Munchen 3/ 1973, S 318 – 320

52- Horalek, K. : Sprachfunktion und Funktionelle Stilistik, Linguistics 14 (1965) 14 – 22
53- Hough, G. : Style and Stylistics, London – New York 1969
54- Ihwe, J. (Hrsg.): Literaturwissenschaft und Linguistik I – III, Frankfurt 1971/72
55- Jacobs, R. A. – Rosenbaum, P. S. : Transformationen, Stil und Bedeutung, ubersetzt und hrsg. Von J. Gunter – E. Weib, Frankfurt 1973
56- Kachru, B. B- Sthalke, H. F. W. (Hrsg.): Current Trends in Stylistics, Edmonton 1972
57- Kerkhoff, Emmy L. : Kleine deutsche Stilistik, Bern – Munchen 1962
58- Koch, W. A. : On the Principles of Stylistik, Bern – Munchen 1962
59- Koelwel – E. Wegweiser zu einem guten deutschen Stil, Leipzig 2/1954
60- Krahl, S. Kurz, J. : Kleines Worterbuch der Stilkunde, Leipzig 1970
61- Kreuzer, H. – Gunzenhauser, R. (Hesg.) : Mathematik und Dichtung. Versuche zur Frage einer exakten Literaturwissenschaft, Munchen 3/1969
62- Kroeber, A. L. : Style and Civilizations, Ithaca 1957
63- Kuhn, Gudrun s. Faulseit, D.
64- Kurz, J. s. Krahl, S.
65- Kutscher, A: Stilkunde der deutschen Dichtung I – II, Bremen 1951/ 52
66-Lucas, F. L. : Style, London 1955
67- Lunding, E. : Den moderne stilforskning, Nysvenska studier 31 (1951) 74 – 111
68- McIntosh, A. : Alnguage and Style, Durham University Journal 55, Ns 24 (1963) 116 – 123; Wiederbdruck in: Pride, J. B. – Hlmes, Janet)Hrsg.): Sociolinguistics. Selected Readings, Middlesex 1972, S 241 – 251
69- Messing, G. M. : The Impact of Transforamational Grammar upon Stylistics and Literary Analysis, Linguistics 66 (1971) 56 – 73
70- Messing, G. M. uber: Sebeok, Th. A. (Hrsg.): Style in Language, Language 37 (1961) 256 – 366
71- Meyer, R. M. : Deutsche Stilistik, Munchen 2/1913
72- Meye, Th. A. : Das Stilgesetz der Poesie, Leipzig 1901
73- Michel, G. u. a.: (Starke, G. –Graehn, F.): Einfuhrung in di eMethodik der Stiluntersuchung, Berlin 1968
74- Michel, G. : Stilnormen grammairischer Mittel, Zeitschrift fur Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikations forschung 22 (1969) 439 – 501
75- Milic, L. T. : Style and Stylistics. An Analytical Bibliography, New York – London 1967
76- Milic, L. T. : Autocoding in Computational Stylistics, in: Kachru – Stahlke (Hrsg.): Current Trends in Stylistics, S 236 – 273
77- Moller, G.: Guter Stil im Alltag, Leipzig 3/1965
78- Moller, G. s. auch Agricola, Christiane.
79- Ohmann, R. : Generative Grammars and Concept of Literary Stylek Word 20 (1964) 423 – 439; ubersetzt von H. Blumensath: Generative Grammatiken und Begriff: Literarischer Stil, in: Ihwe, J. (Hrsg.) Literaturwissenschaft und Linguistik I, 213 – 233
80- Ohmann, R. : Prolegomena to the Analysis of Prose Style, in: Martin, H. C. (Hrsg.): Style in Pose Fiction. English Institute Essays 1958, New York 1959, S1 – 24

81- Ohmann, R. : Instrumental Style. Notes on the Theory of Speech as Action, in: Kachru – Stahlke (Hrsg.). Current Trends Stylistics, S 115 – 142
82- Reiners, L. : Stikunde. Ein Lehrbuch deutscher Prosa (1949) 1967
83- Riesel, Elise: Abrib der deutschen Stilistik, Moskau 1954
84- Riesel, Elise: Der Stil der deutschen Alltagssprache, Moskau 1964, Leipzig 1970
85- Riesel,, Elise: Stilistik der deutschen Sprache, Moskau 2/1963
86- Riffaterre, M. : Criteria for Style Analysis, Word 15 (1959) 154 – 174
87- Riffaterre, M. : Stylistic Context, Word 16 (1960) 207 – 218
88- Riffaterre, M. : Vers la definitionlinguistique du style, Word 17 (1961) 318 – 344
89- Riffaterre, M. : Essais de stylistique structurale, Paris 1971; ubersetzt von W. Bolle: Strukturale Stilistik, Munchen 1973 (darin auch die vorgenannten Aufsatze).
90- Rosenbaum, P. S. s. Jacobs, R. A.
91- Rupp, H. : Sprachgebrauch, Norm und Stil, in: Rupp, H. – Wiesmann, L.: Gesetz und Freiheit in unserer Sprache, Frauenfeld 1970, S7 – 43
92- Russel, W. M. : Linguistic Stylistics, Linguistics 65 (1971) 75 – 82
93- Sandig, Barbara: Probleme einer linguistischen Stilistik, Linguistik und Didaktik 1 (1970) 177 – 194
94- Sayce, R. A. : The Definition of the Term, Style' in: Proceeding of the Thrid Congress of the International Comparative Literature Association, s-Gravenhage 1962, S 156 – 166
95- Schneider, W. : Ausdruckswerte der deutschen Sprache. Eine Stilkunde, (Nachdruck) Darmstadt 1968
96- Schneider, W. : Ausdruckewerte der deutschen Sprache. Eine Stilkunde, (Nachdruck) Darmstadt 1968
97- Schneider, W. : Stilistische deutsche Grammatik, Die Stilwerte der Wortarten, der Wortstellung und des Satzes, Freiburg 4/ 1967
98- Sebeok. Th. A. (Hrsg.): Style in Language, Cambridgel Mass 2/1968
99- Sebeok, S. Y – Sedelow, Jr., W. A.: Models Computing, und Stylistics, in: Kachru – Stahlke (Hrsg.): Current Ternds in Stylistics, S 268 – 275
100- Seidler, H. : Allgemeine Stilistik, Gottingen 1/1953, 2/1963
101- Seidler, H. : Stilistik als Wissenchaft, Jahrbuch fur internationale Germanistik (1969(129 - 137
102- Singer, H. : Stilistik und Linguistik, in: Besch, W. - Grosse, S. - Rupp, H. (Hrsg.): Festgabe fur F. Maurer zum 70 Geburtstsg, Dusseldorf 1968, S 69 - 82
103- Sowinski, B. : Deutsche Stilistik. Bebachtungen zur Sprachverwendung und Sprachgestaltung im Deutschen, Frankfurt 1973
104- Spencer, J. s. Enkvist, N. E.
105- Stahlke, H. F. W. s. Kachru, B. B.
106- Strunk, Jr. W. - White, E. B. : The Elements of Style, New York 1959
107- Stutterheim, C. F. P. : Modern Stylistics, Lingua 1 (1947/ 48) 410 - 420/ und 3 (1952/ 53) 52 - 68
108- Stutterheim, C. F. P. : Stijlleer, s-Gravenhage 1947

109- Thierfelder, F. : Wege zum besseren Stil, Munchen 2/1955

110- Thome, J. P. : Generative Grammar and Stylistic Analysis, in: Lyons, J. (Hrsg.): New Horizons in Linguistics, London 1970, S 185 - 197

111- Thome, J. P. : Stylistics and Generative Grammar, Journal of Linguistics 1 (1965) 49 - 59

112- Todorov, T. : Les etudes du style, bibliographie selective, Poetique 2 (1970) 224 232

113- Tschirch, F. Deutsche Stillehre, Munchen 1954

114- Ulhnann, , St. : Language and Style (Introduction), in: Style in the French Novel, Cambridge 1957, S1 - 39

115- Ullmann, St. : Language and Style. Collected Papers, Oxford 1964; deutsche Fassung von Susanne Koopmann: Sprache und Stil. Aufsatze zur Semantik und Stilistik, Tubingen 1972.

116- Vachek, J. s. Benes, E.

117- Villiger, H. : Gutes Deutsch. Grammatik und Stilistik der deutschen Gegewartssprache, Frauenfeld - Stuttgart 1970

118- Wackemagel, W. : Poetik, Rhetorik und Stilistik, hrsg. Von L. Sieber, Halle 3/ 1906

119- Wessen, E. : Sprakriktigher och stil, Stockholm 2/1960

120- White, E. B. s. Strunk, Jr. W.

121- Wimsatt, Jr. W. K. : Verbal Style: Logical and counterlogical, Publications of the Modern Language Association of America 65 (1950) 5 - 20

122- Winkler, E. : Grundlegungen der Stilistik, Bielefed - Leipzig 1929

123- Winter, W. : Relative Haufigkeit syntaktischer Erscheinungen als Mittel zur Abgrenzung von Stilarten, Phonetika 7 (1961) 192 - 216

124- Winter, W. : Styles as Dialects, in: Lunt, H. G. (Hrsg.): Proceedings of the Ninth International Congress of Linguistics in Cambridge/ Mass 1962, The Hague - Paris 1964, S 324 - 330, Wiederabdruck in: Dolezel - Bailley (Hrsg.): Statistics and Style, S3 - 9

125- Winter, W. : Stil als linguistisches Problem, In: Satz und Wort im heutigen Deutsch. Jahrbuch 1965/ 66 des Instituts fur deutsche Sprache, Dusseldorf 1967, S 219 - 235

126- Zumyhor, P. : Stylistique et Poetique, in: Guiraud, P. -Zumthor, P. - Kibedi Varga, A. - Tans, J. A. G. : Style et Litterature, La Haye 1962, S 24 - 38